وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التّبسي – تبسة

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

اللغة والهوية في روايات واسيني الأعرج

مقاربة ثقافية

:

إعداد الطالبة: إشراف:

سماعل وهيبة الأستاذ الدكتور : رشيد رايس

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الأصلية	الصفة
1	ليلى بلخير	أستاذ	جامعة منتوري قسنطينة	رئيسا
2	رشيد رايس	أستاذ	جامعة العربي التبسي تبسة	مشرفا ومقرّرا
3	الطاهر روابنية	أستاذ	جامعة جامعة باجي مختار عنابة	عضوا مناقشا
4	رشيد بلعيفة	أستاذ محاضر	جامعة عباس لغرور خنشلة	عضوا مناقشا
5	الجموعي سعدي	أستاذ محاضر	جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس	عضوا مناقشا
6	محمد عروس	أستاذ محاضر	جامعة العربي التبسي تبسة	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية: 2018 / 2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التّبسي – تبسة

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

اللغة والهوية في روايات واسيني الأعرج

مقاربة ثقافية

:

إعداد الطالبة: إشراف:

سماعل وهيبة الأستاذ الدكتور : رشيد رايس

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الأصلية	الصفة
1	ليلى بلخير	أستاذ	جامعة منتوري قسنطينة	رئيسا
2	رشيد رايس	أستاذ	جامعة العربي التبسي تبسة	مشرفا ومقرّرا
3	الطاهر روابنية	أستاذ	جامعة جامعة باجي مختار عنابة	عضوا مناقشا
4	رشيد بلعيفة	أستاذ محاضر	جامعة عباس لغرور خنشلة	عضوا مناقشا
5	الجموعي سعدي	أستاذ محاضر	جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس	عضوا مناقشا
6	محمد عروس	أستاذ محاضر	جامعة العربي التبسي تبسة	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية: 2018 / 2019

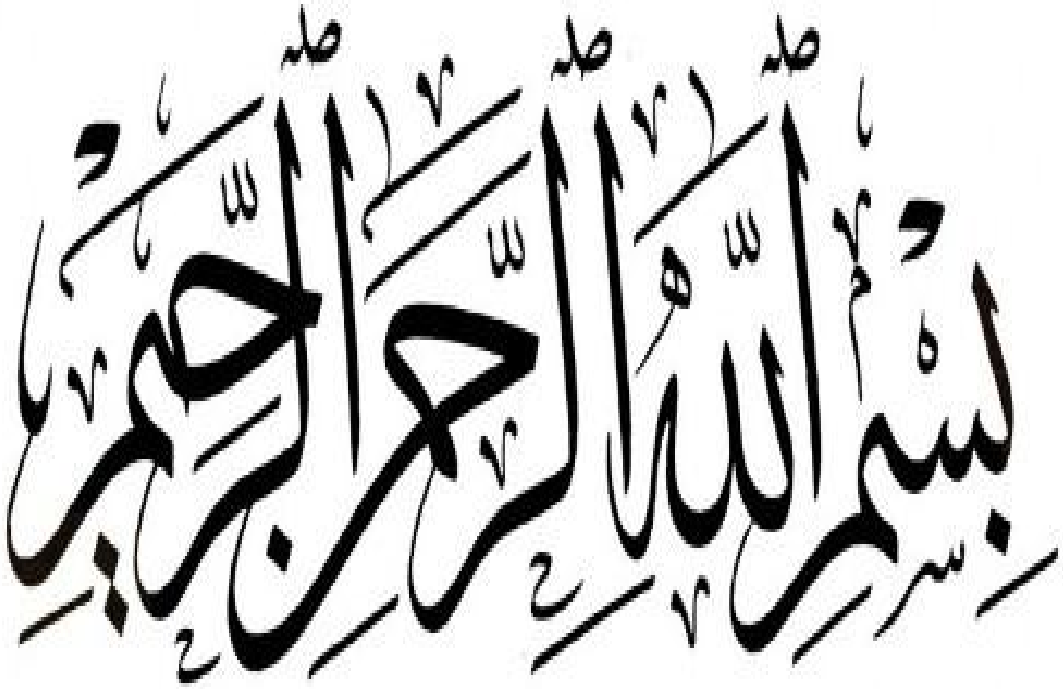
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد يد العون لي لإخراج هذا العمل

وعلى رأسهم أستاذي المشرف؛ الأستاذ الدكتور :"رشيد رايس".

كما أشكر أيضا كل الهيئات الإدارية

بجامعة العربي التبسي .تبسة.وبخاصة عمال مكتبة كلية الآداب واللغات

فلهم مني جزيل الثناء والشكر.

الطالبة:سماعل وهيبة

مقدمة

مقدمة:

مثلت الكتابة الــروائية الجزائرية حاضنة إبداعية لمصادر الشخصية الوطنية، كتعبير عن الاشتغال الهووي، وجدل الحوارات البينية في ظل انفتاح السرد على تعدد الأصوات بوصفها خطابات وتمثيلات للوعي المجتمعي بشتى مستوياته، وشكلا من أشكال الفهم والمساءلة، ومثلما أن الرواية كانت اشتغالا عميقا وجوهريا على أسئلة التاريخ والهوية، وبحثا عن الذات أو الأنا عبر الآخر، وعن الآخر عبر الذات، واستكشافا لمساحات الاختلاف الخصبة، في طور العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر؛ فإنها كانت أيضا مغامرة لغوية نابعة من إشكالية الوظيفة الحضارية والمرجعية للغة، وعلاقتها بالمقولات الأولى والأساسية التي بلورت وعي الإنسان التاريخي، وكانت-بالضرورة- مادة وموضوعا للسرد، على أنها لم تكن جزءا من الوعي التشكيلي في الروائية الجزائرية فحسب، بل إنها كانت-وبصورة أعمق- جزءا الوعي الهووي بوصفه هما أنطولوجيا بطريقة لم تنفصل فيها الرواية عن إفضاءاتها السوسيو-ثقافية، وجسدت في المقابل خطابا إشكاليا مركبا يجمع بين هوية اللغة ودلالاتها على المتن الثقافي، ولغة الهوية ودلالاتها على المتن الروائي.

ويعد الروائي الجزائري البارز واسيني الأعرج واحدا من الأسماء الروائية التي مارست الكتابة السردية كتنويع مضاعف على التجربة الإنسانية في تقلبها بين العالمية والمحلية، وبين التاريخي واللاتاريخي، وإذا كان الأعرج يكتب بطريقة تبدو فيها الإيديولوجيا طافية على جسد الخطاب فإن فعل الكتابة عنده-لزاما- سينتج أسئلة حول الهوية ومساءلة التاريخ والواقع والإنسان، وفي هذا السياق يظهر **تميز النتاج الروائي الجزائري -عند واسيني الأعرج بشكل خاص-، نتيجة للتفاعل المتواصل بين خصوصية الرواية الجزائرية وأشكال الأسئلة ونوعيتها في الخطاب الأدبي والنقدي الحداثي.**

وقد وقع اختياري على روايات "واسيني الأعرج". بناء على اعتبارات عدة أبرزها :

❖ أن الروائي "واسيني الأعرج "من المبدعين الجزائريين الذين اشتهروا بكتاباتهم سواء في الجزائر أو في العالم العربي، أو في مناطق أخرى من العالم. وقد فرض وجوده إبداعيا كروائي، وأكاديميا كناقد، وأستاذ كرسي، بجامعة الجزائر و السربون بفرنسا.

❖ أن روايته –كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد- تعد أول مدونة سردية جريئة تتناول شخصية وطنية محورية هي شخص "الأمير عبد القادر الجزائري"الذي ارتبط اسمه بفكرة تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة.

❖ أن روايات واسيني الأعرج تختزن زخم الأسئلة الهوياتية بكل ما تشكّله الهوية من عناصر إشكالية، وذلك بالنظر إلى طبيعة الحقبة التاريخية المثخنة بأسئلة الولادة والتكوّن، خاصة في عمل كرواية الأمير.

ولما كانت الإستراتيجية الإبداعية الجديدة التي نهجها "واسيني الأعرج"، إستراتيجية مساءلة الذات لمكوناتها وخصوصيتها، فقد بدا لنا أن رواية "كريماتوريوم سوناتا" قد حققت منتهى هذا التوجه بتماهيها مع التاريخ العربي والإسلامي على السواء، فكانت سندا للمدونة الأولى المتعلقة بموضوع الدراسة، ينضاف إليهما رواية مملكة الفراشة التي راهنت في تشكلها على التاريخ الجزائري المعاصر.

ومن ثمة يمكن اعتبار النصوص الأدبية -باعتبارها أفعالا لغوية- نصوصا أو خطابات صادرة عن شخصيات متماثلة في الموقع والمستوى أو متعارضة، وهذا ما يمنحها الهوية الخاصة بها، وعلى هذا الأساس صغنا إشكالية البحث بطريقة تفرّعت فيها إلى جملة من الأسئلة كالآتي:

- هل تعكس اللغة الهوية وتصوغها في قالب فني؟ أم أن اللغة تكشف عن الهويات فتعطيها شكلا وبنية ؟

- كيف يتمظهر الموضوع اللغوي بوصفه محمولا للهوية في روايات واسيني الأعرج؟

- ما هي أهم تشكيلات الهوية في روايات واسيني الأعرج؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات؛ ولمقاربة الموضوع منهجيا، آليت تقسيم المقاربة إلى أربعة فصول؛ أما الفصل الأول والمعنون بـــــ" اللغة والهوية؛ مهاد تاريخي مفاهيمي"، وقد تعلق بمسارين؛ المسار الأول منه موسوم؛ في معنى اللغة المصطلح والمفهوم؛ فقد قاربنا فيه مفهوم اللغة في عرف اللسانيات عند "دوسوبير" و"تشومسكي" ومفهومها بمنظوري علم النفس وعلم الاجتماع .

أما المسار الثاني، فقد خصصته لـــ"الهوية في ميزان العلوم الإنسانية " حيث عرضت مفهوم الهوية، بشكل عام حسب التعريف اللغوي للمادة مرورا بالهوية من منظور علم النفس والهوية من منظور علم الاجتماع وصولا إلى بيان أنواع الهوية كالهوية الفردية والهوية الجماعية والهوية الثقافية .

أما الفصل الثاني؛ الذي ورد بعنوان "**تشكيلات الهوية في رواية كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد** "، فقد حاولت من خلاله عرض أهم التشكيلات الهوياتية عبر دراسة الهويات _المشكلة_لعالم الرواية؛ وهي في تصنيفنا خضعت إلى التصنيف العقدي والجغرافي والتاريخي الذي عبرت عنه اللغة في النص، وقدمتها في أشكال الهوية الجزائرية التشكل والمآل الهوية الجماعية، تعدد الكيانات الهوية الفردية "الأمير" بعيون الآخرين، الهوية الاستعمارية؛ الطبيعة والأهداف.وقد اعتمدنا في ذلك على المقاربة التاريخية والثقافية.

وفيما يخص الفصل الثالث؛ فقد حاولت عبره تتبع مسارات الهوية الفلسطينية منذ التشكل إلى غاية التشتت، وهي مادة رواية "كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس"؛ التي تتخذها البطل مي تمرر عبرها أفكارها. وقد وسمت هذا الفصل بـــ:"**الهوية الفلسطينية الواقع والمال" في رواية كريماتوريوم سوناتا لاشباح القدس**". وقد اندرج في ثناياه تحديد هوية الفلسطيني وهوية المنفي حسب أعمال الشخصيات؛ التي تشكل عالم الرواية. إضافة إلى التشكيل الأسلوبي الفني لمعمارية الرواية، وعلاقته بلغة الشخصيات /النص والواقع. وفي نهاية الفصل عرضت المستوى العاملي للنص- من منظور غريماس- من خلال اختبار توجهات الأعمال المساعدة للبرنامج السردي والمعارضة له؛ قصد معرفة الطريقة التي انتظمت وفقها –ذهنيا- وجود هذه الهويات وتعايشها داخل النسيج السردي .

أما الفصل الرابع والأخير، فقد قاربت من خلاله رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج، لما تتضمنه من اشارات خاصة بالانتماء والمذهب والعرق وهي مواد تكوين الهويات وتشكلها، وهي بنيات تتخذ من تفاعلها في الحياة الاجتماعية أساس إيمان الفرد بالهوية التي يتخذها درعا وجوديا له . لذا أردنا اختبار المادة اللغوية المكونة للتعبير باعتبارها كلاما للشخصيات وانساقا مشفرة تستهدف إثارة المتلقي، وهذا ينم عن إستراتيجية خطابية قصدها الراوي المبدع لبناء عوالمه الروائية.

وفي خاتمة المقاربة، حاولت أن أعرض جملة النتائج المتوصل إليها وهي نتائج ذات طبيعة نظرية وأخرى إجرائية.

ويجدر الاعتراف بفضل الدراسات السابقة التي تناولت موضوع هذه المقاربة، برؤى ودرجات متفاوتة، وفي مقدمة هذه الدراسات:كتاب:مقياس موضوعي لرتب الهوية، لصاحبه: محمد السيد عبد الرحمان، الصادر عن كلية التربية بجامعة الزقازيق، القاهرة سنة تسع وثمانين وتسعمائة وألف1989.

وكتاب مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر لـــ"الهرماسي محمد صالح" الصادر عن دار الفكر، دمشق، ط1، سنة ألفين وواحد 2001 .كما تجدر الإشارة إلى كتاب؛ المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ولد خليفة محمد العربي: منشورات تالة ــ الأبيار- الجزائرالصادر سنة الفين وسبعة. وكتاب، اللغة والهوية تأثيرات وتداعيات في التعليم العربي في إسرائيل، أمارة محمد :الكلية الأكاديمية، المركز العربي للحقوق والسياسات، رام الله، الصادر عام ألفين وعشرة2010.

الدواي عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013.بلبنان؛ وقد ساعدتنا هذه الدراسات على إخراج هذه المقاربة أو القراءة التي تعد واحدة من بين القراءات الممكنة.

وقد اعتمدت في هذه المحاولة القرائية على منهج الدراسات الثقافية في بعده الإجرائي، والنقد الثقافي أو الدراسات الثقافية هو نشاط شامل للثقافات، وللموضوعات والقضايا الثقافية في مجمل الخطابات، ومنها الخطاب الأدبي، ويركز على تأثيرات الدراسات ما بعد الكولونيالية في مناقشة مفاهيم من قبيل علاقة السلطة بالمعرفة في الممارسة الاستشراقية خصوصا، وقضايا التعدد الهوياتي والخصوصية الثقافية.

وأخيرا قال تعالى :﴿**وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ** ﴾

فأتوجه بخالص الشكر و التقدير إلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث، خاصة أستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور "رشيد رايس " الذي تحمل عبء التوجيه المتابعة والمراجعة، كما أسجل له كامل امتناني نظير توجيهاته القيمة ومعاملته الراقية فإليه أقدم أسمى آيات العرفان والشكر.

الفصل الأول : اللغة والهوية مهاد تاريخي مفاهيمي

أولا:

1- في معنى اللغة

2-اللغة في مجال اللسانيات

3-اللغة في عرف سوسيير

4-اللغة والكلام عند بلومقيلد

5-اللغة واللسانيات عند تشومسكي

6-اللغة واللسانيات الاجتماعية

6-1-وظائف اللغة

6-2-الوظيفة التواصلية

6-3-الوظيفة التعبيرية

7-الوظيفة الرمزية

7-3- اللغة وعلاقتها بالهوية

ثانيا- الهوية في ميزان العلوم الإنسانية

1- مفهوم الهوية

2- الهوية من منظور علم النفس

3-الهوية من منظور علم الاجتماع

4-أنواع الهوية

4-1-الهوية الفردية.

4-2-الهوية الجماعية

4-3-الهوية الوطنية

4-4-الهوية الثقافية

1-في معنى اللغة:

1-1-عند العرب القدامى:

لم يحظ بحث من البحوث المعرفية الإنسانية بقدر ما حظى به مبحث نشأة اللغة من الاهتمام؛ إذ أدى البحث في إشكالية اللغة إلى تعدد التصورات والمفاهيم والنتائج حول أصل اللغة وقضايا سياقاتها من التشكل إلى الدلالة، أثناء التقاء الإنسان بأخيه الإنسان آو أثناء انفراده وانعزاله. فالإنسان يعيش باللغة ويفكر بها وهي ملكة أساسة ميزه الله بها ليؤسس علاقات التواصل بينه وبين أفراد مجتمعه وبينه وبين الله في المستوى الإيماني العميق.

اختلفت وجهات النظر لموضوعة اللغة منذ العصور القديمة إلى غاية اليوم واهتم بها باحثون وعلماء من جميع أصقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم وانتماءاتهم، ولم تستثن جهود العلماء العرب من التجربة الإنسانية في محاولاتها الرامية إلى رصد الظاهرة اللغوية/الكلامية وفهمها عبر استقراء طبيعتها وتشكلاتها وقد شكلت بحوثهم تلك إضافة نوعية للرصيد العالمي، إذ طالما شكلت قاعدة أساسة لفهم النظريات الحديثة والمعاصرة بالنسبة للباحثين والأكاديميين، وهذا ما جعلنا نقدم لمبحثنا ببعض الشذرات من تراثنا العربي القديم، نورده من تعريفي العلامتين ابن جني وابن خلدون.

1-2- تعريف" ابن جني" للغة:

عرف "ابن جني" اللغة في باب القول على اللغة وما هي؟:« **أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدها**»[1]

وقد انطلق "ابن جني" في مقاربته للغة انطلاقا من تساؤل فلسفي عميق قوامه هل «**القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح** »[2]، وللإجابة عن هذا السؤال قام "ابن جني" برصد الآراء الأكثر أهمية في تعريف حقيقة اللغة والتي أوردها ضمن ثلاث مسارات متباعدة، أهمها مسار التوقيف؛ الذي يقدم اللغة على أساس أنها ملكة فطرية مكتملة بذاتها سلمها الله تعالى لأدم فعلمه الأسماء كلها، وهي بهذه المستوى متعالية إذ تجعل من الإنسان المخلوق الأقدر على التواصل إزاء ما يقابله من عوالم ومجتمعات، وقد أخذ "ابن جني" هذه الفكرة عبر تأويل الفكرة من المعنى العددي للفظة **كلها** ولفظة **علم** التي لا يبلغها الإنسان إلا بإعمال عقله أثناء التقائه الأول والمباشر وتعرفه على الكائنات أو العناصر أو الموضوعات الجديدة، فيتمكن بقدرته تلك على خلق أسماء جديدة بقدرة الله عز وجل، وقد وافق ابن جني على إيمانه بأصل الإلهام قائلا : «**فقوى في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه، وأنها وحي**».[3]

---

[1]- أبو الفتح عثمان ابن جني :كتاب الخصائص، تح، محمد علي النجار، تق:عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2006 ج1، ص44.

:الخصائص، م 33/1

[2]- المرجع نفسه، 40/1

[3]- المرجع نفسه، ص44.

وعلى الرغم من النقد الحاد لفكرة الوحي والإلهام في تفسير الظاهرة اللغوية، إلا أن ابن جني كان قد عالج المسالة في إطار عدم إلغاء أي جانب سواء تعلق الأمر بالوحي أو بالتواضع والاصطلاح وهو المسار الثاني؛ الذي يعتبر بموجبه أن اللغة في المحصلة نتاج لما تفرزه العلاقات الاجتماعية المختلفة بين أفراد جماعة بشرية ما، إذ كلما اكتشفوا عنصرا جديدا إلا وتواضعوا على تسميته.

يقول ابن جني:" **لنعد فلنقل في الاعتدال لمن قال بأن «اللغة لا تكون وحياً، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا؛ فيحتاجوا إلى الإنابة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً، إذا ذكر عرف به ما مسماه؛ ليمتاز من غيره، وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين».**[1]

أما بالنسبة للمسار الثالث فهو مسار المحاكاة وهو مقبول في رأيه لأن الإنسان فعلا يستغل الأصوات الصادرة عن العوالم الأخرى، فيطوعها محاكاة واشتقاقا؛ لتشكيل ألفاظ وكلمات جديدة كما هو الحال للصفير والحفيف والخرير، وغيرها؛ « **والحق أن هذه النظرية فيها من المبالغة ما يجاوز حد المعقول، فلو كانت اللغة بكاملها محاكاة للطبيعة لما تعددت لغات العالم، ولكان للعالم لغة واحدة لا غير. إلا أن هذه النظرية تحمل شيئاً من الصواب، فبعض الألفاظ هي صدى لأصوات الطبيعة؛ كالحفيف والخرير والزفير والصهيل والعواء، كما أن بعض الألفاظ قد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالات فـــي بعض الحالات النفسية، كالكلمات التي تعبر عن**

[1]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الغضب أو النفــور أو الكره، كما أنه غدا معروفاً في العربية أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وهذا ما أشار إليه سيبويه والخليل آنفاً».[1]

كما تجدر الإشارة إلى عرض "ابن جني" لرؤية "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وتلميذه "سيبويه" التجريدية؛ التي تعزو اللغة إلى كونها متأتية من محاكاة الإنسان للأصوات الموجودة في الطبيعة التي تصدر عن عالمي الجماد والحيوان والنباتات حيث؛ كانت هذه الأصوات مصدرا لتوليد الكلمات كالصفير والفحيح والخرير، وقد وافق ابن جني هذا الطرح ورأى انه وجه مقبول في تفسير ظاهرة أصل اللغة عند الإنسان .

ينتهي "ابن جني" إلى أن اللغة كملكة إنسانية ما هي إلا مزيج لإرث إنساني عميق يتراوح بين الإلهام والاصطلاح وهي سنة في الحياة إذ كلما عاش الإنسان كلما اكتشف عناصر جديدة استوجبت إطلاق الأسماء عليها.وهذا ما يتقاطع مع فكرة الاعتباطية في الفكر السوسيري الحديث.

1-3- تعريف اللغة عند "عبد الرحمان بن خلدون":

يذهب العالم "ابن خلدون" إلى تعريف اللغة بقوله: «**واعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن**

[1]- ينظر: إبراهيم أنيس، **الألفاظ ومعانيها كانت رموزاً لدلالاتها**، الكويت، مجلة العربي الكويتية، العدد (100)، آذار 1967م، ص134.

القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتها »[1].

يشترك هذا التعريف مع ما قدمه "ابن جني" في كتاب الخصائص بكون اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتواصل بين الأنا والآخر ويذهب إلى ذلك في قوله:

« **وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده والإبانة عما في نفسه /وهذا معنى اللسان واللغة ».**[2]

ضف إلى ذلك أن اللغة هي مجموعة من الأصوات يتلفظها المتكلم لإفادة السامع عن طريق اللسان « **فالدراسة اللغوية للكلام تجعله حتى على المستوى الصوتي على صلة باللغة ولابد أن يكون ذلك من حيث قصد يدل على معنى »**[3]

فـــ"ابن خلدون" في تأسيسه لمفهوم الملكة اللغوية ينطلق من حيث كونها ملكة عامة تشترك فيها كل اللغات الإنسانية؛ إذ يقصد بذلك أن تنوع اللغات شبيه إلى حد كبير بالصناعة التي يقوم بها البشر عن طريق إعمال اللسان للدلالة على المعاني التي ينشئها ومن ثمة تختلف صناعة المعاني من حيث الجودة أو القصور /يقول ابن خلدون:« **إذا كانت ملكته في الدلالة اللفظية مستحكمة ارتفعت الحجب بينه وبين المعاني ...وهذا شان المعاني مع الألفاظ »** [4].

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون : مقدمة ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1998،ص 357.

[2]- المرجع نفسه، ص385.

[3]- تمام حسان :اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص33.

[4]- المرجع السابق، ص 597.

وقد اهتم "ابن خلدون" بالقضايا النحوية التي عبرها يتم تركيب الجمل والأساليب وهي طريقة جيدة لتنمية ملكة اللغة في التعبير والتواصل وقد ميز- وفق ذلك- التراكيب التي يستعملها الإنسان بواسطة اللغة مبرزا أنها قد تكون أساسية في مظهرها، بسيطة في دلالتها والغرض منها هو وظيفة التبليغ، كما قد تكون راقية وغرضها الإجادة والتزيين – الملكة البيانية -[1].

إن اعتماد "ابن خلدون" على مفهوم الملكة يعد حوصلة للآراء التي جمعها "ابن جني" في كتابه الخصائص، فمفهوم الملكة عنده يرتبط بما هو فطري خاص بخلق الإنسان، وبكل ما هو مكتسب ينتج عن الممارسة واستعمال تراكيب جديدة مولدة؛ يقول:

«إن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تظهر دفعة، ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها »[2].

يدعو "ابن خلدون" إلى ممارسة اللغة بشكل فاعل لتحصيل تواصل جيد مع الناس وهذا يتم بناء على التدريب والمهارة في اكتشاف العلوم، وإدراك المعارف، كما يتم حسب رأيه بكثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي، معبرا عن ذلك بقوله:

« للنفس في كل واحدة منها لون تتكيف به على حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة، تكون تلك الملكة في نفسها؛ فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها، إنما تحفظ بحفظ العالي في طبقته من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم

[1]- مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص642.

[2]- المرجع نفسه، ص721.

كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويمتلئ به من القوانين العلمية والفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة»[1].

من خلال ما تقدم؛ نصل إلى أن "ابن خلدون" يضع الملكة اللغوية كصفة راسخة في النفس تسمح للإنسان بأن يكون مهيأ لاكتساب ملكات جديدة «**فالملكة إدراك ومعرفة وعلم ثم درجة ومهارة في هذا الإدراك ولا تكون الدراية والمهارة إلا على علم ومعرفة وإدراك»[2].**

1-4- اللغة؛ الماهية والمفهوم عند المحدثين:

عندما يسمع الإنسان كلمة لغة، يتبادر إلى ذهنه تلك الملكة العامة التي يشترك فيها أبناء المجتمع كما يتبادر إلى ذهنه تلك المنظومة التي تصنع تمايزاته الثقافية والعرقية والقومية، وهي أكثر من ذلك اللسان الناطق بالآمال والآلام والحامل للمعرفة والعلوم. وإذا ما أمعنا النظر كثيرا ربما لن يجد- الإنسان- فرقا بين تصوره للغة وتصوره للحياة.فكل عناصر الإنسان لا تعدو كونها شكلا لمحتوى لغوي دلالي يختلف باختلاف الاستعمال والسياق أو ما يعبر عنه بمقتضى الحال، وهكذا عد علماء اللغة أشكال التواصل كافة لغات -أو لغة- كالرموز أو الإشارات أو الإيقونات .

إن ما يلفت نظر الباحث في موضوع اللغة، هو ضرورة التمييز بين اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية؛ باعتبار أن اللغة الطبيعية هي القاسم المشترك للإنسان في اختلافه عن باقي الكائنات أي؛التعبير بواسطة الكلام،في حين أن الاصطناعية هي ما يتملكه الإنسان من رموز وأنظمة وألوان؛ ويمكن التمثيل عنها بما يتضمنه

[1]- ابن خلدون:المقدمة، مرجع سابق، ص640.

[2]- علي عبد الواحد وافي : اللغة والمجتمع، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1981، ص43.

الحاسوب الشخصي لكل فرد من أفراد المجتمع المعاصر، وهي في الحياة المدنية المعاصرة نعتبرها في عداد اللغات فقط بالمعنى الممتد لو المجازي لكلمة لغة؛ يقول "سابير"-:«**اللغة هي على نحو محض طريقة بشرية وغير غريزية لنقل الأفكار والأحاسيس والرغبات بواسطة رموز تنتج طوعا »[1].**

إن الحديث عن إنتاج الرموز وقدرتها على التعبير عن حياة الإنسان، تدفعنا مباشرة إلى البحث عن اللغة في مراتب علم اللسان، وعلم الاجتماع، وعلم النفس لما لها علاقة مباشرة بحياة الإنسان فردا مبدعا أو ناقدا أو عالما بغية الوقوف على الخصائص والنقاط المشتركة بين مختلف اتجاهات المعرفة في دراستها لمادة اللغة .

2-اللغة في مجال اللسانيات:

2- 1-اللغة في عرف دوسوسير:

يعد "**دوسوسير؛ De Saussure F**"[2] من أهم علماء اللسان الذين أسسوا دعائم مشروع علمي لعلمنة اللغة والنص الأدبي على حد سواء، وقد أدى به البحث في علاقة الدال بالمدلول إلى التمييز بين مفاهيم اللغة، من حيث كونها نظاما أو نسقا وبين اللغة كمدلول للكلام أو الحديث أو أشكال التواصل الأخرى.

وقد عمل "دوسوسير" على تعريف اللغة في ضوء اختلافها عن الكلام، ورأى انه من الضروري الفصل بينهما بناء على أن اللغة ملكة مشتركة بين فئات عدة متماثلة تشكل قومية أو مجتمعا ..يتكلم لسانا واحدا كاللغة الفرنسية أو الانجليزية مثلا.

---

[1]-جون لوينز : اللغة واللغويات، تر:محمد العناني، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص20.

[2]- دوسوسير عالم سويسري 1857-1913 اشتهر باللسانيات، من مؤلفاته دروس في الألسنية العامة 1912.يعد أبرز منظر حديث في محال اللغة .ينظر: يمنى العيد :في معرفة النص، دار الآداب بيروت، ط4، 1999، ص304.

يوظف دوسوسير لفظة اللغة بمقابل **langue** ولفظة كلام بمعنى **parole**؛ الذي هو تطويع وتثوير للغة، يختلف حسب الاستعمال والتوظيف سواء في اختلاف المقامات الكلامية وحتى على مستوى الأفراد.ويمثل "دوسوسير" للتوضيح بمثاله الشهير: "لعبة الشطرنج" التي «تبدو **كمجموعة من القواعد والقوانين المحدودة التي تهيئ حدوث الممارسة الفعلية لعملية القول وان كانت عملية القول لا تحدها حدود .فأن اللغة كنظام هي مجموعة من القوانين تقوم على تنظيم وتحديد هذه العملية حتى تصبح قابلة للإدراك».**[1]

ومن هذا المنطلق الفاصل بين اللغة والكلام؛ ركز دوسوسير على دراسة اللغة محاولا وضع قوانين ومقولات تساعد الباحثين على الدراسة العلمية لها، ومن بين تلك المقولات– المصطلحات-، التزامن **synchronique** والتعاقب **diachronique**، وهما في نظر "دوسوسير" ثنائية هامة أثناء التحليل اللغوي في أي دراسة؛ ذلك أن الدراسة التزامنية تختص بالظاهرة اللغوية عبر تطورها التاريخي وفي حيز زمني ما« **بصرف النظر عن حالة اللغة قبل وصولها إلى تلك الحال المدروسة وبصرف النظر أيضا عن حالتها بعدما كان ينظر إليها الباحث مثلا في ندى تخصيص اللغة العربية العاقل وغير العاقل باسمين موصولين متميزين (ما، من) ».**[2]

[1]-بسام قطوس:مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص 127.

[2]-عبد السلام المسدي:الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتابة، ط2، 1982، ص129.

أما فيما يخص التعاقب فينظر إليه باعتباره تخلخل البنية عبر انحسار كلمات واعتماد أخرى بدلها فيكون بذلك التعاقب«**دراسة العلائق بين عناصر متعاقبة، يحل فيها كل عنصر محل العنصر الأخر بمرور الزمن»[1].**

وبذلك يحدد هذا التمييز الألسنية التزامنية والتعاقبية طبيعة الدراسات **الفيلولوجية[2]**، التي تهتم بالبحث في تاريخ اللغات البشرية الميتة والشائعة (الحية) من حيث تتبع مسيرتها التاريخية؛ عبر البحث في القواعد، والعلاقات بين هذه اللغات وهذا ما يسمح بتصنيف لغات الإنسان إلى مجموعات أو فئات كثيرا ما عبر عنها الفيلولوجيون بالأسر اللغوية ضاربين أمثلة باللغات السامية.[3]
أو اللغات الهندو أوروبية[4] وغيرها .

---

[1]-عبد الله إبراهيم :معرفة الأخر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1996، ص45.

[2]- وتعتبر **الفيلولوجيا** هي الأصل الذي تفرع عنه علم اللغة أو اللسانيات Linguistics وهي بمعنى علم اللغة، يهتم بدراسة النصوص السنسكريتية القديمة، وهي موضوع دراسة الفيلولوجيا .على أن "الفيلولوجيا"﴿بهذا المعنى الذي أصبح فيما بعد يعرف باسم "**علم اللغة** "﴾ اتجهت اتجاها آخر لم يقنع الدارسون فيه بالنصوص القديمة والوثائق فقط ، وإنما حولوا "تحليل النصوص" إلى "مقارنة الظواهر"، ثم تخطوا الظواهر التاريخية بأن ضموا إليها وصف الأنظمة القائمة باللغات الحية . منهجا فالقدم Diachronicيدرس بمنهج تطوري تاريخي والمعاصرة Synchrinic تدرس بمنهج وصفي Descriptiveأشبه ما يكون بمناهج العلوم الطبيعية، االمرجع تمام حسان "الأصول، دراسة إبيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي"، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1981، ص: 252.

[3]- اللغات السامية :العربية والعبرية والكنعانية السريانية/ينظر:كارل بروكلمان:فقه اللغات السامية، تر:رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1977.ص ص 6-7.

[4]- **اللغات الهندية الأوروبية** تشمل نحو 439 لغة ولهجة –الفرنسية الايطالية الروسية السلافية الألمانية...- يتحدث بها حوالي ثلاثة مليارات شخص بما في ذلك أسر اللغات الرئيسية في أوروبا وغرب آسيا، والتي تنتمي إلى فصيلة واحدة. تحتوي كل فصيلة فرعية في هذه القائمة على العديد من المجموعات الفرعية واللغات الفردية.https://ar.wikipedia.org

كما يذهب "دوسوسير" إلى اعتبار اللغة نظام دوال عرضي أو اعتباطي؛ صادر عن جماعة لغوية معينة تتواضع فيما بينها للربط بين مفاهيم عقلية وأخرى مادية في ضوء تعدد علامات لسانية مختلفة لشيء واحد، ويأتي اختلافها لاختلاف اللغات كقولنا : أخ، **frère**، **Brother**، بالعربية والفرنسية والانجليزية؛ فهناك في المثال ثلاث ظواهر لسانية تطلق على شيء واحد هو الأخ.

ومنه تكون الاعتباطية من وجهة نظر "سوسير" جانب الدلالة وهو ما يتمخض عن علاقة الدال بالمدلول وهذه العلاقة ثابتة وساكنة؛ إذ لا يمكن للفرد أن يغيرها بحسب أهوائه فالعلاقة بالأساس علاقة ضرورية لازمة لإنتاج الكلام المتفق حوله وهو الذي يشكل في نهاية المطاف اللغة أي لغة قوم معينة أو شعب معين.

ويضيف "دوسوسير" مقولة تحدد رؤية الباحث لموضوع اللغة في ضوء علم اللغة الألسني وهي مقولة العلاقات التوزيعية والعلاقات الإيحائية؛ وفيها يشير دوسوسير إلى الإمكانات المتعددة للمتكلم في اختياراته للمادة اللغوية أثناء التعبير وهو اختيار يستند إلى مبدأ الخطية أو الاستقامة الذي يستوجب ذكر عنصر واحد في زمن واحد، أثناء التعبير أو الكلام؛ إذ يستحيل ذكر كلمتين في زمن واحد، فالتعبير مطلقا يتأسس على مبدأ التتابع داخل تركيب لغوي يتعدى دائما عنصرين فيتشكل عبر ذلك التركيب صيغة تحدد دلالة كل عنصر على حدا، وكل من العنصرين في دلالة جديدة « **فعندما تدخل الكلمة في تركيب ما فإنها تكتسب قيمتها بحسب من مقابلتها بما يسبقها أو يلحقها من كلمات**»[1].

وعليه تتحدد الدلالة من علاقات التوزيع والتجاور داخل التركيب (الجملة) **«وهي علاقات يعبر عنها بالفاعلية subjectivité، والمفعولية objectivité، وعلاقات**

[1]- صلاح فضل:النظرية البنائية، دار الشروق، القاهرة ط1، 1998ص26-27.

أخرى تشمل المنعوتات والأحوال والروابط وغيرها وهكذا يتحدد معنى الكلمة أو الإشارة اللغوية في الجملة من موقعها المكاني الذي تحتله أفقيا في الجملة وعلاقاتها بما قبلها وبعدها».[1]

تتيح العناصر السابقة للمتكلم إمكانية تعدد اختياراته في حقل اللغة انطلاقا من الشكل لا من الجوهر، أي من الدال كعيني لا من المدلول كجوهري يشبه "دوسوسير" تلك العلاقة بورقة ذات وجهين؛ الوجه فيها هو الدال والظهر هو المدلول، ولا يمكن تمزيق ظهرها، ومن ثمة فانه لا يمكن القضاء على الدال دون القضاء على المدلول (والعكس صحيح) «**إن الفكر هو وجه الصفحة recto بينما الصوت هو ظهر الصفحة verso، ولا يمكن قطع الوجه دون إن يتم في الوقت ذاته قطع الظهر»[2].**

يوسع "دوسوسير" أفاق البحث في موضوع اللغة عبر منهجين؛ داخلي نسقي يتبع الكلمات في أدق تفصيلاتها البنيوية (الشكلية)، وموضوعي خارجي؛ يحول اللغة بكاملها إلى نسق من العلامات.وقد ركز "سوسير" على النسقية الداخلية للأبنية عادا إياها جوهر البحث اللساني وموضوع علم اللسان أي، اللغة منظور إليها في ذاتها ولذاتها، وهي بذلك تشكل معيار تحديد الأنظمة النوعية الخاصة داخل مجموعة الوقائع السيميولوجية، ومعنى هذا أن اللغة تنتمي إلى تلك المجموعة الكبرى من الأنظمة الرمزية التي تتألف منها الثقافة .[3]

---

[1]- سعد البازعي وميغان الرويلي : دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.ص29.

[2]- زكريا إبراهيم:مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، د.ت، ص49.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 48-49.

2-2- اللغة والكلام عند بلومفيلد؛ [1]Leonard Bloomfield :

أثرت مقولات اللسانيات اللغوية في منظرها السوسيري في أعمال العالم الأمريكي "ليونيل بلومفيلد"، خاصة مقولتي التزامنية /السنكرونية-التي تختص بدراسة اللغة في بعدها السكوني - والتعاقبية / الدايكرونية – باعتبارها مستوى التغييرات الجوهرية لتوظيف اللغة واستعمالها، وهاتان المقولتان تشكلان محورا أساسا في الدرس اللساني؛ إذ لا تنفك عن الظهور أثناء أي بحث لغوي جاد.

طور "بلومفيلد" نظرته إلى اللغة وأعطاها صبغة جديدة تميزها عن وصفها السابق في اللسانيات اللغوية، فتشكلت لديه بذلك رؤية خاصة به ترجمها في مؤلفه الشعير "**اللغة**"؛ حيث عمد إلى تحديد اللغة معتبرا إياها نوعا من الاستجابات الصوتية لحدث معين، فملابسات حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والعقدية تحقق استجابة كلامية لدى الفرد أثناء التعبير عن أحداث معروفة ومتكررة يعايشها الإنسان كالفرح والحزن والجوع والمرض والموت... وهذه العناصر أساسية تستوجب النظر حسب "بلومفيلد" لتحديد السلوك الكلامي.

---

[1]- بلومفيلد Bloomfield 1949م فيعد علمًا من أعلام الدراسات اللغوية في أمريكا، وكتابه" اللغة "يعدونه هناك" إنجيل علم اللغة "؛ إذ إن البحث اللغوي الأمريكي ــ مهما تعددت اتجاهاته ومناهجه ــ يدين بالفضل لهذا العالم ومبادئه، سواء أكان ذلك بالاتفاق معه أو بمعارضته. وقد أفاد" بلومفيلد "من المعين السويسري؛ إذ تأثر به و أخذ عنه فكرتين مهمتين:
الفكرة الأولى :النظرة السنكرونية في التعامل مع اللغة، والأخرى :الفكرة البنيوية للغة في عموم معناها ينظرا لرابط:http://www.alukah.net/literature_language/

وتعد مقولة "السلوك الكلامي"نتاج للتفاعل الحاصل بين علوم اللغة - أو اللسانيات اللغوية- من جهة وبيت علم النفس السلوكي من وجهة أخرى، وهو المنهج العلمي الذي يركز فقط على المثيرات والاستجابة في المواقف التواصلية والخطابية؛ فالكلام في منظورهم – السلوكيون-لا يعدو كونه إلا استجابة طبيعية لمؤثر خارجي، يجعل من الأداء الكلامي مجرد سلوك لا يختلف البته عن سلوك الحيوانات. ويبدو جليا أن تأثر "بلومفيلد" بالسلوكيين هو أدى به إلى اعتبار اللغة **« مادة قابلة للملاحظة المباشرة، وصالحة للقياس الاعتيادي، وترفض أي منحى من الدرس يقوم على النظر العقلي آو التأمل الذهني؛ ومن هنا تثبت هذه المدرسة الاتجاه الذي يقوم على تحليل شكل اللغة، دون دلالتها، لان الشكل يقع في تطاق الملاحظة المباشرة أما المحتوى فخارج هذا النطاق»**[1].

عمقت رؤية "بلومفيلد" للغة أبحاث السلوكيين الذين دأبوا على دراسة العلاقة القائمة بين اللغة والسلوك، ووسعوا مباحثهم حول موضوعات هامة جديدة تختص بالبحث في الظواهر اللغوية كالازدواجية اللغوية **Diglossie** وثنائية اللغة **bilinguisme** والأسلوبية **stylistiques** وكل هذه المجالات لا يمكن أن تخرج عن المسار اللغوي للسلوك الكلامي التي أشار إليها "بلومفيلد" في معرض حديثه عن الأداء الكلامي؛ وهي:

*أحداث عملية سابقة للحدث الكلامي .

[1]- ينظر الرابط :http://www.alukah.net/literature_language
تاريخ الزيارة :13-08-2016

*الحدث الكلامي.

*أحداث عملية لاحقة للحدث الكلامي.

إن العناصر الثلاث السابقة تؤكد على ايلاء **الحدث** الأهمية الكبرى أثناء أي تحليل، ويمكن للباحثين في دراساتهم له الاعتماد على معارف وعلوم ببنية كالتشريح والفيزياء والطبيعيات، ذلك أن الحدث الكلامي ماهو في المحصلة إلا استجابة لحاجيات بيولوجية أو فيزيولوجية قابلة للملاحظة والقياس.

إن تحديد ملابسات الحدث الكلامي من حيث الشكل والتجسد، قد دفع بالسلوكيين إلى تجنب دراسة المعاني مكتفين فقط بالبحث في شبكة القوانين العامة التي تحكم السلوك اللغوي؛ ذلك أن معرفة السلوك اللغوي في حد ذاتها إنما تتم عبر عدة روافد علمية كالصوتيات أو علم الأصوات والبنيات الشكلية للغة والقواعد النحوية وغيرها لذلك يبقى المعنى بحاجة إلى معارف لم تكتسب بعد لبلوغ كمال الدرس اللغوي.

وبناء على ما سبق؛ تغدو أبحاث "بلومفيلد" –ومن سار على دربه- أبحاثا شكلية بامتياز لأنها توغل في دراسة الأشكال بمنهجية آلية تنأى عن التأمل الذهني وتتجنب عمدا البحث في مستوى الدلالة؛ وربما كانت هذه النقطة الحد الفاصل بين رؤية" بلومفيلد" في علم النفس السلوكي ونظرة "سوسيير" للغة والكلام.

2-3-اللغة واللسانيات عند تشومسكي-N.Chomski[1]:

أورد جون ليونز تعريف تشومسكي للغة يقول: "سأعد منذ الآن اللغة مجموعة (متناهية أو غير متناهية) من الجمل، كل جملة فيها محدودة في طولها قد أنشئت من مجموعة من العناصر، فجميع اللغات الطبيعية في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم، طالما أن كل لغة طبيعية لها عدد محدود من الفونيمات (الوحدات الصوتية أو حروف الألفباء) ويمكن أن تمثل كل جملة بمتوالية من هذه الفونيمات أو الحروف مع وجود عدد كبير غير محدود من الجمل. وهذا تعريف لا يتكلم كما نرى عن الوظيفة الإبلاغية للغة، طبيعية كانت أم غير طبيعية، ولا يتعرض للطبيعة الرمزية للعناصر اللغوية أو للمتتابعات من هذه العناصر، لأن الغرض من هذا التعريف هو التركيز على الخصائص التركيبية للغة.[2]

يعتبر " تشومسكي" اللغة الإنسانية اللغة الأكثر تطورا لدى الكائن، لأن الإنسان في مقدوره أن يطوعها ويستعملها في أشكال مختلفة من التواصل لا سيما جانب الإبداع /الخلق/والإنتاج التي لا نجدها في لغة الحيوان؛ فهي لغة قابلة للنمو والتجدد يميزها الاشتقاق والتوليد، وهي مادة الفكر التي تستطيع التعبير عن أفكار ووجدان

---

[1]- ولد أفرام **نعوم تشومسكي** في 7 ديسمبر 1928 بفيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكيّة، في بيئة يهوديّة فتعلّم العبريّة. انكبّ على دراسة الفلسفة واللسانيّات في جامعة بنسلفينيا منذ سنة 1945. تحصّل على درجة الدكتوراه سنة 1955 عن بحث في التحليل التحويلي من كتاباته : القوّة الأمريكيّة والاستنزاف الجديد للعقل، ماذا يريد العمّ سام؟، المثلث المشؤوم: الولايات المتّحدة، إسرائيل، والفلسطينيّون، قوى واحتمالات: تأمّلات في الطبيعة الإنسانيّة والنظام الاجتماعي، عام 501: الغزو يستمرّ، ثقافة الإرهاب، أوهام ضروريّة: السيطرة على الفكر في المجتمعات الديمقراطيّة، الدول المارقة **.للإطلاع**: أبو زيد، محمود. .(أعلام الفكر الاجتماعي والانتروبولوجي الغربي المعاصر . القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. د.ت ج1. ص ص 183-189.

[2]- يحي عبابنة وآمنة الزعبي: علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، دمشق، دت، ص 10.

الإنسان؛ فالملكة اللغوية إذن –حسب تشومسكي-«**خاصية راسخة في الجنس الإنساني ومكونا من مكونات العقل الإنساني وخاصية تحول الخبرة إلى قواعد».**[1]

بذلك يميز " تشومسكي" في عرضه لمفهوم اللغة بين القدرة الكلامية للإنسان وهي معرفته بلغته أي اللسان، وبين الأداء الكلامي؛ المرتبط بملابسات الحياة والظروف الخارجية الموضوعية التي يحياها فالأفراد غالبا ما يعبرون عن شيء واحد بخطابات متعددة تجعل اللغة «**واحدة من الخصائص المقصورة على النوع الإنساني في مكوناتها الأساسية وهي جزء من إعدادنا الإحيائي المشترك shared biological endowment الذي لا يختلف فيه إلا أعضاء النوع الإنساني إلا قليلا مع استثناء من يصاب بعيب عضوي شديد»**[2].

وتأسيسا على ذلك، تصبح اللغة القواعدية لغة معيارية؛ تحدد أهم البناءات الجاهزة التي ندركها حسب تلك القواعد، في حين تبدو اللغة الإبداعية أكثر إنتاجية لدى المتكلمين عبر استعمالهم السوي للغة الملائمة للمقام المعبر عنه، وهذا ما يتكرر من السامعين في حالة التعبير عن المقام نفسه إما بالصيغة الموروثة (الطريقة القديمة) أو عبر صيغ يتم إنتاجها، وتكون بذلك إنتاجا جديدا.

يقول "تشومسكي" في هذا الصدد:«**الخطابات إنتاجية (إنتاجية الجديد) من هذا النوع ليست سلسلة من الجمل المبعثرة، بل هي ملائمة للمقام الذي قيلت فيه من غير أن يكون هذا المقام سببا لوجودها وذلك اختلاف جوهري رغم غموضه فالاستعمال السوي للغة حر وغير محدود ومع ذلك فهو ملائم للمقامات ويعده**

[1]- ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982، ص25.

[2]- نعوم تشومسكي :اللغة ومشكلات المعرفة، تر:حمزة بن قبلان، دار طوبقال، المغرب، 1990، ص14.

المشاركون في الحديث كذلك وربما يتصرفون بطريقة مماثلة، كما توافق أفكارهم التي أثارتها أفكار المتكلم»[1].

ولتوضيح فكرة اللغة الإبداعية الإنتاجية، يضرب "تشومسكي" المثل بمتكلمين اسبانيين لهما ذات المعرفة بقواعد اللغة الاسبانية، وعلى الرغم من نطقهما ومعرفتهما بالكلمات إلا أنهما قد يختلفان في الإنتاج فقد يعبر الواحد منهما بشعر راق عظيم، أما الثاني، فربما لن يخرج عن اللغة العامية السوقية **وبعبارات مسكوكة** جاهزة كما عبر عن ذلك "ميخائيل باختين".

[1] - - المرجع نفسه، ص18.

إن التمييز الذي أقامه" تشومسكي" بين الأداء والكفاية، يشبه إلى حد كبير تمييز "دوسوسيير" بين اللغة **langue** والكلام أو المحادثة **parole** وكلاهما يستأنس على التفريق بين ما هو لغوي وغير لغوي.وبعيدا عن "سوسيير" الذي لم يهتم بالأصول القواعدية التي تشكل الجمل وتولدها، يذهب " تشومسكي" إلى فكرة توليد الجمل وصياغتها بناء على قدرة المتكلمين، ونظير هذه المقدرات يمكن مقاربة اللغة باعتبارها خاصية الفهم والبناء لعدد كبير من الجمل التي تعمل على تثبيت مقولة «**اللغة ملكة في الإنسان فطرية وهي تخص النوع الإنساني وحده ..وهذه الملكة وراثية وهي فريدة من نوعها /ومن هنا، فان خاصية عالمية يمكن للدارس أن يفسرها على أنها انعكاس لبنية العالم الخارجي آو لمقولات المنطق وهي تفسيرات كلها مرفوضة**».[1]

يرى "تشومسكي" أن اللغات المنتشرة في العالم خصوصا المعروفة والمتداولة بشكل كبير تتميز بعدة خصائص بنائية متعددة، من بينها أنها شديدة التعقيد، توسم في مجملها بالاعتباطية -كما قال بذلك "سوسيير "- بناء على العرف والوراثة في اكتساب مفردات اللغة؛ وهذا ما يضيق دائرة البحث اللغوي –حسب تشومسكي – لأنها بذلك الشكل لا تقدم تفسيرا واضحا لحقيقة اللغة أو الوظيفة التي نصبو من خلالها اعتماد أشكال لغوية أثناء عملية التواصل.

وبناء على ذلك فالبحث في مستوى اللسانيات الاجتماعية يضع حدا فاصلا لعملية «**الفصل الوهمية القائمة بين اللغة والناطقين بها وذلك على أساس العــلاقة**

1 - جون لوينز:اللغة واللغويات، مرجع سابق، ص 209.

القائمة بين هذين العنصرين فتاريخ اللغة هو في الوقت نفسه تاريخ الناطقين بها»[1].

ومن ثمة؛ أمكن للباحثين والنقاد التمييز بين بنيوية "سوسيير" القائمة على دراسة اللغة باعتبارها انساقا مغلقة، وبين بنيوية "تشومسكي" التوليدية التي تهتم باللغة مادة وبسياقاتها التي تشكل فضاء لوظائفها؛ باعتبار أن السلوك اللغوي في حد ذاته لا يقوم على القدرة اللغوية فقط، بل يتجاوزه إلى مستوى الأداء؛ الذي يدخل في تحديده عدة عوامل غير لغوية تدخل في تشكيل الكلام/الخطاب؛ وأهمها« **الأعراف الاجتماعية والمعتقدات عن العالم المحيط وانفعالات المتحدث العاطفية مع من يتحدث الخ ومن الناحية الأخرى تضم العمليات التي تؤديها الآليات السيكولوجية والفزيولوجية خلال إصدار التفوهات** ».[2]

3- اللغة واللسانيات الاجتماعية:

لم تعد اللغة مجرد أداة تواصلية عادية يستعملها الأفراد في يومياتهم، بل صارت حلقة هامة في سلسلة الملكات الإنسانية التي تشكل بناءات الوعي الجماعي والفردي ومختلف أشكال الثقافة، التي تبدو في أشكالها المنتظمة كالفنون والآداب مثلا.وبذلك أصبحت اللغة تتجاوز التعبير عن الحالة الفردية إلى حالة الجماعة التي تساير حركة التاريخ؛ فكل تغيير في مناحي التواصل الجماعي له تأثير مباشر في تواصل الأفراد فيما بينهم.

وقد أدت العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع إلى انفتاح المعرفة الاجتماعية تجاه حقل اللغة سواء في بعدها التنظيري /اللسانيات اللغوية، أو في بعدها الدلالي

---

[1]- عبد الكريم بوقرة:علم اللغة الاجتماعي، مطبوعات جامعة محمد الأول، كلية الآداب، وجدة، المغرب ص03.

[2]- جون لوينز:اللغة واللغويات، مرجع سابق، ص210.

الاجتماعي؛ الذي يتمخض عن إنتاج التلفظ.وباعتبار اللغة قاسما مشتركا بين اللسانيات والاجتماعيات فإن سطوة اللغة كمادة فاصلة في الدرسين أدت إلى ميلاد اللسانيات الاجتماعية؛ التي سعت إلى خلق حوار تفاوضي دائم ومستمر بين اللغة /اللسان، والمستعمل سواء كان فردا أو جماعة.

أطلق على هذا العلم –علم اللسانيات الاجتماعية – **la linguistique sociale** أو **socio linguistique**. الذي يعنى بدراسة الوظيفة الاجتماعية للغة « **أي تدرس التبدلات الاجتماعية للغة في علاقتها بالمتكلمين الناطقين، من حيث السن والجنس، والفئة الاجتماعية، والوسط ــ، والوسط المهني، والمستوى التعليمي وتحليل العلاقة القائمة بين اللغة والممارسات الاجتماعية /العائلية والدراسية والوظيفية/ثم تفسير الوظيفة الاجتماعية للغة والاهتمام بقضايا لغوية واجتماعية كبرى تتعلق باللغة الأم وموت اللغات، وعلاقة اللغة باللهجة والفصيلة، والثنائية والتعددية اللغوية، والأنظمة المركبة والمعقدة وتدبير التعدد اللغوي والسياسات اللغوية والتخطيط اللغوي**»[1].

يستفاد من التعريف السابق، أن المحور الأساس للسانيات الاجتماعية يكمن في مقاربتها لطبيعة الكلام المنطوق أو المتلفظ في إطار حدث اجتماعي معين، والبحث في علاقات السياق التواصلي وما يحمله من دلالات ومعان، سواء كانت صريحة آو مخفية؛ وتقارب زاوية النظر هذه- أي البحث في الكلام لا اللغة- إرثا نقديا له باع طويل في أبحاث النقاد الشكلانيين والبنيويين كما هو الحال في أبحاث "ميخائيل باختين" في موضوع الرواية ومبدأ الحوارية، حيث عمل على تحديد طبيعة البحث

[1]- عبد الكريم بوقرة :علم اللغة الاجتماعي، مطبوعات جامعة محمد الأول، كلية الآداب، وجدة، المغرب، ص11.

الاجتماعي للغة عبر الحفر في المتون الروائية عن الأنساق الاجتماعية والثقافية الثاوية والظاهرة للخطابات التي تظهر عند الأفراد ثم تنتشر لدى الجماعة .

هكذا تقوم اللسانيات الاجتماعية على مرتكزات أساسة أهمها الفرد المتكلم وملابسات ظروف الجماعة التي لا تخرج عن «**الإطار الجغرافي، والعمر، والجنس، والأصل الاجتماعي، وسياقات استعمال اللغة لذا اثبت العالم الاجتماعي وليام لابوف William Labov[1] صعوبة فصل اللغة عن المكون الاجتماعي الأساسي فيها، ومن ثم أشار إلى أهمية ربط اللغة من اللغات بالسياق الاجتماعي العام الذي تنشا فيه تلك اللغات لدرجة استبعد فيها أي إمكانية للفصل بين اللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي .وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية فان اللسانيات لا يمكنها أن تكون إلا علما اجتماعيا، وبالتالي فعلم اللغة الاجتماعي هو اللسانيات»[2].**

وعليه؛ تبدو اللسانيات الاجتماعية منهجية علمية تستهدف عمليات الأداء اللغوي ومقامات الكلام، دون التمييز التجريدي بين اللغة –باعتبارها إشارات ورموز- وبين الكلام –باعتباره الصورة النهائية للتركيب اللغوي الدلالي؛ وهذا ما يدفع بالبحث السوسيو- لساني إلى اعتماد الأداء الكلامي بمعزل عن الكفاية اللغوية كما عبر عن ذلك الناقد نعوم "تشومسكي".

---

[1]- يعد ويليام لابوف المؤسس لعلم اللسانيات الاجتماعي. دراسته لـــ "التقسيم الطبقي الاجتماعي للغة" مهدت الطريق لعلم اللسانيات الاجتماعية الحديثة. كان من أوائل الناس الذي توصلوا إلى أن استخدام اللغة يعتمد على البيئة الاجتماعية. ويعد أيضا المنشئ لنظرية "تناقض المشاهد "Observer's Paradox"، التي تعني تأثر المشاهدات والملاحظات لأي حدث أو سلوك بالمُشاهد أو الشخص الذي يقوم بالملاحظة ينطر الرابط:https://phiscience.co/nova/article

[2]- الرابط:https://phiscience.co/nova/article، مرجع السابق، ص 5.

من خلال ما تم عرضه؛ يمكن تحيين توجه اللسانيات الاجتماعية لمقاربة الكلام الذي يقوم على ترسيخ قاعدة الاهتمام أثناء البحث بالملكات اللغوية نظرا لما لها من تأثير بالغ وهام على مستوى حياة الأفراد والمجتمعات.إذ اتجهت دائرة بحثها إلى مستويين مختلفين للدراسة؛ الأول وهو «**اللسانيات اللغوية linguistiques de la langue** والثانية؛ **لسانيات الكلام linguistique de la parole التي وسعت مباحث الدرس اللغوي الاجتماعي إلى درجة قيام فروع متخصصة قائمة بذاتها مثل؛ علم اللغة الأثنولوجي ethno-linguistique** وعلم **اللغة الاجتماعي socio linguistique** وعلم **النفس اللغوي أو علم نفس اللغة psycho-linguistics أو psychology of language**»[1].

4- وظائف اللغة:

4-1-الوظيفة التواصلية:

يكاد يجمع كل من الفلاسفة والنقاد والعلماء على أن ملكة اللغة لدى الكائن الإنساني هي ضرورة فطرية ذات بعد تواصلي إذ ينزع الإنسان إلى فعل التعبير أو الكلام لأغراض بيولوجية أو نفسية أو اجتماعية قصد خلق حالة من الانسجام إزاء ما يقابله من مواقف، وتظهر اللغة عنده بسيطة وتتدرج في الاغتناء بحسب تدرج سنه، فتنمو اللغة تتشكل عبر تراكم المعارف والخبرات اللسانية وما يقابلها من إشارات ورموز تدخل في تشكيل الخطاب أو الرسالة التي ينقلها الإنسان بالتلفظ أو التواصل مهما كان شكله.

1-محمود فهمي حجازي: أصول البنائية في علم اللغة والدراسات الاثنولوجية، بيروت 1972، ص ص 151-180.

وتعد الوظيفة الاجتماعية للغة من أكثر غايات فعل التواصل الذي تبتغيه اللغة الإنسانية؛ فعبر هذه الوظيفة ينطلق الإنسان في ربط علاقات مع المحيط الخارجي ينتج عنها مواقف محددة تستدعي منه التعبير عنها على حسب الحاجة إن كانت بيولوجية آو روحية .

يعد العالم "لوفيفرHenri Lefebvre "[1] من أهم الباحثين الذين نظروا للوظيفة التواصلية للغة عبر ربطها بالفضاء الاجتماعي مشيرا إلى أهمية الحقول المجاورة لعملية التواصل اللغوي في تحديد قيمة الوظيفة التواصلية لدى أي مجموعة بشرية رابطا إياها بالفضاء الاجتماعي ببعده السياسي والاقتصادي والثقافي .ويشير "لوفيفر" إلى أن عملية توسيع «**فعالية اللغة عموديا وأفقيا أي من الدال والمدلول ومن التجريد إلى الواقع إضافة إلى حضور التواصل عبر الكتابة بشكل واسع ودقيق يستدعي بالضرورة الاهتمام بما يجاور اللغة ففي البراكسيس يتواصل الناس بقرينة القول المحسوس بقدر ما يتواصلون وبأكثر ما يتواصلون باللسان والقول منفردين ذلك أن الوجوه والألبسة والأثاث والإيماءات الاحتفالية آو العفوية والموسيقى والأغاني ...الخ تقوم بدور يعادل اللسان»[2].**

على الأساس السابق، يقر "لوفيفر" عدم شمولية الظاهرة الاجتماعية للسان؛ حيث بنى موقفه هذا بناء على نظرة فلسفية مؤداها أن هناك تصورات مقبولة بشكل غامض يحددها فوق اللسان على المستوى تحت اللغوي ... فاللسان مستوى متوسط يقيم انتقالا دائما بين اللغوي التحتي والفوقي ولعل هذا ما أشار إليه سابقا "تشومسكي"

[1]- هنري لوفيفر(1901-1991) عالم اجتماع، ومخطط حضري وفيلسوف فرنسي.ينظر باسم : Henri Lefebvre- تاريخ الإطلاع: 9 أكتوبر 2017 الرابط/http snaccooperative.org/99166

[2]- عبد القادر دهام :الدلالات الاجتماعية للغة، دار نوافذ للنشر، عمان، الأردن، 2011، ص27.

بالحدث الكلامي الذي تجب مراعاة الظروف الخارجية لمقتضيات تشكله أثناء فعل الخطاب.

4-2-الوظيفة التعبيرية:

إن الوظيفة الاجتماعية للغة تجعل منها مادة تعبيرية في الآن نفسه الذي تظهر فيه للعلن فتحمل بذلك وظيفة جديدة هي الوظيفة التعبيرية التي تشكل رافدا أساسا من روافد استعمال اللسان، إن الوظيفة التعبيرية بقدر ما هي خاصية فردية تنبع من الذات إلا أنها ذات بعد جماعي يظهر في استعمال اللغة بشكل متواصل للتعبير عن حاجات الأفراد، سواء في تعبيرهم عن ذواتهم، آو في التعبير الجماعة عن نفسها من خلال اللغة والأداء .

ويعد التعبير الفردي اللانمطي المتميز والإبداعي خير مثال على الوظيفة التعبيرية فتعبير الفنان والفيلسوف والناقد ليس ذاته تعبير العامة من الأفراد النمطيين أو العاديين، فإمكان فرد واحد أن يعبر بفعالية عالية عن أرائه ومواقفه التي تشكل مستوى مثالي للرؤية والخطاب الذي تصبو له الجماعة ويبدو ذلك في مقولات الفلاسفة وتنظيرات العلماء والمفكرين كـــ"أفلاطون" و"أرسطو" و"هيغل" و"ماركس".

وإذا ما تجاوزنا البعد التعبيري للسان فإننا سنكون حتما أمام وضعيات خطابية تدخل ضمنها مستويات تعبيرية أخرى كالرسم والنحت والموسيقى؛ تنبئ عن قدرة الإنسان على خلق أشكال متنوعة للتعبير بغير اللسان أو قدرته على دمج تلك المستويات غير اللسانية في خطابات ذات بعد لغوي/لساني، كما هو الحال في الأعمال الأدبية السردية التي تقوم على إعمال اللغة وصفا وسردا وتمثيلا.

تتمثل هذه الوظيفة في الجانب السوسيولوجي أي ما يربط الفرد بمجتمعه وهي علاقة خاصة بالتفاعل الحاصل بينهما وهي قناة تتيح له بالتعبير عن ألامه وأحلامه

ومسراته باعتباره فاعلا ومنفعلا في المجتمع الذي يحيا فيه إذ الفرد في النهاية تشكيل ثقافي يخضع للجماعة في اغلب الأحيان .

وتتأتى الوظيفة التعبيرية للغة من حيث توظيفها لترجمه الأفكار الكامنة في الذهن والوجدان فالفرد عندما **« ينطق ببعض الكلمات إنما يفعل ذلك لكي يعبر؛ أي ينقل العواطف والأحاسيس والأفكار من الداخل والخارج »**[1]فيؤسس ذلك نسيجا ثقافيا اجتماعيا سواء باللغة أو بدلالاتها المتمثلة في الرموز والإحالات؛ وهذا ما ينتج عنه ما يعرف بالتجربة الشخصية – أي ما يشعر ويقوم ويختزنه وعي فرد ما- **«سواء أخذت هذه التجربة صيغة تعيين أم شك أو رغبة أو حاجة ويمكن للتبليغ أن يتم في قالب إثبات أو استفهام أو طلب أو أمر دون أن يخرج عن إطاره الخاص»**[2].

4-3-الوظيفة الرمزية:

يعيش الإنسان وهو يسعى إلى خلق أشكال تواصلية تساعده على تيسير ملابسات التعامل اليومي وتسهيل مسارات حياته وذلك عبر تطويع اللغة كأداة أساسة للتواصل وبناء المعرف وطرق العلوم.وقد شكلت اللغة –منذ القديم-أساس التعبير الفعلي والصادق عن حياة المجتمعات باعتبارها ترجمان لسانها الناطق لأفكارها وقيمها وأعرافها، كما أنها أساس كل شعور وحديث كل ذاكرة سواء أكانت فردية أم جماعية .ومافتئ الإنسان يطور لغته منذ فجر التاريخ إلى إن استقامت في العصور الحالية إلى **«طريقة إنسانية خالصة للاتصال الذي يتم بواسطة نظام من الرموز**

[1]- حنفي بن عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ت، ص73.

[2]- سليم بابا عمر: اللسانيات العامة الميسرة، انو، الجزائر، 1990، ص 69.

التي تنتج طواعية فاللغة نظام، ولا يستطيع المتكلم أن يغير تتابع الكلمات إذا أراد الإفهام – بشكل غير دال»[1].

تلعب اللغة الرمزية دورا كبيرا عند اللغويين في خدمة الثقافة الاجتماعية وذلك لأهمية الرمز الذي يمتلك قوة إيحائية بفعل الدلالة المتواضع عليها في المجتمع والتي تشكل حدود الفهم والتأويل.إن اللغة تستثمر الرموز بشكل يسمح لها بتحويل بعض الوقائع الاجتماعية إلى مفاهيم خاصة بالجماعة في ظل تعدد توظيف الرموز في الخطابات المتنوعة وبأشكالها المختلفة **«فألفاظ اللغة تمثل رموزا تسير إلى الموجودات في العالم الخارجي وبالتالي فان اللغة تستخدم كوظيفة رمزية »[2]**تعكس الحياة والظروف الاجتماعية باستخدام نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية يتم بواسطتها التعارف بين أفراد المجتمع، فتخضع هذه الأصوات للوصف من حيث المخارج أو الحركات التي يقوم بها جهاز النطق ومن حيث الصفات والظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الظواهر النطقية.[3] تتداخل هذه الوظيفة مع وظائف أخرى منها الوظيفة النفعية **function instrumental** التي تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم وان يعبروا عن رغباتهم وما يريدون الحصول عليه من البيئة المحيطة وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد".[4]

---

[1]- محمد كامل الناقة وفتحي يونس:**أساسيات تعليم اللغة العربية،** مقال على شبكة الألوكة الأدبية ؛الرابط:http://www.alukah.net/literature_language/0/7427 /ص08.

[2]- جمعة يوسف :سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص ص 23-24.

[3]- ينظر:عمايرة خليل أحمد: في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، ط1، بيروت، لبنان، 1987، ص9.

[4]- نور الدين النيفر : فلسفة اللغة واللسانيات، مؤسسة أبو وجدان للطبع والتوزيع، تونس، ط1، 1993ص152.

بالإضافة إلى الوظيفة الشخصية **function personnelle** النّي تتيح للفرد عن خصوصياته الفردية ورؤاه ومشاعره وهي سبيل لإثبات الذات وانتمائها الهوياتي، ناهيك عن الوظيفة التنظيمية **function regulatoire** فمن خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم – ولو بشكل نسبي – في سلوك الآخرين وتعديله بما يتماشى ومصلحته عبر نقل الأفكار أو توضيح أشياء من هذا القبيل أو حتى للتعبير عن الشعور، وصولا إلى الوظيفة التخييلية **function imaginaire** التي تهم الفرد أوقات شعوره بالتحرر نسبيا من ضغوط الواقع عن طريق وسيلة من صنعه هو تعكس انفعالاته وتحاربه وأحاسيسه وشحذ همته للتغلب على صعوبة العمل وإضفاء روح الجماعة كما هو الأمر في الأغاني والأهازيج التي يرددها الأفراد في الأعمال الجماعية أو عند التنزه.[1]

إن الحديث عن وظائف اللغة هو حديث عن الإنسان في كل سكناته وحركاته في واقعه وخياله وهذا ما يمنح اللغة تعددا كبيرا في مستوى الوظائف لا سيما في عصرنا الحالي الذي توسعت دائرة الاهتمام فيه بالوظائف وبخاصة بعد الثورة التقنية في مجال الإعلام والاتصال.

[1]- المرجع نفسه، ص ص151-154.

5- مفهوم الهوية:

شغل مفهوم الهوية حيزا كبيرا في مجالات المعرفة قاطبة وصار ميزة أساسية في فكرنا المعاصر الذي ما فتئ يوظف الكلمة وفق تصورات متباينة تخضع في الغالب لسلطة المرجعيات الفلسفية والخلفيات المعرفية التي بدورها أدت إلى اختلاف عميق بين المستعملين للمصطلح سواء من حيث الجوانب التنظيرية له أو من حيث الجوانب المنهجية لاستعماله تعبيرا وتحليلا.وقد ارتبط المفهوم بالإنسان وبحياته لذلك

شكل المفهوم ولا يزال مادة علمية للنقاش والإثراء باقية مدام هذا الكائن على قيد الوجود.

والحقيقة أن البحث عن موضوع الهوية هو بحث عن الإنسان في الزمان والمكان، بحث عن الكائن في حد ذاته، عن تمايزاته واختلافاته عن تفرده واجتماعه لذلك أشار الأوروبيون القدامى من إغريق ولاتين في معارفهم الفلسفية والفكرية إلى مصلح الهوية وعنوا به الشيء نفسه آو الشيء الذي ما هو عليه؛ وفي الانكليزية **identity** وبالفرنسية **identité** ,وقد قصد به الفرنسيون مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخص معروف «**طابعه مطابق لجميع الخصائص والظروف التي تجعل الشخص شخصا محددا**».[1]

بذلك تكون الهوية بالمنظور الغربي ما يعادل الحرف اللاتيني **id** ومنها اشتق لفظ **identity** الذي ينطوي على معان كثيرة مثل **identical** بمعنى التماثل وقد استعمل بهذا الصيغة من قيل المفكر "دريفر؛ **Driver** " **الذي قدمه على أنه ما يساوي أو يعادل نفس الشيء أو المشابه من كل النواحي وهو يقترب في ذلك من**

[1] -Dictionnaire Larousse de poche. imprimé par Brodard et Taupin .librairie général Française .Paris1988.p 209.

رأي "جورج جروديك؛ G. George"في علم النفس عندما استعمل المصطلح id ليدل على أمر غير شخصي في الطبيعة الإنسانية ويقوم مبدأ الهوية على الموجود هو ذاته.[1]

كما تم اشتقاق كلمة **identification**وصارت مصدرا للتصنيف والتعريف نتج عنه تعيين مباحث خاصة بالبحث في الهويات لا سيما بعد أن تمت ملاحظة تداخله مع مصطلحات قريبة مثل الأنا والذات والأخر والهو مع مراعاة بعض الفروق التي نتجت عن وصف الهويات مثل : «**الهوية المطابقة آو العينية mémeté بالفرنسية و idem التي تعني نفس الشيء وتشير أساسا إلى نفس العدد رغم أنها أصبحت على يد هيغل تشير إلى نفس الكيف**»[2]. ونجد ما يقابلها باللغة الانجليزية مادة **sameness** الذي يعني الهوية المتغيرة في الزمن والمتقاربة مع مفهوم الجوهر عند "أرسطو **Aristote**"، في حين أن الهوية تتخذ مفهوم الذاتية **ipséité** أو **identité** التي تعني وجود نواة لا تتغير في الشخصية.

كل هذه المصطلحات تصب في خانة واحدة هي الهوية كصفة ملازمة للوجود "ودلالته بالنسبة للفرد والجماعة وبتحديد اكبر يمكن القول أن «**الهوية تشكل ديناميات مشكلة للمعنى والدلالة وفقا لسمات ثقافية تأخذ مكان الأولوية ...فهي مصدر أولي من مصادر الدلالة والمعنى**».[3]

وقد ذهب الفلاسفة إلى اعتبار الهوية تماثل يصل حد التطابق مع لفظ الماهية أي؛ جوهر الشيء وحقيقته، وهو ما عبر عنه الباحث العربي "حسن حنفي" بقوله:

---

[1]- محمد إبراهيم عيد : الهوية والقلق والإبداع، القاهرة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، ..ص19.

[2]- ميخائيل أنورد:معجم مصطلحات هيغل، تر:إمام عبد الفتاح،، المجلس الأعلى للثقافة، مصر د.ط، ص 254.

[3]- علي أسعد وطفة :**الهويات الأصولية في عصر العولمة**، سوريا، ع2010/557، ص42.

« الهوية تماثل بين الأنا والهو في حين أن الماهية تماثل بين الشيء ونفسه وهو أيضا لفظ مشتق من أداة الاستفهام "ما" وضمير الغائب المؤنث"هي" ويستعمل في التعريف؛ في حين أن لفظ الهوية يستعمل في الوجود، أما لفظ جوهر فهي صورة فنية من المعادن الثمينة ويعني اللب والحقيقة آو أغلى ما في الشيء ».[1]

وتأسيسا على ما سبق؛ يتبين أن مفهوم الهوية مفهوم فضفاض وعائم يختلف باختلاف حقول المعرفة وهو مفهوم له دلالته اللغوية واستخداماته الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية وقد استخدم على أنحاء شتى للتدليل على الهوية الفردية، وهوية الأنا، والهوية الجماعية، والهوية العرقية والهوية الثقافية".[2]

شكلت الصيغ السالفة الذكر، فكرة ارتحال المصطلح من بيئة إلى أخرى، فظهر بمفاهيم شتى تعددت بتعدد المعارف كالفلسفة والأنثروبولوجيا والسيكولوجيا والسوسيولوجيا، فهي حقيقة جوهرية تتغير وتتطور بتطور الحياة و« **تتشكل عبر صيرورات تاريخية واجتماعية وفعاليات إنسانية متنوعة، وهي لا تهبط علينا من السماء وبالتالي يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي :كيف تشكلت الهوية وما هي عوامل صيرورتها ؟/سيما وان عددا كبيرا منها تشكلت وفقا لمعايير التاريخ والجغرافيا والخبرة فهناك مادة مشكلة لها »**[3].

وعلى هذا النحو؛ فالحديث عن الهوية هو حديث عن بحث مضن تتشابك مجالاته وتتداخل بفعل قيمة المصطلح المثير للجدل باعتباره معينا لا ينضب في

---

[1]- حسن حنفي:**اللغة والاغتراب في الوعي العربي**، مجلة تبيين للدراسات الفكرية والثقافية، الدوحة، قطر، عدد 1، مج1، 2012، ص6.

[2]- محمد إبراهيم عيد : الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص17.

[3]- علي أسعد وطفة : **الهويات الأصولية في زمن العولمة**، مرجع سابق ــص43.

البحوث الإنسانية قاطبة، وهذا ما دفع بعدة باحثين وأكاديميين إلى تجنب بعض استعمالاته لأنها قاصرة عن الدلالة ومدعاة للغموض .

ويعبر عن ذلك؛ عالم النفس "كوتلوب فريج؛ **Gottlob.F"[1]: « الهوية مفهوم غير قابل للتعريف وذلك لان كل تعريف هو في حد ذاته هوية، ولذلك لا يمكن تعريف الهوية ».[2]**

على الرغم من صعوبة التعريف إلا أن الاشتغال المعرفي حول الهوية يبقى مجالا خصبا للدراسات الإنسانية؛ إذ مشكلة الهوية بالأساس كما قال النفساني "فروم **From"[3]** كامنة «**في الإحساس بالهوية-وهي-تنبثق من ظروف الوجود الإنساني نفسه ــ وهي مصدر أقوى وأعمق ما يبذله الإنسان في حياته»**[4].

الهوية إذن، إحساس بالذات وإدراك لها، وتعبير عن الحرية، إدراك لذات مقرونة بجسد إنساني فردي له ما يميزه عن كل شبيه له، وهي «**ليست شيئا معــطى بل هي شيء يخلق لا يشعر به أي إنسان كــوعي مباشر؛ فالإنسان**

---

[1]- كوتلوب فريج **Gottlob.F** 1848-1925 عالم رياضي ومنطقي ألماني له مشاركات هامة في تأسيس فلسفة القرن العشرين يعد من اكبر المناطقة بعد أرسطو.الرابط:.**www.wikipedia.com**

[2]-مصطفى بن تمسك : **في التأصيل المفهومي للهوية، محور الدين والهوية**، إصدارات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، تونس، ع13 مايو2013،، ص13

[3]- اريك فروم **From**، 1900-1980 عالم النفس الاجتماعي، ولد في 23 مارس 1900 في فرانكفورت بألمانيا لعائلة يهودية محافظة بدا دراسته في جامعة فرانكفورت سنة 1918 نال الدكتوراه سنة 1922 هاجر إلى الو.م.ا1939 اشتغل بروفيسور بجامعة ميتشيغن من 1957 إلى 1961 توفي في 18 مارس 1980من كتبه:الإنسان من ذاته 1947، اللغة المنسية نقلا عن /جوزيف أيوب، اريك فروم، الدين والتحليل النفسي بتاريخ 2014/03/18 الرابط:**www.alhiwar.cim**

[4]-علي أسعد وطفة:**الهويات الأصولية في زمن العولمة**، مرجع سابق، ص95.

...يوجد أولا يعيش أولا ثم يعي ذاته ثانيا ويأتي الوعي الذاتي بعد الوجود البدني»[1].

وبذلك تنتج الهوية عن بناء تدريجي يتماشى ونمو الإنسان الجسدي والفكري فالإنسان في مسيرة نموه **« يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنتيه وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءا من هويتها حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها »**[2]؛ وهذا ما يعرف في علم النفس بالوعي بالذات وهي درجة يصل إليها الإنسان اثر تفاعل ذاته والمحيط الخارجي وهي درجة من درجات فهم الكائن لوجوده – أي ذاته-.

يقول عالم النفس"**هنري والون؛ Wallon** "[3]:

«الوعي بالذات ليس أساسيا وبدائيا..إنه منتوج جد مختلف عن النشاط النفسي؛ في سن الثالثة فقط، يبدأ الطفل في السلوك والتعرف على نفسه، كفاعل مختلف عن الآخرين؛ وكي يصل إلى تحليل ذاته وإلى البحث عن الصيغ التي تساعده على محاولة التعبير عن فرادته الذاتية ينبغي له أن يكون موضوعا لتطور يصل

[1]-حسن حنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، القاهرة، ط1، 2012، ص10.

[2]-حبيب صالح مهدي: دراسة في مفهوم الهوية، هيئة التعليم الفني، بيروت، د.ت، ص03.

[3]- **هنري والون** 1879-1962 عالم نفس فرنسي له درجة الأستاذية في الفلسفة 1902-1908.دكتوراه في الطب، من مؤلفاته مبادئ علم النفس التطبيقي 1930/أصول الطبع لدى الطفل، من الفعل إلى الفكر محاولة في علم النفس المقارن1942.عن/الموسوعة العربية، مجلد 22 التصنيف ت وعلم نفس، النوع مشاهير، ص121.ينظر الرابط:.**www arab-educy.com**

به إلى المراهقة وإلى سن النضج تطور تختلف درجاته وصيغه بصورة معتبرة من فترة إلى أخرى »[1].

تبدو الهوية من هذا المنطلق مركبا من العناصر، التي يكون الإحساس بها مستمرا ومستقلا من قبل الأفراد؛ فشعور الفرد بفرادته إنما هو وعي منه «**بمنظومة المعطيات المادية والمعنوية –التي تشكل وعيه بذاته-ولا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيز الوجود ما لم يكن شيء ما يعطيها روحها ومعناها ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها** ».[2]

تصبح لفظة **الذات** سبيلا لفهم تشكلات الهوية عند الأفراد والجماعات، وقد أشار إلى ذلك علماء النفس في دراسات حول تشكيل الهوية؛ كان قد أجراها "رونيه زيزو؛ **René Zizou**" و"جاك لاكان **Jacque .L**"[3] و"هنري والون؛ **Henri . W**" ومن نتائجها؛ اعتبار الذات «**نتيجة آلية مزدوجة من الوضع أو الإسقاط والتملك بالوضع؛ يصبح الطفل قادرا على إدراك نفسه من الخارج باعتباره شيئا**

---

[1]-نقلا عن ؛كاترين هالبيرن وآخرون : الهويات، الفرد، الجماعة، المجتمع، تر:إبراهيم صحرواني، دار التنوير، الجزائر، ط1-2015، ص44.

[2]-اليكس ميكشللي: الهـــوية، دار الوسيم للخدمات الطبعية، دمشق، ط1،، 1993، ص129.

[3]- ولد **جاك لاكان** عالم التحليل النفسي بباريس في 13 أفريل 1901. درس الطبّ وأحرز دكتوراه الدولة سنة 1932 في موضوع عن ذهان البارانويا وعلاقته بالشخصيّة (La Psychose paranoïaque dans ses rapports avec la personnalité). انضمّ سنة 1934إلى جمعيّة باريس للتحليل النفسي عضوًا مرشّحًا لينال فيها سنة 1938 العضوية الكاملة، أسس منظمته الخاصة "المدرسة الفرويديّة بباريس". قدّم بحثا عن مرحلة المرآة في مناسبتين وذلك سنتي 1936 و1949 . "وتشير مرحلة المرآة إلى الحقبة التي يعي فيها الولد هويّته الخاصة، التي تتأصّل بتعرّفه إلى صورته الخاصة في المرآة. وتتشكّل هذه الحقبة التي تمرّ بمراحل ثلاث ما بين الشهر السادس والثامن عشر من عمر الولد، وهي تتميّز بالوصول إلى الوظيفة الرمزيّة".

في فضاء الأشياء: يصبح مرئيا لنفسه.بالتملك يدمج هذه الظاهر المرئي ويجعله متوافقا مع التجربة الداخلية يجسده عبر أحاسيسه اللمسية والباطنية والتأثرية.في الوقت الذي يتحقق فيه هذا الاندماج يصبح استعمال الأنا معتمدا في خطاب الطفل مسجلا لأول بروز حقيقي للإحساس بالهوية ».[1]

وبذلك يصير لكل شخص ذاته أو هويته التي تميزه عن أقرانه، فكل فرد له هويته بكل خصائصها ومميزاتها؛ يشعر ويحس بها، وهذه الهوية هي ذاتها التي يشكلها بالنسبة للآخرين **«فالهويات التي نشكلها بالنسبة إلى أنفسنا والهويات التي نشكلها للآخرين لا تبدو كأنها مختلفة من حيث النوع –فالهوية هي الهوية-وإنما الذي يتغير هو الوضعية التي نمنحها لهم».[2]** وعلى الرغم من اعتبار الآخر المختلف دوما عن الأنا -إلا في حالات عامة – مرجعا أساسا لوعي الفرد بهويته إلا أن ذلك يبقى رهين تحديدات وتصنيفات إيديولوجية/ فكرية تتقاطع في استعمالها مصطلح الهوية، مشكلة جملة من الخصائص التي تنسحب على الهوية، وتمنحها مؤشرات كمقابل موضوعي لفكرة الوعي بالذات؛ يمكن تحيينها كالأتي:

* المشابهة أو المماثلة في كل شيء.
* أن يكون للفرد ما يميزه عن الآخرين.
* وعي الناس بأنفسهم وبالآخرين.
* وجود عملية تقييمية متبادلة بين تقييم الفرد لذاته وتقييم الآخرين له.
* الانتماء إلى شعب معين.

[1]-كاترين هاربين وآخرون: الهــويات، مرجع سابق، ص46.

[2]-جون جوزيف: اللغة والهوية، تر:عبد النور خرافي، عالم المعرفة، عدد342/2007اغسطس، ص44.

إن تعدد مؤشرات الهوية[1] ينبئ في آخر المطاف حول عدم إمكانية حصر مفهوم واحد لمصطلح الهوية مع التأكيد على قيمة هذا المصطلح في مراتب الدراسات الإنسانية؛ ذلك أنه **«مفهوم أنطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات العلمية ».**[2]كما أن تعدد المؤشرات، تؤسس للمفارقات التي قد تحصل جراء سوء التوظيف أو الاستعمال، وهذا ما يستلزم ملاحظة مستمرة لأحوال الأفراد والمجتمعات؛ عبر مراقبة التغييرات الحاصلة في **«حالات التماثل واللاتماثل الاستمرار والانقطاع والثابت والمتغير ثقافيا وموضوعيا في جدل التاريخ ولهذا فكل تثبيت إطلاقي للهوية وجعلها معيارا مرجعيا جاهزا نهائيا طوال تاريخ مجتمع من المجتمعات هو رؤية تجميدية لا تاريخية وغير موضوعية لهذا المجتمع».**[3]

هذا ما مؤداه، أن محاولة فهم الهوية يستلزم معرفة ودراية بمقتضيات تشكل هوية شخص أو جماعة معينة عبر التاريخ وبطريقة موضوعية تنأى عن الأحكام الأيديولوجية.

5-1-الهوية من منظور علم النفس:

يولي علم النفس اهتماما كبيرا بموضوع **الذات** التي تتشكل من مجموعة من التمثيلات الذهنية للطباع والصفات التي يستعملها الفرد ليحدد ذاته ويعدل سلوكه

---

[1]- إذا أحصينا اتجاهات الهوية وخطاباتها فلن نعثر على أكثر من نوعين:خطاب ينتصر لبنية الثبات والمعاودة والتكرار في الهوية، وخطاب ينتصر لبنية الاختلاف والتعدد والنسبية في الهوية ذاتها الخطاب الأول تمثله حركات الهوية التي ستطلق عليه صفة/ المحافظة" أما الخطاب الثاني فتمثله حركات الهوية الفردية الحديثة. مصطفى بت تمسك، **في التأصيل المفهومي للهوية**، محور الدين والهوية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، تونس، مايو 2016، ص18.

[2]- محمود أمين العالم :**حول مفهوم الهوية**، مجلة العربي، ع 437، أفريل1995، ص27.

[3]- مجموعة مؤلفين:اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013ــ، ص312.

.وتتمثل الفكرة التي يدافع عنها علماء النفس هو أن الأفراد يمتلكون قدرا كبيرا من المعلومات عن أنفسهم تساعدهم على فهم هويتهم التي «**تنصرف إلى مكونات عديدة:هوية للذات وهوية للآخرين إحساس بالذات -الكيفية التي نحس بها أنفسنا - وصورة الذات؛ الشكل الذي نرى به و نتصور به أنفسنا وتمثيل الذات – الطريقة التي يمكن أن نصف بها أنفسنا، وتقدير الذات –الطريقة التي نقوم بها أنفسنا استمرارية الذات –الطريقة التي نحس بها أنفسنا مشابهين لما كناه أو مختلفين عنه –الذات الحميمية أي ما نحن عليه داخليا، الذات الاجتماعية؛ ما نظهره للآخرين، الذات المثالية؛ ما نريد أن نكونه** »[1].

إن العناصر السالفة المرتبطة بالذات، هي ذاتها عناصر الهوية، وهي عناصر لا تتوقف عن التفاعل بحركة تماثل واختلاف مزدوجة مشابهة للآخرين وتميزه عنهم.ويبدأ تشكل هذه الهوية مع البداية انطلاقا من علاقة الحميمية التي تربط الأم بوليدها إذ يمكن القول: «**إن الوعي الأول للطفل يتمثل في خاصة الشعور المشترك الذي يأخذ هيئة ضمير الجمع المتكلم "نحن"وذلك هو وعي تجربة تقوم بين شخصين لا يمكن الفصل بينهما أو بين الأنا والأخر الذي يأخذ شخصية الأم ويجسدها** »[2].

ومن ثمة يبدأ الطفل تدريجيا في بناء وعي مستقل بذاته عبر علاقة تواصل دائم بأمه؛ لأنها تمثل له حاجياته في إطار الوسط المعيشي الذي يحيا فيه.

[1] -كاترين هيلبرين وآخرون :الهويات، مرجع سابق، ص 44.

[2] - اليكس ميشلي : الهوية، تر، علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق ط1، 1993، ص110.

ويشير المحلل النفساني :"رونيه سيبتز؛ **Spits R** "[1]إلى أهم هذه التفاعلات التي من شأنها تشكيل إحساس الهوية؛ وهي حالة الابتسامة في الشهور الأولى التي تفتح للطفل أفق الانفتاح على المحيط الاجتماعي ثم قلق الشهر الثامن **angoisse du 8ème mois**، وصولا إلى الاسم الذي يتدخل باستعماله نحو السنة الثانية وإلى غاية السنة الثالثة و يسمح بأن يفرض نفسه وان يميز عن محيطه.فيشكل مرحلة جديدة في تأكيد الذات باعتبارها فاعلا مستقلا.[2]

ويبدأ الطفل الذي يتسع مع نموه ليتخذ دعامات أخرى من جماعات ومحيط أكثر اتساعا وحينئذ يكون قادرا على التعرف على نفسه بهويات متعددة «**فإذا تعرف الفرد على نفسه فان ذلك يعود بقدر كبير إلى تبنيه وجهة نظر الآخرين، وجهة نظر المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها والمجموعات الأخرى؛ الذات هي أساسا بنية اجتماعية وثقافية تتولد من التفاعلات اليومية».**[3]

لذلك اهتمت مجموعة من الأبحاث في علم النفس الاجتماعي بدور الآخرين في بناء الذات؛ وهو ما يسميه علماء النفس الاجتماعي ذات/مرآة؛ فالبحث في قضية الهوية هنا، هو بحث مزدوج بحث في الهوية وبحث عن الهوية « **فالبحث في الهوية بحث معرفي أما البحث عن الهوية فهو بحث إيديولوجي غالبا »ـــ**[4]لكن ذلك لا يعني إمكانية الفصل بينهما فموضوعهما هو واحد؛ هو الفرد «**الذي ينقسم على نفسه وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ماهو كائن وما ينبغي أن يكون بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي، بين الحاضر والمستقبل، هو**

---

[1]- رونيه سيبتز؛Spits R 1887-1974 ولد فيينا في 1/29/ 1887 تعلم ببودابست ؛من كتبه: السنة الأولى في الحياة.اشتغل كمحلل نفسي في المجر والو .م.أ. ينظر الرابط: www.Link.springer.com

[2]- اليكس ميشللي: الهوية، مرجع سابق، ص110.

[3]- كاترين هالبيرن :الهويات، مرجع سابق، ص 49.

[4]- محمد راتب الحلاق : نحن والآخر، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص53.

الذي يشعر بالانفصام، وهو الذي تتقلب فيه الهوية إلى اغتراب.فالإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ما هو علية؛ فالهوية هي تعبير عن الحرية الذاتية، الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد؛ إن وجدت فالوجود الذاتي وان غابت فالاغتراب»[1].

فالشخص هو وعي ما بالذات، وهو معطى أولي من معطيات علاقة الذات/ الأنا بالوجود وبالعالم وهي التي تساعده على تحديد هويته الذاتية؛ التي تتحدد من خلال معرفة سماته الاجتماعية والثقافية وبالتالي فالهوية هي حالة ذهنية وعاطفية تؤدي إلى الثقة بالنفس، والقدرة على التطور في الوسط الاجتماعي تطورا أفضل للمصالح الشخصية.

5-2-الهوية من منظور علم الاجتماع:

باعتبار الذات بناء اجتماعيا؛ فان التواصل بين أفراد المجتمع وعلاقة الفرد بالآخر دور أساسي في بنائها، ولأن الإنسان اجتماعي بطبعه كما يرى "**دوركايم؛ Durkheim**"[2]**« يوجد بداخله كائن اجتماعي وآخر فردي فالكائن الاجتماعي؛ يجسد أنظمة من الأفكار والمشاعر والعادات التي تعبر ليس عن شخصيتنا الفردية**

---

[1]- محمد عمارة : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، فبراير1999، ص11.

[2]- **إميل دوركايم** عالم الاجتماع الفرنسي ولد في 1 أفريل 1858 بمدينة إبينال الفرنسيّة من أسرة يهوديّة. . تصور دوركايم أنّه لا يمكن تفسير الظاهرة الاجتماعية إلا باعتبارها أشياء واقعية، واستثمر قواعد في دراسة الظواهر الاجتماعية منها: عدم الأخذ بالأفكار المسبقة حول الظواهر الاجتماعية. والقاعدة الثانية ضرورة دراسة الوقائع والظواهر دراسة موضوعية وتحديد الأشياء في واقعيتها. توفي دوركايم سنة 1917 في باريس ومن أهم مؤلفاته- :تقسيم العمل الاجتماعي 1893-قواعد المنهج الاجتماعي1895-الانتحار دراسة اجتماعية (1896-الأشكال الأولى للحياة الدينية 1912 ينظر: مجموعة باحثين: الهوية تر: عبد الفادر قنيني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2005 ص88.

[2]- اليكس ميكشللي: الهوية، مرجع سابق، ص 100.

بل عن الجماعة أو الجماعات التي تنتمي وتأخذ الأنظمة صيغة العقائد الدينية والمعتقدات الأخلاقية والتقاليد القومية أو المهنية والآراء الجمعية »[1].

ولذلك بلور علماء الاجتماع نظرة متوافقة للإنسان هي أن الإنسان كتلة مشكلة من مجموعة المبادئ، والعادات، والتصورات التي يؤدي بها الأدوار الاجتماعية البسيطة .

أولت العلوم الاجتماعية اهتماما بالغا بدراسة الجماعات والبنى الاجتماعية وبالسياقات وتفاعلات الفرد مع الجماعة لتصوير مجتمعه الثقافي والاجتماعي ويعتبرونه ممثلا ونتاجا معقدا لتجارب مجتمعية متعددة؛ ويذهب كل من "شيللر؛ **Scheler**"و"ميد؛ **Med** "إلى أن : **«ظاهرة المشاركة الوجدانية أو التواصل الإنساني تكشف عن وجود نواه إنسانية واجتماعية مشتركة بين الأفراد وان التواصل الاجتماعي ينطوي على مشاركة من الآخرين ويترتب على ذلك أن الأخر يوجد في الأنا وان الأنا يتمثل الآخر ويحتويه وان الفرد يصبح واعيا لأناه بفضل الآخر»[2].**

فنفسية الفرد مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأطر الاجتماعية وتتحول معرفة الفرد لهذه الأطر إلى رؤية خاصة للعالم؛ فهي تؤثر في التقاليد وتشارك في بناء الثقافة .

يرى" ماكس فيبر؛ **Max Weber** "[3] أن الهوية «**تأتي على مستوين :**

---

[2]- اليكس ميكشللي:الهـــوية، مرجع سابق، ص ص، 106.107.

[3]- ولد **ماكس فيبر** في سنة 1864 وتعلم في جامعة هيدلبرغ وجامعة جتنجن (Gottingen)وفيها أعد رسالة الدكتوراه في موضوع الاقتصاد بعنوان: "من تاريخ الجمعيات التجارية في العصر الوسيط". ثم عين في سنة 1894 أستاذا للاقتصاد السياسي في جامعة فرايبورغ. شرع في الكتابة مبكرا فأوّل كتاب له بعنوان "تأمّلات في خصائص وتطوّر وتاريخ الشعوب في الأمم الهندية الجرمانيّة" كتبه وهو في15من عمره. تأثر فيبر بالنزعة الماركسية وبالأفكار الفلسفية النيتشوية، **أهم مؤلفاته**

-المستوى الأول، الصورة الكونية التي على ضوئها يمكن الوصول إلى إجابة شافية حول مغزى الوحدة وطبيعة الكون.

- المستوى الثاني؛ السياق التصوري وهو الذي تضع فيه الذات، الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم انطلاقا من النواحي الثقافية والاجتماعية والأخلاقية وانطلاقا من هذا الأخير ينظر للأخر المحدد الأساسي للهوية ».[1]

فهوية الفرد تتشكل من تفاعله مع الآخرين وتكون بمثابة الجسر بين الفرد الاجتماعي والفرد الخالص، وبامتلاك الأفراد لهوية معينة هم يتمثلون قيما ومبادئ معينة تصاحب تلك الهوية .يعبر الباحث ويليام جيمس .**William J**أن **« الهوية تقع عند نقطة تقاطع بين معرفة الذات والمعرفة المتمخضة من العلاقة مع الآخر، كما يعتبر أن إدراك الفرد للآخرين وإدراك الآخرين له يكون له الهوية الاجتماعية أي أن ذلك ينطلق من التقاء الأنا بالآخر» [2].**

تتشكل الهوية هنا، عبر العمليات الاجتماعية التي من خلالها يتعلم الأشخاص كيفية التفريق بينهم وبين الآخرين من حيث المميزات والخصائص ذات الأهمية الاجتماعية، فالإنسان يشكل بؤرة مجتمعة الثقافية والاجتماعية داخليا وخارجيا أي أن الهوية ذات معنى مزدوج فهي داخلية **internal** بمقدار ما نعتقده حول هويتنا

وأبحاثه:/من تاريخ الجمعيات في العصر الوسيط/ العالم والسياسي/ الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالي.**ينظر:**

بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1984مج2، ص ص 214-315.

[1]- مراد وهبة :المعجم الفلسفي، دار قباء، القاهرة، 2007، ص 667.

[2] - محمد مسلم :مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2007، ص72.

وخارجيا **external** تتعلق بالطريقة التي يرانا بها الآخرون؛ والهويات تتكون وفق علاقات ديالكتيكية بين هذه العوامل الداخلية والخارجية وهي تتفاعل لتنتج الهوية.[1]

6-أنواع الهوية:

6-1-الهوية الفردية:

تنطلق الهوية الفردية من نوتة تصاحب الذات في الزمان والمكان، تبدو للوهلة الأولى مفهوما بسيطا وطبيعيا لكنها في الحقيقة ظاهرة معقدة متعددة الأبعاد؛ إذ تتخذ دلالة موضوعية كون كل فرد يشكل في ذاته شخصا فريدا آو مختلفا عن الآخرين سواء من حيث التكوين الجيني أو من حيث التكوين النفسي.وفي الوقت ذاته؛ تتخذ دلالة ذاتية تحيل إلى أن الفرد بفرادته وتميزه مختلف عن الآخرين مهما بدت التشابهات كثيرة.وفي هذا الإطار، يشير الباحث "إريكسون ؛ **Erikson**" إلى أن الهوية الفردية ما هي إلا**« إدراك الحقيقة –إذ يوجد- هناك تماثل ذاتي self sameness واستمرارية continuity في طريق الأنا التكاملية، وفي نمط الفردية الشخصية وأن هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرارية للمعنى الشخصي كما يدركه الآخرون الذين يمثلون أهمية في الوسط الاجتماعي لهذا الفرد»[2].**

هكذا تتحرك الهوية بين التشابه والاختلاف من جهة وبين الاستمرارية من جهة ثانية؛ بين ما مضى وما يمكن أن يكون في المستقبل .وقد أشار "بيير تاب **Pierre tap** " إلى الهوية الفردية باعتبارها تلك **«المسافة التي يقطعها الفرد بين محاولة التميز واضطراره للتطابق معهم إنها جهد دائم لتوحيد آليات الذات**

[2]- هارلمبس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر:حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا ط1، 2010، ص 105.

[2]- محمد السيد عبد الرحمان: مقياس موضوعي لرتب الهوية، جامعة الزقازيق، دار قباء للنشر، القاهرة، 1989، ص14.

وانسجامها الداخلي يبطل ضرورات قوالب الثقافة التي يعيشها الفرد والمجتمع الذي نشأ فيه وذلك الإبطال نفسه هو الذي يدفعه لتحديد تميزه ورسم حدود هويته الفردية وتتواصل عملية الإثبات والعودة إلى الإثبات مدى الحياة »[1].

إن وعي الفرد بذاته يسمح له أن يتصور أنه بإمكانه أن يبقى هو نفسه في تتالي الزمن أو في الانتقال في المكان .حيث يشير هذا النوع من الهوية إلى الحياة الخاصة والداخلية للفرد؛ التي تستدعي في الواقع الاختلاف عن الآخر، والتي تتشكل عبر تنوع الانتماءات والأدوار والوظائف الاجتماعية، فانعدام شعور الفرد بهويته يتولد عنه ما نسميه بأزمة الهوية التي تصل إلى حد التشويش الكامل على وعي الفرد بذاته .

6-2-الهوية الجماعية:

يحيل هذا النوع إلى مجموعة من المعايير التي من شأنها التعريف بالشخص اجتماعيا ومعرفة مكانته في مجتمعه وهي مجموعة «**السمات والخصائص التي تضفي على الفرد من قبل عدد كبير من الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى في المجتمع وهي هوية اجتماعية معروفة من قبل ممثلها الذي يوافق ويشارك في الحياة الاجتماعية عبر انتماءاته الاجتماعية المتنوعة »[2]**

تعد الهوية الاجتماعية أداة أو وسيلة يصنف بها المجتمع إلى فئات حسب مختلف الانتماءات الاجتماعية والسياسية والدينية والجغرافية واللغوية؛ وهي لا تعدو كونها اتحاد للانا مع النحن فيتشكل بذلك نسيج الهوية الجماعية عبر التمسك بقوانين

---

[1]- نقلا عن ؛محمد العربي ولد خليفة : المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات تالة ــ الأبيار، الجزائرــ2007، ص62.

[2]- اليكس ميشللي :الهوية، مرجع سابق، ص ص111-112.

الجماعة المتأتية من العرف والدين والتقاليد . وعليه؛ تغدو الهوية الاجتماعية « **تلك الصورة أو ذاك الشكل الذي تكونه مجموعة معينة عن نفسها وأنها تنشا من الداخل باتجاه الخارج وهي وعي بجملة الأفراد الذين ينتمون إلى تحت عبارة هذه الهوية أي تتشكل في واقع الأمر من الأفراد**»[1].

هكذا تشكل حياة الأفراد وتفاعلهم في محيطهم مادة تشكل الهوية الاجتماعية انطلاقا من وعي الفرد بذاته الذي لا يبلغه إلا بوعي الآخرين له؛ فهو بحاجة دائمة إلى مجموعة ينخرط فيها، وينشد مصيره من خلالها؛ فهوية المجموعة ليست إلا تراكمات لهوية الأفراد المنتسبين لها. وبهذا الشكل فالهوية الاجتماعية ما هي إلا بنية كبرى تتشكل في فضاء قوامه الأفراد الذين يشكلون بعددهم وإعدادهم عناصرها التكوينية؛ فالفرد في حقيقة الأمر، لا يمكنه إثبات ذاته أو التصريح بهويته منعزلا، وإنما يحقق ذلك إن كان يعيش في وسط مجتمعه الذي يملك نسقا من المعايير والقيم؛ تمكنها من توحيد السلوكيات، وتدخل الأفراد في علاقات متشابكة، ينتج عنها تأثير قوي على اختيارات الفرد الخاصة وتؤدي إلى إنتاج كائن جديد هو الوعي الجمعي؛ الذي يستمد منه الفرد شعوره بالانتماء وتحديد الذات وبذلك يحدد هويته الاجتماعية.[2]

يوضح "ماكس فيبر؛ **M Weber**"« **أن الهوية الجماعية ما هي إلا نسق من العلاقات الاجتماعية يترابط الأفراد فيها بوحدة من الإحساس والشعور العاطفي وبوحدة المصالح ويشتركون في ثقافة معينة تحدد أدوارهم الاجتماعية**

[1]- يان اسمن :الذاكرة الحضارية ،الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارة الكبرى، تر:عبد الحليم عبد الغني رجب، الهيئة المصرية العامة، 2013، ص214

[2]-نقلا عن ــ عماد عبد الغني :سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط2، 2006، ص63.

والمسؤوليات التي تميز أعضاءها من غيرهم من الأفراد والجماعات » [1] فيتفاعل أفراد الجماعة فيما بينهم وينخرطون في تبني قيم يتفقون حولها تسهل علاقاتهم الخارجية مع جماعات أخرى وهي الحالة التي لا يمكن أن يحققها الشخص بصورة فردية، بل تبقى نتاجا لفعل الجماعة وهي في مدلولها تتقارب مع مدلول الهوية الثقافية.

6-3-الهوية الوطنية:

إن الاهتمام المرتبط بموضوع الهوية الوطنية ليس وليد الراهن، بل هو نتاج لتراكم تاريخي شكلته البشرية منذ العهود الغابرة والى غاية اليوم؛ عبر محطات عديدة من تشكل الجماعات البشرية في مجموعات؛ لها ما يميزها عن غيرها كالقبائل، والممالك، والإمبراطوريات، غير أن الاستعمال الفعلي للمصطلح، يرجع بجذوره إلى مراحل متقدمة من الفكر الأوربي الحديث ومؤداه أن الهوية الوطنية هي تلك «**المنظومة المتكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها »**[2].

توضح هذه المعطيات المكانة المهمة للشعور بالانتماء لوطن واحد يعيش تحت سقفه الجميع ويضمن لهم إمكانيات ثقافية وسياسية وإيديولوجية تتماشى والسياسة العامة التي تنتهجها دولة وطنية ما.

تنتسب الهوية الوطنية إلى حقل السياسة وتنسب غالبا إما للوطن أو الأمة **«التي يعيش في كنفها شعب متميز بخصائص هويته وهي تلك الصفات والسمات الثقافية**

---

[1]- نقلا عن، رشوان حسين عبد الحميد:البناء الاجتماعي، الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 2007، ص37.

[2]- اليكس ميشللي :الهوية، مرجع سابق، ص79.

العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها التي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى ».[1]

ويعمل على هذا المستوى في الغالب، جهاز سياسي نخبوي؛ هو نظام دولة/ وطن ما، فيقوم بالبحث المستمر عما يكفل التوافق والإجماع الوطني في اتخاذ القرارات المصيرية والحاسمة في مرحلة تاريخية ما .فالسمات التي تحدد موضوع الهوية، تكون دائما بحاجة إلى دعم وتطوير وحماية لمجابهة تحديات العصر، والظروف، ومواجهة الآخر، لأن كل وطن يجد نفسه في لحظات تاريخية معينة بحاجة إلى حماية مكونات الهوية ومرجعياتها الثقافية؛ وذلك بالتأكيد على وعي الأفراد بذواتهم من خلال معرفة محطات التاريخ المشترك الذي ينشأ عبر العلاقات التواصلية مع الذوات الآخرين.[2]

6-4-الهوية القومية:

قبل تحديد مفهوم الهوية القومية يجب أن نعرج على مفهوم القومية؛ **nationalisme**، وهو مفهوم شديد التعقيد يرتبط بأكثر الانعكاسات على أشكال الوعي الفردي والجمعي لا سيما جوانب التراث الثقافي والديني التي تعطي مجموعة بشرية ما صفة القومية، ومن ثمة؛ أصبحت القومية في ذاتها مفهوما ذو طابع إشكالي باعتبار القومية تتحدد كإطار أوسع من الوطنية، وهي بذلك« **تصبح حالة**

[1]- أحمد بن نعمان : الهوية الوطنية، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1996، ص23.

[2]- ينظر، محمد صالح الهرماسي : مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001، ص ص 21 22.

ذهنية يلجا إليها الأفراد والجماعات لاستغلالها سياسيا أو لخدمة مصالحهم وأهوائهم ».[1]

ظهرت فكرة القومية في التاريخ بأشكال مختلفة فتارة تبدو كسلوك جماهيري وتارة كثورة اجتماعية وكحركة سياسية تارة أخرى، ومن ثمة أصبحت الهوية تجريدا قسريا وقمعيا للخصوصيات في خصوصية بعينها؛ إذ تركز على بعضها وتلغي أخرى كما الحال للخصوصية الدينية أو العرقية فتضفي رؤيتها للخصوصيات بما لا يهدد الوحدة الإدماجية، وليست المسألة في استبعاد الخصوصيات الأخرى ودفعها إلى خارج المستوى السياسي فحسب؛ ولكن بتقليم الخصوصية المختارة ذاتها فيجري إغفال الخصوصيات الإقليمية في حال بناء الهوية القومية والاختلافات العقيدية في حالة الخصوصيات الدينية وتضخيم الفوارق مع من يجري استبعادهم من الهوية المختارة القومية أو الدينية .[2]

إن القومية هي من تحدد كياننا وتبرز أفكارنا وخيالاتنا وثقافتنا للآخر من خلال « **مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها والتي تجعلها يعرفون فيتميزون بصفاتهم تلك عمن سواهم من أفراد الأمم الأخرى** ».[3]فالقومية بهذا الشكل، هي معرفة الفرد بأولوية انتمائه، وإحساسه بالتشابه، والتكامل مع أفراد الجماعة المنتمي إليها، وتميزه عن غيره مـــــن خلال الســـمات العامة والمشتركة التي تجمع بينها في مرحلة زمنية

[1]- مارك بوستر : الأمم والهويات وتكنولوجيا العولمة-العولمة والنظرية الأدبية، تر: عادل عناني المنار العربي للنشر، الجيزة، مصر، ط1، 2008، ص 26.

[2]- شريف يونس : سؤال الهوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة، ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 1999، ص ص62.61.

[3]- أحمد بن نعمان :الهوية الوطنية، دار الأمة، الجزائر، د ط، 1996، ص23.

محددة إذ أنها**« مجموعة من طرق التفكير والشعور والسلوك المتماثلة نسبيا والتي تمارس هيمنة محدودة ونسبية في مرحلة تاريخية معينة».**[1]

الهوية القومية ما هي إلا إحساس الفرد بالانتماء ووعيه بعضويته في مجتمعه فيرى الفرد في هويته أنها مقترنة بهوية مجتمعه ومن ثمة يكتسب قوة للتمسك بجماعته والدفاع عنها لأنها مصدر الهام هويته؛ التي يمكن أن تظهر في أشكال متعددة قومية، ودينية، ووطنية، وثقافية.حيث يعمل على الحفاظ عليها لأننا في عصرنا الحاضر نعيش ازدواجية في الهوية القومية فهناك «**قومية عربية أصلية قويمة، نقية وقومية غير عربية مختلطة العناصر غير نقية تحيد عن الصواب في اغلب الأحوال »**[2] فالهوية منطلق لأفعال الفرد من جهة وهدف لها من جهة ثانية ومبرر لوجوده الاجتماعي لذلك يجب عليه التمسك بمبادئه ومقوماته.

6-5-الهوية الثقافية:

يمكن القول أن الثقافة طريقة كاملة للحياة لكل مجتمع وهي « **مؤسسة لإنتاج المعنى، تقوم على حجب ما تتأسس عليه من اللامعنى، وعالم من الرؤى والنماذج والقيم والمواقف والمفاهيم والمعايير المنسوج من الفرق والاختلاف والوصل والفصل في المرجعيات والمشروعيات»**[3].

---

[1]- نديم البيطار :حدود الهوية القومية – نقد عام للتيار القومي العربي -، دار الوحدة، بيروت، ط1، 1982،ص 142.

[2]- تيري ديهاي : العولمة والنظرية الأدبية، فاناتزيا لآسيا جبار، تر:عادل عناني، اثر:عز الدين إسماعيل، دار المنار العربي للنشر، الجيزة، مصر، ط1ــ2003، ص 284.

[3]- علي حرب:حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004، ص50.

فالثقافة أسلوب كامل وإطار جماعي للفنون والأعمال الذهنية لدى مجتمع معين؛ فبالرغم من تعدد تعاريفها إلا أنها تجمع على خاصية واحدة، هي أنها وسيلة من وسائل اكتساب صفة الانتماء إلى كيان اجتماعي معين تسمح بالحفاظ على تراث هذا للمجتمع وتقاليده، وهـــي بذلك عنصر مهم من عـــناصر تكوين الهوية الشخصية والاجتماعية للفرد؛ **« كونها كيفية خاصة لرؤية الوجـــود والحياة وأسلوب في العيش والسلوك والإحساس والإدراك والتعبير والإبداع يتميز به مجتمع بشري معين في ما يملكه من أصالة عـــريقة ومتعذرة في تاريخه ».**[1]

ولأن الذات أساسا بنية ثقافية؛ يفترض أن تكون هناك بعض الخصائص والسمات التي تميزها عن غيرها بالرغم من التغيرات التي يمكن أن تظهر عليها وباجتماع هذه الخصائص والعناصر تتشكل الهوية الثقافية؛ التي تعتبر **«مجموعة من المقومات والعناصر الثقافية التي تسمح بالتعرف على الانتماء الثقافي لشخص ما أو لمجموعة بشرية معينة »**[2]**.**إذ الثقافة تؤثر بشكل كبير في جميع مناحي حياة الفرد فهي ما يميز حياته وسلوكه داخل مجتمعه وهي مكون أساسي لهويته لأنها نابعة من لغته وآدابه وظروف حياته وحاجاته وبيئته وتطور بلاده التاريخي

> **«فتحديد الهوية الثقافية لأي شعب يحتاج إلى ثوابت جغرافية وامتداد زمني وعوامل تطبيع اجتماعي وثقافي له جذور ومنظومة من القيم الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، ومن خلال انصهار هذه العوامل تتكون أنساق القيم في كل طبيعي؛ لتشكل في نهاية المطاف الهوية الثقافية؛ ففي حضور لغة قومية مشتركة وامتداد**

[1]- عبد الرزاق الدواي:الثقافة وحرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث، بيروت، ط1، آذار/ مارس2013، ص31.

[2]- عبد الرزاق الدواي: الثقافة وحرب الثقافات ، مرجع سابق،ص104.

زمني حقيقي وثوابت جغرافية قائمة في الزمان والمكان وعوامل تطبيع اجتماعي تنقل الموروث الثقافي عبر الأجيال؛ فهذه الثوابت قد تتصف بالمرونة والقدرة على التعايش مع طبيعة العصر الكوكبي الأمر الذي يسهم في تطور الهوية بأبعادها الثقافية والمعرفية والسياسية والاجتماعية »[1].

فالهوية الثقافية؛ هي جملة المعطيات التي تكونها جماعة بشرية عن نفسها مقارنة إياها بجماعة أخرى فتبدو طريقة مثالية للتعريف بالذات إزاء ما يقابلها من ذوات مغايرة من خلال ثقافتها القابلة للتطور؛ فمهما تكن المجتمعات البشرية محافظة على ثقافاتها إلا أنها تضطر إلى تحديثها ومواكبة تطورات العصر المرتبطة بشروط تاريخية معينة، تجعلها قابلة للتعامل والتفاعل والتواصل والتبادل بين مختلف الثقافات؛ وهو ما تسميه الموسوعات بالمثاقفة التي تعني« **القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها وهيمنتها على غيرها واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل تقدم حضاري ولا نمط سواه وعلى كل الشعوب تقليده والسير على منواله وقد أدى ذلك إلى إلغاء خصوصيات الشعــوب وتجاربها المستقلة واحتكار الغــرب وحــده حق إبداع التجارب الجديدة والأنمـــــاط الأخرى للتقدم »[2].**

و**المثاقفة** مصطلح سوسيولوجي[3] يحيل إلى ظاهرة الثقافات البشرية ومدى تأثرها بعضها البعض نتيجة استعمار آو مبادلات تجارية وثقافية، وبها تظهر

---

[1]- محمد إبراهيم عيد :الهوية والقلق والإبداع، مرجع سابق، ص34.

[2]- حسن حنفي :مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991ــص36.

[3]- عز الدين المناصرة : المثاقفة والنقد المقارن منظور إشكالي، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت 1996، ص73.

التعددية الثقافية **multiculturalisme**فالإحساس بالهوية الثقافية، في خضم هذه التغيرات؛ «**يصنع أو لا يصنع صنعا وإنما هو دائما كالمكبوت في حالة الكمون يستيقظ ويشتد بصفة خاصة في ظروف التحولات والانتقالات الحاسمة التي تمر بها المجتمعات والشعوب والأمم**»[1].

تعد الهوية الثقافية مجالا بشريا دائم الحركة والتبدل شانها شان الوقائع الإنسانية التي لا تعرف الثبات «**وليست معطى ثابتا متعارفا عليه وإنما هي في تحول بقدر ما يتصل بالماضي، إنها ليست شيئا كائنا من قبل يتخطى حدود المكان و الزمان والتاريخ والثقافة ولكنها مثل كل شيء تاريخي في تحول متواصل**»[2]. يضمن التكيف والتوازن في الحياة الاجتماعية ويرسم حدود للهوية الثقافية التي تستمد عناصرها من شخصية الأفراد وطبائعهم الاجتماعية عبر تفاعل متواصل يقوم على السلوك الفردي والجماعي على حد سواء إضافة إلى جملة عوامل أخرى« **كنوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة والقومية والسيكولوجية المشتركة وطموح الغد** »[3].

إن الهوية الثقافية –كما تقدم- تعبير عن صيغة "من نحن" ؟ مقارنة بالآخر، ذلك المختلف عنا دوما والذي لا نفهم وجودنا إلا في ضوئه ؛ فالآخر وثقافته هو المغاير لثقافة النحن والداخل معها في حالة حوار أو تثاقف فالهوية الثقافية -وفقا لهذا

[1]- عبد الرزاق الدواي :في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، مرجع سابق، 155.

[2]- منير الفاضل:الذاتية وسياسات الهوية، سلسلة العولمة والنظرية الأدبية، ص332.

[3]- مجموعة مؤلفين:الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، إدارة الثقافة، ط2، د.ت، ص 21.

المعطى- **تنتهي عندما يبدأ حضور الآخر**[1] فتبرز بذلك ثقافات مختلفة نتيجة وجود شعوب تختلف في الرؤية والموقع، ورغم ذلك يحدث في فعل التثاقف تهجين ثقافي **hybridity** يقوم على ماهو لغوي وما هو ثقافي وماهو عرقي .

ويقوم **التهجين الثقافي cultural hybridity كما يسميه "هومي بابا" على الفضاء الثالث أو الفضاءات البينية luminal spaces ويمكن وصف هذه الفضاءات بالمنطقة أو المساحة التي نجد فيها الثقافية الفرصة للإفصاح عن نفسها** [2].

كما يسهم في تشكيل الهوية الثقافية ظاهرة العولمة التي جاءت لتعبر عن مجموعة من التغيرات والتحولات التي شهدها العالم والحياة الإنسانية اليوم على جميع الأصعدة، في ثورة علمية معرفية ساهمت في «**خلق الهويات الجزئية فالتطور السريع في الاتصالات وسرعة انتقال الناس حول العالم ..كل ذاك قاد إلى خلق تأشيرات ثقافية بل أصبح بإمكانهم الاختيار بين نطاق واسع لمختلف الهويات**»[3] الضعيفة والتابعة لثقافات أخرى وبروز نموذج ثقافي متميز في جميع أنحاء العالم مهيمن على جميع الفضاءات الثقافية للشعوب.

تأثير العولمة على المستوى الثقافي ناتج عن التطور السريع لوسائل الإعلام والاتصال؛ الذي يساهم في رفع مستوى الهوية الثقافية الوطنية والفردية، وبروزها على المستوى الدولي، ومحاولة التجانس والتنميط الثقافي على مستوى العالم بـــــ«**هيمنة النموذج الأمريكي على الثقافات المحلية والإقليمية للدول ...فالغزو**

---

[1]- علي أسعد وطفة :الهويات الأصولية في زمن العولمة، مرجع سابق، ص44.

[2]- رضوى عاشور :**الصوت، فرانز فانون، إقبال احمد، ادوارد سعيد**، مجلة ألف، عدد25، 2005، ص 90.

[3]- عماد عبد الغني :سوسيولوحيا الثقافة، المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2006، ص98.

الثقافي والتغريبي ذو الوجه القديم والجديد، لازال قائما واشد شراسة ضد الهوية الثقافية وهذا بالحد من العناصر الأساسية للهوية الثقافية المتمثلة أساسا في اللغة »[1]وهذا ما يجعل الهوية الثقافية بمثابة المشروع المستقبلي المنفتح، والمتجدد دوما الذي لا يستقر على حالة واحدة.

7-علاقة اللغة بالهوية :

لا تزال بعض الأسئلة التي تثار بخصوص علاقة اللغة بالهوية تشغل بال الباحثين في الكثير من المجالات وخصوصا في مجال علم النفس؛ الذي اهتم - ولا يزال - بدراسة اللغة وموضوع الهوية على حد السواء؛ إذ يبحث علم النفس في طبيعة اللغة وعلاقتها بالهوية انطلاقا من الأسبقية الزمنية للتشكل ويقدم أسئلة جوهرية مثل :هل نحن بحاجة إلى اللغة لنعبر عن هوياتنا ؟ أم نحن بحاجة إلى هوية كي نضبط لغتنا؟ وفي هذا الإطار يكاد يتفق كثير من الباحثين على أن هناك ارتباط وثيق بينهما باعتبار اللغة هي الأداة الأساسية والأولى في عمليات التواصل داخل المجتمع، كما أنها الوسيلة المثلى لتحديد الهوية والتعرف على الذات لأن« **المجتمع لا يرى العالم إلا من خلال لغته»**[2].

إن اللغة بهذا المنظور، هي ذلك الجزء الضامن للحفاظ على التراث والمحرك الفعلي للوقائع البشرية ومحرك التواصل بين الأفراد والقوة المنظمة لتجربة المجتمع؛ فهي بذلك تحقق استقلالية الثقافة.وهذا ما يجعل اللغة في علاقتها بالهوية أساس تكوين مؤسسة ثقافية –تختلف باختلاف الشعوب –وتعنى بوظيفة التواصل. وعلى

[1]- زعو محمد :أثر العولمة على الهوية الثقافية والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ط2010، ص99.

[2]- جمعة سيد يوسف : سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يناير 1996، ص132.

الرغم من أن المجتمع البشري يحظى بأشكال أخرى للتواصل إلا أن اللغة تبقى «**أهم وسيلة اتصال نظرا إلى كونها تحقيق صوتي لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية وهذا يعني أن الواقع الخارجي يتمثل في ذهن الإنسان ضمن نظام يتكون من مجموع القواعد والرموز التي تمثل حدود ثقافته**».[1]

إن ارتباط الهوية باللغة ناجم عن العلاقة الوطيدة للهوية والثقافة بحقل اللغة «**فهي المحور الذي يساعد على تشكل الهوية من خلال عمليات الإبداع والتطوير في مستوى الأفكار والوقائع الاجتماعية مما يؤدي إلى تطوير الطرائق وتغيير المعتقدات؛ فيتطور الأفراد من خلال اللغة التي تعتبر النواة الرئيسة لكل ثقافة ولكل مجتمع إنساني**».[2]

فاللغة بهذا الشكل هي الوسيلة الوحيدة التي تجعلنا نتواصل وهي الأداة المساعدة في عملية تطور الحياة العلمية والاجتماعية التي تجعل الإنسان يعبر عن هويته، وربما أمكننا الجزم أن اللغة هي العنصر الوحيد الذي يستطيع الجمع بين معطيات الهوية الفردية وتجليات الهوية الجماعية من منطلق أن «**اللغة تسمح للذات بالتعرف على نفسها لكي تميز بين أناها وأنا الآخرين وتؤسس لوعي الانتماء المشترك داخل المجتمع بفضل نسق علاماتها ورموزها الثقافية وهي تشكل بالإضافة إلى الدين مرآة الهوية الفردية والجماعية في كل المجتمعات باختلاف مرجعياتها الثقافية والحضارية**» [3].

---

[1] - مجموعة مؤلفين:اللغة والهوية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص29.

[2] - Edgar Morin la méthode 5 humanité de l. humanité l'identité humane édition .paris seuil 2001.p29.

[3] - الحسين الزاوي:الهوية وفلسفة اللغة العربية، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2004، ص49.

إن علاقة اللغة بالهوية هي- في واقع الحال- علاقة جدلية تفاعلية؛ إذ ليست اللغة أداة للتعبير فحسب، ولا مجرد وسيلة للتواصل بين الأفراد، بل هي أعمق بكثير «**باعتبارها مكونا هاما من مكونات الهوية ..والأمن القومي والسيادة الوطنية والاستقرار الاجتماعي والنفسي؛ حيث اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهوية في كل بلد أو وطن أو امة ...فاللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية**».[1]

تدخل اللغة كمكون أساس في تشكيل الهوية الفردية والاجتماعية على حد سواء لكن المهم والأبرز في هذه العلاقة، هو أن تلك العناصر تتغير بتغير المفاهيم الإنسانية كالدين، والعصبية القبلية والعشيرة، مما يفرز أشكالا جديدة لتنميط الهويات كالهوية القومية، والهوية العرقية، والهوية الدينية وهي أيضا بكل تأكيد لابد أن تترجم عن طريق اللغة.[2]

كما تبرز علاقة اللغة بالهوية في ظاهرة التنوع اللغوي الذي يرتبط بالضرورة بالتنوع الاجتماعي والتنوع الثقافي الذي عرفته اغلب المجتمعات المعاصرة؛ وقد عبر على ذلك الباحث "**موران Moran**"بقوله: **«إن مفارقة الوحدة المتعددة تكمن في إن ما يوحدنا هو الذي يفرقنا بداية من اللغة، إننا توائم بواسطة اللغة ومتفرقون بواسطة الألسن، إننا متشابهون بواسطة الثقافة ومختلفون من خلال الثقافات»[1].** فعلاقة اللغة بالهوية تبرز تحديدا في الدور الذي تلعبه اللغة في تشكيل ودعم عناصر الهوية إذ لا يمكن تصور هوية خارج نسق لغوي .

---

[1]- مجموعة مؤلفين:اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، مرجع سابق، ص 82.

[2]- محمد أمارة :اللغة والهوية تأثيرات وتداعيات في التعليم العربي في إسرائيل، الكلية الأكاديمية، المركز العربي للحقوق والسياسات، رام الله، 2010، ص23.

[1]- الحسين الزاوي :الهوية وفلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 27.

الفصل الثاني:"تشكيلات الهوية في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد

1 - الهوية الدينية وحوار الديانات

2 - الهوية الجزائرية التشكل والمآل .

3 - الهوية الجماعية، تعدد الكيانات

4 -الهوية الفردية "الأمير" بعيون الآخرين

5-الهوية الاستعمارية؛ الطبيعة والأهداف

تشكيلات الهوية في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد

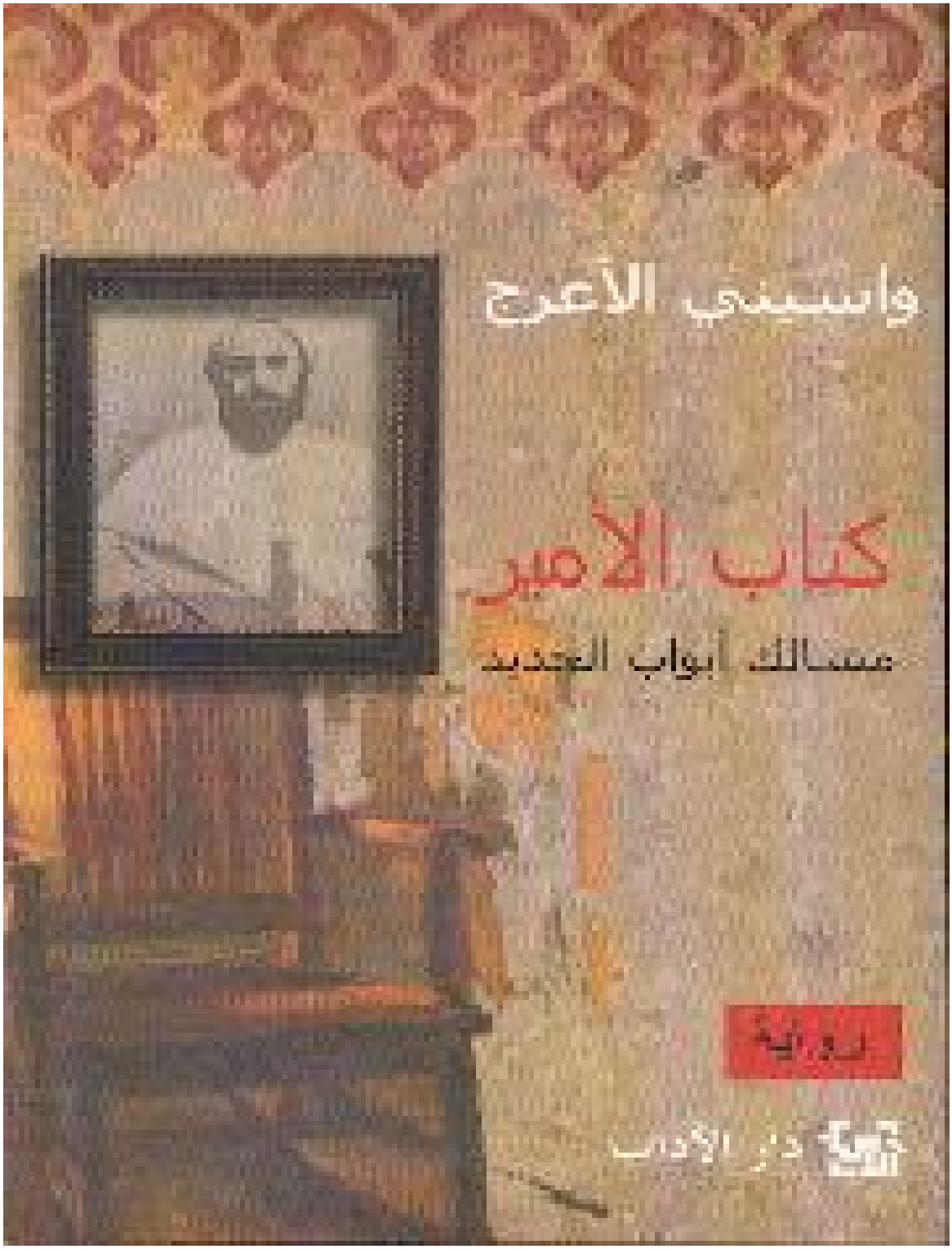

1-الهوية الدينية وحوار الديانات :

تعرض رواية الأمير قضية الهوية الدينية كموضوع أساس من موضوعات المحكي، وتقدم لها عبر آليات سردية يشكلها تمثيل الشخصيات لأدوارها الدينية والعقدية؛ التي تظهر في النص عبر ملفوظات صريحة تنم على الاعتقاد والرؤية والممارسة؛ وقد ذهب الروائي إلى تحيين فواصل زمنية فارقة تدفع القارئ إلى ضرورة التأمل العميق في الأبعاد العقدية الدينية التي تشكل تمايز الهويات الدينية في النص الروائي.

يقدم الروائي في مستهل عمله، شخصية "جون موبي" والقس "مونسينيور ديبوش" كرجلي دين مسيحيين لازم وجودهما حضور الأخر –المستعمر-في الجزائر أثناء انطلاق المقاومة الشعبية بقيادة الأمير "عبد القادر بن محي الدين "الجزائري سنة 1832، ليكون بذلك الأمير الوجه الآخر لحضور الهوية الدينية في النص الروائي باعتبار اختلاف المعتقد بين الإسلام والمسيحية.

وقد جعل الروائي من الرجلين المسيحيين لسانا ناطقا لحياة الأمير عبد القادر الجزائري، عبر تفعيل تقنية تعدد الرواة بالمنظور الباختيني ؟، دافعا بهما إلى سرد حكاية البطل الرمز من منظور الأخر؛ وهي الحكاية العامة لمسار البرنامج السردي مع ما يتخللها من محكيات فرعية تعرض مواطن تأكيد الهوية الدينية عبر عرض مسارات تشكلها المفارقة للأخر سواء ارتبط ذلك بالنظرة إلى الإسلام أو المسيحية على حد سواء.وتعد تلك المحكيات أساس الحوار الذي يخلق تمايزا واضحا للتشكيلات الخطابية التي تعبر صراحة عن المرجع الهوياتي الديني .

تنطلق الرواية عبر قصة مسار حياة القس "مونسينيور ديبوش" التي سردها صوت الراوي "جون موبي" المرافق الشخصي له؛ وقد حمل الروائي شخصية "جون

موبي" مسؤولية عرض حياة سيده من منظوره الخاص بحسب العلاقة التي جمعتهما؛ يقول في ذلك "موبي":«**كان أبي وأخي كان كل شيء في حياتي خدمته أكثر من عشرين سنة .جئت معه إلى هذه الأرض عندما عين أسقفا على الجزائر وصاحبته في كل منافيه إلى أن مات»**[1].هكذا ينطلق "جون موبي" في التعبير عن وظيفته كرجل دين متطلع إلى مراتب عليا في سلم البابوية المسيحية إذ هو في الأصل تلميذ للقس ومبشر بالمسيحية في إطار الحملة الاستعمارية الفرنسية لطمس هوية الآخر الجزائري المسلم؛ وتستدعي الشخصية حضورها في مسرح الإحداث عبر سرد محطات حياتية مشتركة بينه وسيده القس، أبرزها محطة اللقاء بالأمير عبد القادر الجزائري.التي شكلت نقطة« **التماثل الذاتي واستمرارية continuity في طرق الأنا التكاملية وفي نمط الفردية الشخصية وان هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرارية للمعنى الشخصي كما يدركه الآخرون الذين يمثلون أهمية في الوسط الاجتماعي لهذا الفرد».**[2]

إن إدراك حالة التماثل بين شخصية "حون موبي" وشخصية سيده؛ تحدد منذ البدء هيمنة العنصر الديني وحضوره في سرد أحداث تجربتهما في الجزائر لاسيما وجهة نظرهما الواحدة تجاه "الأمير عبد القادر" الذي شكلت نقطة التعارف عليه انعطافة كبيرة، إزاء فتح مجال الحوار الديني بين الإسلام والمسيحية؛ والذي أدت إليه وقائع شتى جمعت بين الطرفين مثل؛ واقعة تبادل الأسرى والموقوفين ومساعدة الفقراء والبؤساء وهو الفضاء الذي أتاح للآخر المسيحي، عرض مشروعه صراحة لاحتواء الأخر يقول: «**في البداية تمنيته مسيحيا نزهو به كأخ ونلقنه**

[1]- واسيني الأعرج : كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، دار الآداب بيروت، لبنان، ط 3، 2013 ص11.

[2]- محمد السيد عبد الرحمان، مقياس موضوعي لرتب الهوية، كلية التربية، جامعة الزقازيق، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص14.

تعاليمنا ليذهب بها إلى ذويه ويشيعها لكن مع الزمن تأكدت أن هذا الرجل الذي يشبهنا في كل شيء لا يمكن إلا أن يكون إلا هو؛ رجل محب لكل شيء يقرب الإنسان من المحبة والله »[1]

يعبر الوجود المسيحي عن تواجده في النص الروائي كمسار سردي هام هو مسار تكوين الذوات الفاعلة في الخطاب الروائي وهي عينها الهويات الدينية التي تتآلف عبر أشكال الحوار المتعدد والمتواصل على المستوى الفرداني /الفردي/الطبيعي أو على المستوى الثقافي الفكري، فينفتح السرد على موضوعات التجاذب والتقارب بين الأنا والآخر –المسيحي والمسلم- وتعد حادثة إطلاق الأسرى –التي اشرنا إليها سابقا المدخل الفعلي لفتح باب الحوار وإثراء أفق اللقاء بين الديانتين لا سيما بعد رد "الأمير" في مراسلة للقس "ديبوش" يطلب فيها من القس مراعاة اتفاقيات تبادل الأسرى حيث؛ يقول:

«اعذرني أن أسجل ملاحظتي لك بوصفك خادما لله وصديقا للإنسان كان من واجبك أن تطلب مني إطلاق سراح كل المساجين والمحبوسين وليس سجينا واحدا كائنا من يكون وكان لفعلك هذا أن يزداد عظمة لو مس كذلك السجناء المسلمين الذين ينطفئون في سجونكم، أحب لأخيك ما تحب لنفسك»[2].

وكان لهذا الرد الأثر البالغ في تغيير وجهة نظر القس تجاه دوره الاجتماعي والديني؛ ما أدى به إلى ضرورة تعميق الحوار مع "الأمير" وتوسيعه من قضايا السياسة إلى قضايا الإيمان العميق وهذا ما شكل حافزا إضافيا لتشكل التجاذب والتقارب على مستوى الشرائع والأحكام؛ وقد دل على ذلك في النص الروائي لجوء "الأمير عبد القادر" للقس **«مونسينيور ديبوش -في طلب مساعدته – للحصول على**

[1]- رواية كتاب الأمير، ص248.

[2]- الرواية نفسها، ص56.

كتب متخصصة في الدين والى كاهن معرب يشرح له تفاصيل المسيحية في صفائها الأول »[1].

وبسبب العلاقة الحميمة التي جمعت بين الشخصيتين وشعور كل واحد منهما بالتميز الفردي عن باقي أفراد الجماعة؛ فقد وصل الأمر بالأمير -حسب السارد- إلى إمكانية تغيير معتقده الإسلامي إلى المسيحية إن هو اقتنع بتعاليمها وشرائعها؛ يقول: **«روحك أنت غالية علي ومستعد أن امنح دمي لإنقاذها، امنحني من وقتك قليلا لأتعرف على دينك وإذا اقتنعت به سرت نحوك».[2]**

هكذا يطرح موقف "الأمير" موضوعة الهوية الدينية كمادة قابلة للمراجعة والنقد، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع باعتبارها شكلا دالا على مشروعية الاعتقاد كحق فردي يكفل للذات حرية انتقاء الدين والفكر والفلسفة.

2-الهوية الوطنية الجزائرية، التشكل والمآل

إن البحث في العلاقات التي تقيمها اللغة باعتبارها خطابات مع أحداث الثقافة المختزنة في الذات الجمعية، يفيد كثيرا في التقدم نحو فهم أكثر موضوعية للمعنى، كما أن رصد تحولات اللغة يسهم في فهم تطورات الوعي وارتحالاته العديدة؛ التي تشكل عبره واقعا هوياتيا يعيد إنتاج خطاب ثقافي يؤسس لإعادة تداوله دوما داخل الخطابات عبر استخدامات جديدة .

ومن هذه الزاوية ترسم اللغة العامية وكذا المعيارية في مستوى الفعل الثقافي، صورة الوجود العثماني بالجزائر وهي صورة لانتقال المعنى من حالة قارة في

[1]- الرواية، ص51.

[2]- الرواية، الصفحة نفسها.

التاريخ /حدث قائم بالفعل/إلى موقف جدلي يدعو القارئ إلى الارتداد إلى لحظات فارقة في التاريخ ترتبط بالأنا الجزائري وبرسم هويته؛ أمثلة هذا الإحلال كامنة في المتن الروائي، عبر خطابات متعددة؛ أبرزها صوت القوال – وهو يراقص قرده- قائلا :«**اشطح يا ولد المخازنية جدودك الأتراك باعونا بفلس وطيز رومية، اشطح يا ولد التالفة وقل في هذا الدوار الخالي، راح إلي بنا وعلا ويلك يالي توثق في الدونية، قل ليهم لو كانت الدنيا تدوم كانت دامت للي سبقوكم»**[1].

إن الصوت المتلفظ/اللغة العامية في هذا الخطاب تدفع القارئ إلى الجدل فيما يخص وجود العثمانيين باعتبارهم ممثلي الخلافة الإسلامية؛ وهذا التمثيل يساعد في تحجيم البعد الديني لفكرة القومية أو الأمة الإسلامية التي يعيش في كنفها الجماعة المعبر عنها في النص الروائي .ورغم هامشية الصوت/الشخصية في المتن الروائي من حيث الحضور إلا أن اللافت يكمن في توليد قارئ جديد لهذا النص باعتبار النص الأدبي«**ليس ذاتا مستقلة وإنما سلسلة من العلاقات المتداخلة مع النصوص الأخرى ونسقه اللغوي ومعجمه ينسحبان إلى التراث».**إن تواتر ألفاظ وكلمات ذات بعد تراثي في ملفوظ النص من شاكلة :المخازنية- الأتراك-باعونا بفلس-ولد التالفة-ولد الرومية ..تشكل ظاهرة معقدة في تلقي النص باعتبار أن وضعها في سياق «**لا يمكن فهمه فهما صحيحا بدون فكرة السياق نفسها ».**[2]

إن المستقبل لهذه الألفاظ/الكلمات، عليه أن يخوض غمار فك شفرات هذه الرسالة المعقدة عبر تتبع مسار التاريخ؛ والبحث والحفر عن الأسباب التي أدت إلى فك

[1]-رواية الأمير ــص80.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الارتباط العثماني بالجزائر والتخلي عنها وهي تواجه وحدها أشرس هجمة استعمارية في القرن التاسع عشر .إذ يعزو الراوي سبب ذلك، إلى حالة الضعف والترهل التي مست مفاصل الرجل المريض؛ التي عبر عنها في النص الروائي صوت الأمير -يقول-:«**بالنسبة للباب العالي من الأولى ألا اتكل عليه ولكني فعلت ذلك لوضعه أمام هزاله وخيبته ومرضه الطاعة تأمرني بفعل ذلك ولو كنت اعلم سلفا أن لا احد يحرر هذه الأرض إلا ذويها** »[1] كما يظهر ذلك الحضور- أي الوجود الإسلامي العثماني- بصوت الشعب ممثلا بالقوال؛ يقول:«**اشطح يا ولد المخازنية ..إلي دار على راسك شاشية السلطان راح ونساك وباعك بالرخيص /ثم ناولته ابنته الربابة من جديد وبدا يعزف والقرد يرقص وبنت القوال تغني له بصوت شجي نفس كلمات والدها ..اشطح يا ولد المخازنية باباك ماهو عربي وأمك ماهي رومية .شكون جابك لترابنا يا ولد التركية** »[2].

تعكس هذه الخطابات موقف صوت الشعب من الوجود العثماني قبيل الاحتلال الفرنسي وهو وجود ساهم في نشر حالة من التذمر لدى الأهالي؛ بسبب الفساد المنتشر في البلاد .يقول الراوي بصوت القوال: «**ولد العصملي جبر لمطامير واجدة وامسح الأرض واكل الأخضر واليابس، الرجال ما ماتوش علق ونسى، الحقد كيما النار، لما تنفخ فيها تزيد تشعل ..ولد العصملي يا قردي الزين** »[3].

---

[1]- الرواية، ص314.

[2]- الرواية، ص 80.

[3]- رواية كتاب الأمير، ص 80.

لم يتوقف التذكير بهذا المكون الفرعي من مكونات تشكيل الهوية - عند صوت القوال فقط- بل شكل بنية أساسية شكلية/سردية في النص؛ جسدته قصة يوسف التركي الجندي العميل لدى قوات الاستعمار الفرنسي؛ الذي يمثل حضوره استدعاء لذات فاعلة في الخطاب الروائي باعتباره السبب الرئيس في اكتشاف زمالة الأمير والوشاية بها عند قادة الاحتلال؛ ويعد اكتشاف الزمالة العاصمة المتنقلة للأمير، الحدث الأبرز في النص/التاريخ الذي عجل بسقوط مشروع الدولة القطرية في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر.يقول التركي العميل:

«يبدو انك اعمي يا كابتن وتحتاج إلى طبيب عيون، ليس المعسكر إلا زمالة الأمير وسأعود بنفسي مرة أخرى لأتأكد مرة أخرى، لا يمكن أن نترك الفرصة تضيع من يد الدوق دومال » [1].

بجسامة هذا الحدث الموقف، تصبح صورة "يوسف التركي" صورة للإنسان المحب للجشع والبراغماتية، المعبر عن ذات مهزومة، تنم عن قصور الوعي وزيفه إزاء علاقاته مع أقرانه من بني قوميته الذين يمثلون في الحقيقة وحدة الانتماء والمصير المشترك؛ يقول الراوي :**من أين جاء يوسف بكل هذا الحقد ؟ما حدث كان يجب أن يحدث.**[2] فكان وجوده سلبيا في التاريخ وفي النص، يقول الراوي –في وصف سلوك التركي العميل-:

[1]- الرواية، ص344.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص 334.

«لم يتوان يوسف الذي يعرف ثقافة الشرق في الهزيمة من إذلال قوات ولي العهد تاركا وراءه قرابة ألف قتيل من الفرسان وإلفي جريح لم ينج من رصاصة الرحمة التي يجد لذة في إطلاقها على من بقيت فيه إمكانية الحياة »[1]

إن تصوير الوجود العثماني من قبل الروائي بصور عدة في الرواية؛ الغرض منه هو دفع المتلقي إلى اختبار روافد تشكيل الهوية في عالم الرواية /الواقع، باعتبار أن هناك آفاقا منفصلة عن الواقع الحاضر؛ تربط الثقافة بالتاريخ وتحيل مرجع الأنا إلى الارتداد في الزمن لاختبار تلك المكونات أو الروافد، وإعادة مساءلتها مجددا حول طبيعة العلاقة التاريخية السياسية؛ أهي طبيعة انتداب وخلافة ؟أم صورة ملمعة عن استعمار مقنن ؟إن تحجيم ذلك الوجود واستهجانه في نص الرواية يشكل فعلا معرفيا في جوهره « **فالذاكرة الجماعية تصبح واقعا معرفيا إلا عندما تصبح قادرة على إنتاج الأنساق الثقافية التي تتضمن المعرفة ومن ثمة تنشا هيمنة المعنى النسقي وسيطرته على عقل الفرد بعملية تداولية لسانية داخل الخطاب ».[2]**

يزداد التوتر في عرض مكونات الهوية الوطنية الجزائرية عبر سرد أحداث العلاقة مع الجار المغرب والتي قدمت في أسوا حالاتها التاريخية رغم وحدة الشعبين وتآزرهما في العيش والمصير المشترك، ويشكل هذا النوع من السرد التخييلي للتاريخ أرضية جديدة للقارئ لإعادة مساءلة الواقع إزاء قضايا الجوار والوحدة والقومية عبر استدعاء التاريخ ووضعه على محك الراهن الذي يسجل حالات تشنج

[1]- الرواية نفسها، ص389.

[2]-عبد الفتاح أحمد يوسف: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، مرجع سابق، ص 68.

في العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب لاسيما قضايا الحدود وأزمة الصحراء الغربية .

يعرض المغرب الأقصى في رواية كتاب الأمير باعتباره الفضاء الطبيعي والحيوي الذي يستأنس له الأمير في بناء دولته، في حين يقدم النظام الحاكم الملكي كنظام متكبر وعنجهي وهذا ماعبر عنه الروائي في النص بسلوك ولي عهد المغرب "سيدي محمد" الذي« **رفض أن يدخل جيش الأمير إلى جانبه حتى لا تقول القبائل إن وراء نصره المؤكد يتخفى رجل اتعب الجيوش الغربية الأكثر نظاما وصرامة ....فقد بعث ولي العهد في إثره بعض قادة القبائل يترجونه أن لا يتدخل فيما لا يعنيه وانه كفيل بسحق الأعداء »**[1].

كما عرض النظام المغربي في صورة خانع متواطئ مع الاستعمار الفرنسي؛ يقول الراوي العليم:

«**فسلطان المغرب يعتزم الهجوم على الدائرة وتسريح المساجين وتسلينهم لبيجو لمحو أثار الضربة التي تلقاها في طنجة ووادي اسلي ...سلطان المغرب وأولاده باعونا وتناوروا على راسنا والماريشال بيجو سقط في لعبتهم »**[2].

تمظهر ذلك الانخراط المغربي السلبي في هجوم قوات السلطان على قبائل" بني عامر" التي كانت تساند الأمير واستجارت بالأخ المغربي الذي لم يتوان في« **شن هجوم عليهم وهم يحتمون بربوة وراء موتاهم وظلوا يدافعون عن حريمهم ثم**

[1]-رواية كتاب الأمير، ص385.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص 402.

هاجموا بشكل انتحاري واشتبكوا مع الجيش وعندما يئسوا من الانتصار ..قتلوا أبناءهم وبناتهم خوفا من السبي ثم قتلوا أنفسهم ومن بقي حيا منهم باعه رجالات السلطان في أسواق مراكش وفاس بأبخس الأثمان»[1].

وتعد حادثة إعدام "البوحميدي" –المرافق والصديق الوفي للأمير- من قبل المخزن، نقطة انعطاف خطيرة لمسار العلاقة بين "الأمير" والمخزن ؛ يقول "الأمير":

« سجن بمجرد وصوله ثم وصلنا انه قتل في حبسه ولا احد يعرف التفاصيل بدقة الأخبار التي نفذت إلينا في بدايات شهر ديسمبر قطعت مع كل الشكوك قتل البوحميدي مسموما في سجنه.يقال أنهم رأوه يتلوى في مكانه وأمعاؤه تتـــمزق وظل يتمرغ حتى فارق الحياة ورمـــي للكلاب الجائعة في أنـــفاق السجن »[2].

إن السلوك العدواني للمغرب إزاء الأمير عبد القادر لم يقتصر عند هذا الحد بل تعدى إلى محاولات جريئة لاغتيال الأمير وتصفيته جسديا بدءا بإرسال جاسوس عسكري من رجال السلطان حاول قتله ولكن مشيئة الله غيرت الموقف بان رق قلب المهاجم وامتنع عن فعله؛ وهذا ما عبر عنه صراحة في الرواية بقوله:«**يا أمير المؤمنين لقد كلفت بقتلك وها أنا ذا افشل في رفع سيفي ولا ادري لماذا مع أني كنت وحدي كما ترى ؟..يا أمير المؤمنين إنهم يريدون قتلك وهم مصممون على ذلك»[3].**

---

[1]- الرواية نفسها، - ص417.

[2]- الرواية نفسها، - ص423.

[3]- رواية الأمير، - ص ص 428-429.

كما عرضت الرواية آخر مسارات العلاقة بين الجيش الأميري والمخزن ضمن المعركة الأخيرة التي أنهكت الأمير وجيشه وهو يحاول الإفلات من تتبع قوات الملك المغربي الذي أراد أن يسلمه على طبق من ذهب لقوات الاستعمار الفرنسي، إلا أن الأمير بحنكته استطاع التخلص من قوات المغرب ولكن فشل في الآن ذاته في كسر الحصار الفرنسي المطبق على كامل الممرات الواصلة بين المغرب والجزائر؛ مما اضطره للاستسلام لجيش "بيجو Peugeot" على الحدود الغربية للجزائر وعدم تجرع كأس المذلة والمهانة التي أعدها له ملك المغرب .

يقول الأمير: **«أفضل أن أسلم لنفسي لعدو حاربته وانتصرت عليه في الكثير من المعارك وقبلت هزائمه، على أن أقدم راسي لمسلم خانني .لمسلم خانني وقت الشدة »**[1].

هكذا إذا؛ تعرض المحطات السابقة هشاشة مكونات الهوية الوطنية في ظل اتكائها على مقومين أساسيين هما الإسلام – ويمثله الوجود العثماني التركي- وبين العروبة التي مثلها الحضور الملكي للمخزن في الرواية؛ وهما رافدان خذلا الأنا/الجزائري في مراحل تشكله نهاية القرن التاسع عشر وصراعه المرير تحت نير الاستعمار الفرنسي إلى غاية التشكل الفعلي للهوية الجزائرية تمثلها الدولة المستقلة سنة1962 .

[1]- الرواية نفسها، - ص462.

3-الهويات الجماعية؛ التشظي وتعدد الكيانات:

تحفل رواية الأمير مسالك أبواب الحديد بحضور جماعات متميزة ومتباينة من حيث الموقع والعلاقة مع إمارة "الأمير عبد القادر"؛ وشكل تميزها ذلك إضفاء لهويات متعددة غلب عليها الطابع العرقي والقبلي الاثني، وأقلها حضورا الجماعات ذات الطابع الديني .وقد شكلت هذه الكيانات في تفاعلها بيئة أو فضاء لحركة السرد؛ وقد عمل الراوي على تبسيط وجود تلك الجماعات كي تكون أكثر سهولة للفهم في حالة حضورها نصيا ومدى علاقتها -باعتبارها حوافز سردية- بمسار الأحداث وقد يحدث أن تتمظهر بعض الهويات لملاءمة طبيعتها مع الأحداث اليومية التاريخية آو في بعض المحطات الخاصة؛ حيث استأنس الروائي بالتاريخ فاستدعى **القبيلة** كمصلح دال على جماعة لها ما يميزها عن الآخرين؛ مصطلح سابق للدولة المدنية الحديثة، وهو مؤشر من الروائي على وجود مكونات أولية لتشكيل هوية واحدة للشعب الذي يعيش في أرض الجزائر وقد عرض لنا الراوي ذلك الوجود ضمن مسارين :

- أما الأول وهو يختص بالقبائل المبايعة للأمير والتي عمل جاهدا على توحيدها في إطار دولته الفتية .
- أما الثاني؛ فيتعلق بالقبائل والجماعات التي كانت تعارض الأمير الموقع والفكر.

غير أن سؤال الهوية كلما اتجه إلى دائرة التوسع في صراع هذه الجماعات ينبئ عن قصور حقيقي لوعي الجماعات هذه في ظل جو مشحون بالتخلف والعصبية؛ لذا نجد في النص الروائي برنامجا سرديا فرعيا يبين موقف الأمير من

هذه الهويات التي تتنازع فيما بينها لأسباب غير حضارية كالتحرش أو السرقة أو القتل ..يقول الأمير:

«خلاص كل شيء لازم يتغير هذاك العهد إلي كنا فيه نأخذ مال الناس بغير حق راح .القبائل صارت من لحمنا ودمنا ونحن صرنا منها إخوة في الخير والشر».[1]

لقد عمل "الأمير" على توحيد القبائل ونقلها إلى مستوى الوحدة عبر كلمته أثناء مبايعته أميرا على الغرب الجزائري؛ محاولا بناء دولة تقوم على المواطنة ولا تقوم على القبيلة؛ يقول:

«إن أهل مناطق معسكر واغريس الشرقي واغريس الغربي ومن جاورهم واتحد بهم وبني شقران وعباس والبرجية واليعقوبية وبني عامر وبني مهاجر وغيرهم اجمعوا على مبايعتي. ..مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين وإزالة النزاع والخصام بينهم وتامين السبل ومنع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو الذي غزا أرضنا وهو يهدف للسيطرة علينا».[2]

وعلى الرغم مساعي الأمير الرامية لتوحيد هذه الجماعات إلا أن مصالحها الخاصة كانت قاصرة على النظر إلى التاريخ في ظل تغيرات كبيرة شملت العالم أواخر القرن التاسع عشر؛ فكانت كثير من القبائل تقف عائقا أمام مسار الأمير ولعل أبرزها قبائل **الزواف** التي تحالفت مع الجنرال "بيجو" في حربه ضد الزمالة، ناهيك على قبائل عدة من الغرب الجزائري بقيادة القايد "مصطفى بن إسماعيل" . يقول الراوي:

[1]- رواية كتاب الأمير، ص 93.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص ص89-90.

«كان بيجو مدعما بثلاث فيالق مدعومة بفرقة الزواف Les Zouave[1] لفتح الطريق ...مساعدة القايد مصطفى بن إسماعيل بفتح الطريق بستمائة خيال»[2].

يصف "الأمير عبد القادر" القايد "مصطفى بن إسماعيل" :

«ذئب الخلاء.الغيرة تعمي الإبصار من حماية الكروغلي إلى خدمة الفرنسيين .اختار الطريق الأقل تعقيدا ولكن الأكثر صعوبة لقد قدك خدمة كبيرة لأعداء وطنه وأرضه على راس ستمئة خيال..سلمه كلوزيل عندما سارع لنجدته لفيف الشرف في ساحة المشور في 6 فبراير1836 كان وراء تدمير تكدامت كان الأكثر معرفة بأسرارنا للأسف فهو من جلدتنا كل الناس راؤوا حقده الأعمـــى وهو يحرق الكتب ويدمر القلاع وكصانع البارود ويمرغ الوجوه الكريمة فـــي الوحل ».[3]

شكلت هذه الجماعات نصف كماشة أمام الإمارة الفتية، في حين أن النصف الثاني أطبقه ملك المغرب والجيش الفرنسي بقيادة الجنرال "بيجو"؛ لتعطي بذلك دليلا قاطعا على ضعف هذه الكيانات في اللحظات التاريخية الحاسمة؛ ولعل ما يمنح هذا

[1]- **الزواويون** بالانجليزية **zouaves** أو " ***الزواف***" هو اسم يطلق على القوات التي يتم تجنيدها محلياً للقتال مع العدو ضد الأهالي و اصل التسمية يرجع إلى قبيلة" زواوة "البربرية الجزائرية التي كانت تمد القوات العثمانية بالجنود، وعندما احتلت فرنسا الجزائر أسس الماريشال بورمون" **Bourmont** " عام 1830 تشكيلات عسكرية من أفراد هذه القبيلة كامتداد للتشكيلات العثمانية، حارب الزواويون بجانب القوات الفرنسية المستقلة في شمالي إفريقيا حتى إبان الحرب العالمية الثانية(1945 -1939)

[2]- الرواية، ص 304.

[3]- رواية كتاب الأمير، ص 351-352.

الفهم راهنيته؛ ذلك الانتقاد الحاد الذي كان يوجهه وباستمرار "الأمير عبد القادر" إلى القبائل؛ يقول :

«ابتداء من اليوم كل شيء سيتغير لسنا في حاجة إلى هذا البذخ لكي نحارب الآخرين.الانتصار على الغزاة صعب، نحتاج إلى أسلحة حقيقية إلى الماء إلى زراعة مغذية نحتاج إلى تغيير سلوكاتنا اليومية، نفكر كيف نصنع المدافع والأسلحة الخفيفة والسيوف، بدلا أن نكتفي بتصليحها أن نعيد اكتشاف البارود إذ دعت الضرورة ونتخلص من البارود الأخضر القبائلي الذي لا ينفجر؛ وإذا انفجر أحرق صاحبه قبل أن يحرق العدو. المعركة استعداد يومي وإلا سنحني الرؤوس ونقوم بما قامت به بقية القبائل ونعود نتصيد الغنائم »[1].

إن التأخر الحضاري العلمي التقني الذي اتسمت به القبائل آنذاك؛ هو ما زاد من عمق تشعبها واختلافها وجعل انخراطها في الفعل الراهن السياسي والعسكري، سببا مباشرا لسقوط مشروع هوياتي جديد، لمجتمع حديث تعيش في كنفه كل القبائل بما يضمن مصالحها .

إن محاولات توحيد هذه الكيانات لا يتأتى إلا قي ظروف ملائمة وآمنة وتتم عبر منظومات العلم والعقل وهذا ما جعل الأمير - بعد اختبار القبائل - يتجرع مرارة خيباته وانكساراته ويحكم عليها بأنها عاجزة عن فهم الواقع والتاريخ؛ يقول الأمير:

[1]- رواية كتاب الأمير، ص 94.

«السيف بدأ ينسحب أمام البارود والمدفع اللومبردي والجياد والخيول الكبيرة أمام السيارات البخارية إنهم لا يعرفون إننا نحارب كذلك بالحيلة واللف والدوران أو غريزة حب البقاء وإلا لأبدنا وصرنا تحت سلطة الأعداء لو فقط يعرفون ولكني أدرك جيدا إنهم لا يعرفون . مشكلة قبائل الأشراف أنها لا زالت تظن أن الانتصارات تأتي هكذا بقدرة قادر.إننا اليوم لا نملك الآلة الفرنسية المدمرة، ولكن نملك على الأقل الإرادة لتعطيل جزء كم مفعولها ونحتاج في هذه الحالة إلى وحدة حقيقية وثقة كبيرة فيما نقوم به، وإلا سيأتي يوم ويتعطل كل شيء بدون أن نحصل حتى على الحد الأدنى .. »[1]

بهذا الشكل؛ شكلت القبائل باعتبارها كيانات متباينة وهويات مترهلة غير ثابتة -في مستوى فهمها للعالم- سببا وجيها لسقوط مشروع الأنا الجزائري بسبب عدم اكتمال أو نضج وعي الجماعات التي تعيش على القطر الجزائري باعتبار الخريطة السياسية اليوم. يصف الأمير حال ضعف القبائل:

« كنت أعرف أننا سنخسر الكثير ولكن القبائل كانت مخطئة مخها حابس ولا حل لي معها إلا ابتلاع هذه الخسارات الفادحة »[2]**.**

ولعل هذا ما يجعل عبء رسم حدود هوية الأنا الجزائري محصورة فقط –وبشكل نسبي- في وعي الأمير عبد القادر الجزائري الذي بمثل هوية فارقة في التاريخ نظرا لما تكتسيه الشخصية من حضور لافت في التاريخ الحديث.

[1]- رواية كتاب الأمير، ص 224.

[2]- الرواية نفسها، ص224.

وإلى جانب القبائل، يدرج الراوي في برنامجه السردي أحد أهم العوائق وهو وجود الجماعات الدينية التي لا تود الاعتراف بالأمير سلطانا على البلاد، وقد عرضها الروائي انطلاقا من التاريخ الفعلي حيث؛ ترجمها في **الطائفة التيجانية** باعتبارها هوية دينية صوفية؛ دخلت تحت حصار قوات الأمير طيلة نصف سنة خلف أسوار مدينة "عين ماضي" «**دام -الحصار- من 12 جوان حتى 2 ديسمبر، تاريخ رفع الحصار، ثم حرق المدينة الذي انتهى يوم 12 جانفييه1839**[1]» كان ذلك رغبة من "الأمير" في امتثال المدينة وشيخها للولاء والطاعة؛ وهذا ما أدى إلى إنهاك نفسه وجيشه في معركة جانبية أفقدته-فيما بعد- القدرة على المبادرة لتطوير دويلته الفتية .يقول الراوي على لسان "جون موبي":

« لدي إحساس خاص أن وراء مغامرة الأمير في عين ماضي أناسا آخرين لا يحبون الخير لا له ولا لفرنسا .أتساءل من بعث خليفة الأغواط العربي ولد سيد الحاج عيسى إلى المدية ليطلب من الأمير أن يساعده على كسر شوكة التيجانية ويقنعه بان أتباعه ينتظرونه لمبايعته ؟ لماذا أجبر الأمير على ترك قلاعه وتحضير مدنه وذهب إلى عين ماضي لتدميرها وهلاك عسكره بسبب الحصار والبرد إذا لم يكن هناك نية مدبرة سلفا؟لماذا ساعده سلطان المغرب وفالي بالمدافع القادرة على تدمير التحصينات؟...الامير من الحكمة بما كان من الدخول في لعبة حروب لا تخدمه ولا تخدم ذويه ».[2]

[1]- الرواية نفسها، ص279.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص252.

4- الهوية الفردية /الأمير "عبد القادر" بعيون الآخرين:

يعرف الفرد كذات متميزة عن الآخرين في ضوء معطى هو وجود الآخرين أنفسهم؛ وهذا المدخل لتحديد الهوية الفردية يتم عبر رصد أعمال الفرد داخل الجماعة التي يعيش قي كنفها، كما يمكن معاينة هويته انطلاقا مما يحمله الآخرون من تصورات وتحديدات له.

وفي هذا الإطار، يمكن الحديث عن هوية فردية فارقة في التاريخ وفي النص الروائي وهي شخصية الأمير عبد القادر الجزائري التي تشكلت كأثر وصورة ذهنية انطلاقا من خطابات الشخصية ذاتها أو من خلال ما قدمته أوجه النظر المختلفة في تقييمها للشخصية أو التعبير عنها.

وتعد شخصية الأمير الشخصية المهيمنة في الخطاب الروائي إذ اكتملت سرديا عبر معايير التأهيل ومعرفة الفعل والقدرة على الفعل ثم الانجاز .فلكي **تحقق الذات انجازها عليها أن تمتلك بشكل سابق الأهلية الضرورية لذلك ...وجوب الفعل ومعرفة الفعل وقدرة الفعل وإرادة الفعل [1].**

وقد عرضت الرواية شخص الأمير وقد تمثل قيم الثقافة والدين والسياسة والاجتماع، حيث تعددت الأصوات الواصفة له بدءا بالقس "مونسينيور ديبوش" الذي قال:**أعود للتو من قصر امبواز قضيت أياما تحت سقفه المضياف في حميمية نادرة مع المع**

[1]- سعيد بن كراد :مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، المغرب، ط2 2003، ص60.

سجين عرفه القصر...أعتقد أنني أكثر معرفة بغيري بعبد القادر وأستطيع اليوم أن اشهد بالحق من يكون هذا الرجل.[1]

تعد شهادة القس أبرز صورة لدى الآخر حول الأمير الشخص/الهوية، يقول :

عبد القادر مثل نابليون متدين وهادىء وبسيط في ملبسه ومعشره، حيوي وشجاع، وسيد نفسه، صادق وعبد لوعده، لا شيء يفقده صوابه مثل الكذب والبهتان..مثل نابليون.....هناك ملمح آخر للشبه هو الحنان وتقدير يكاد يكون مثل الدين لامه.وأخشى إذا واصلت في ذكر مناقبه أن أبدو بدوري مأخوذا بسحر هذا الرجل بحيث اعجز أن أكون موضوعيا في حكمي على الرغم من قناعتي مما رأيت ولمست بنفسي منذ ثلاثة أسابيع تقريبا [2]

إن توصيفا كالسابق من رجل له قيمة لدى الآخر، لم يكن كافيا لتبرير إطلاق سراح "الأمير" وفق المعاهدة الممضاة بين الطرفين، كما أنها لم تمنع بعض الأصوات المعارضة التي كانت ترسم صورا متناقضة وضبابية حول شخصية "الأمير"بناء على الأخبار التي كانت تردهم عنه؛ وقد عبر عنها الجنرال "لبرانس دولا موسكوفا "بقوله :

[1]- الرواية، ص21.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص552.

« إما اعتبار عبد القادر مجرم حرب وقرصان تافه وفي هذه الحالة يجب شنقه على الفور أو اعتباره قائدا ومقاتلا سلم نفسه وفق وعد مكتوب وفي هذه الحالة يجب أن يعامل باحترام [1]»

أما الجنرال "ماربو" فقد وصفه بالمجرم :

« لا يجب أن ننسى أبدا أن هذا الرجل الذي تدافع عليه اليوم ذبح أكثر من 300 سجين فرنسي في يوم واحد إذا كنتم تعتبرون هذا الأمر هينا فأطلقوا سراحه ومرغوا شرف هذه البلاد في الأحوال»[2] .

في حين ضم الجنرال "بيجو" صوته للقس في الدفاع عن "الأمير" منوها بضرورة الحفاظ على العهد الذي قطعه الجنرال "دولا مورسيير" لتوقيع الاتفاقية مع "الأمير"؛ يقول "بيجو":« **احترامنا لهذا الجنرال العظيم دولامورسيير يمر عبر احترامنا لبنود الاتفاق التي عقدها مع الأمير عبد القادر.من يستطيع اليوم أن ينكر أن عبد القادر قاوم من اجل وطنه ودينه ويستحق كل تقديرنا من جيشنا..فقد بادل الجنرال الفرنسي سيفه بسيف الأمير وهذا وحده يكفي للقول إن الضمانات المقدمة للأمير كانت كافية »[3].**

يغلب على رؤية الآخر الفرنسي لـــــــ" الأمير عبد القادر" على أنها شخصية وطنية؛ وهذا ما عبرت عنه خطابات "القس ديبوش" وبعض الجنرالات، الذين عزوه

[1]- الرواية نفسها، ص 32.

[2]- الرواية نفسها، ص33.

[3]-رواية كتاب الأمير، ص ص 32-33.

شخصية استثنائية وجب التعامل معها باحترام .وقد وصفت بالاستثنائية نظير مجهودات "الأمير" الإنسانية التي ترجمت من خلال مواقفه إزاء السجناء وأسرى الحرب وكذلك دفاعه على المستضعفين أينما كانوا؛ يقول الراوي على لسان القس:

«عرفت عبد القادر في أيام عزه وقت كانت الجزائر كلها تحت سطوة سلطانه وقوانينه ستجده اليوم أكبر وأكثر إدهاشا في نقاشاته لا يطلب الشيء الكثير من الدنيا ولا يتشكى أبدا ويجد الأعذار حتى لخصومه في الميدان ولا يسمح بان يمسهم سوء ...بزيارتكم لهذا الرجل النبيل والاستثنائي الشخصية ستضيفون عملا إنسانيا جديدا إلى ما زخرت به حياتكم»[1]. وإلى جانب هذا التصوير تظهر في النص صورة "الأمير" من منظور الأنا الجزائري ممثلا في صوت السارد الشعبي الذي يعرضه في شكل البطل الخارق الأسطوري؛ يقول الراوي:

«رأيت مولاي عبد القادر الجيلاني شاء الله به في لباس ابيض فضفاض أخذني نحو زاوية وقال لي أغمض عينيك أغمضتهما وعند فتحهما كشف لي عن عرش كبير في الصحراء ...وجاء بشباب مليء بالحياة في عمر سيدي عبد القادر ووضعه وصيا على العرش»[2].

وعبر ملفوظات الحالة التي وردت على السنة شخصيات الرواية، تتجسد صورة "الأمير" وفق المتخيل السردي الذي يقرب الرجل للأسطورة عبر سرد سيرة "الأمير" باعتباره بطلا خارقا تفوق قدراته قدرات البشر العادية؛ يقول السارد:

[1]- الرواية نفسها، ص46.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص86.

«الشاب هذا يا سادة يا كرام عليه براكة سيدي عبد القادر الجيلاني والأولياء الصالحين عوده مثل البراق ويطير حصانه للسماء عندما يحاصره الأعداء سيفه البتار يطفي البرق من حدة لمعانه.القران في القلب وفي يده سيفه الذي لا ينزل إلى الأرض ولا ينام .وساسبو مايخونو أبدا .ناره ما تروح في الفراغ في موقعة وهران خلاص له البارود رفد عصاه وحفنة تراب وقال ربي اعني ونوشن صوب عدوه وفتح يده.فنت العدو إلي كانت قبالته »[1]

كما عرف عنه أيضا البطولة والشجاعة :

«يا ديوان الصالحين يا ديوان الصالحين،

والصلاة على النبي محمد،

في العام البارد، والماطر،

جانا سيدي عبد القادر،

سلاك المسكين والواحل،

وهزم كل الكفار.. ».[2]

بالإضافة إلى هذا التصوير العجائبي؛ تعرض الرواية سيرة "الأمير" من زاوية أخرى تتعلق بالنظر إلى الأمير كانسان عادي يحي في وسط جماعته وهو يتحلى

[1]- رواية كتاب الأمير، ص79.

2- الرواية نفسها، ص291.

بمنظومة من القيم والمبادئ هي ذاتها ما يميزه كهوية استثنائية في النص فعرض "الأمير" في لحظات انتصاراته وانكساراته واجتماعه وعزلته؛ وهذا ما عمق هيمنة حضور هذه الشخصية على مسرح الأحداث النص/التاريخ.

5- الهوية الاستعمارية، الطبيعة والأهداف:

يبدو الحضور الفرنسي الاستعماري في تشكيلات خطابية متعددة أبرزها الحوارات الخالصة بين الشخصيات سواء تلك الحوارات التي جمعت بين الأنا الجزائري في ذاته، أو تلك الأخرى التي جمعت الأنا بالآخر؛ وقد اعتمد الروائي هذه التقنية لبيان حقيقة الأخر الفرنسي من زوايا نظر متعددة – رغم الإجحاف الحاصل في تغطية الجرائم وإخفاء الضغائن مقارنة بمحكيات فرعية أخرى لازمت علاقة الأنا والأخر نهاية القرن التاسع عشر .وقد ذهب الروائي إلى دفع شخصياته لتسرد من الداخل هذه النظرات والرؤى، كما هو الحال مثلا في الحوار الذي أجراه " الأمير عبد القادر الجزائري" مع الكولونيل "دوما" في قصر امبواز –حيث كان الأمير وحاشيته في الأسر- يقول:

- **« لم تغيرك فرنسا كثيرا وهي التي كانت تحلم بان تجعل منك مواطنا من ذويها .المجلس يتردد في قبول التعهد الذي قدمه لك لامورسيير، الملك تمنى لو استطاع أن ينفذ ما زكاه ابنه ولكن عبثا تمنى والحال هذه، أن تتبنى هذه البلد ويلحق بك اهلك وأقاربك بالجزائر مقابل التخلي عن التعهد علانية .ولكن هو نفسه سحقته آلة الزمن .....**

- **الأمير:من ناحية إلحاق الأهل فقد ألحقوهم لقد جاؤوا بإخوتي وأبنائي وسجناء سانت- مارغريت إلى هذا المكان الرطب الذي منذ أن يدخله الإنسان يبدأ في الموت البطيء.أنت تعرف جيدا أنني لا أقبل هذه المقترحات .فليفعلوا ما بدا لهم هم سادة الشأن والقرار ولا يمكن أن أتخلى عن المطالبة بالوفاء بالعهد ما دمت حيا .ومن عجب ما يسمع أني كنت أرى نفسي ضيفكم فجعلتموني أسيركم وأخذتم تعددون علي أمورا قمت بها دفاعا عن أهلي وأرضي وديني.**
- **أعرف كل هذا .ربما يتم التفكير لقيادتك إلى باريس لاكتشاف حضارتنا وقوتنا مثل ما فعل إبراهيم باشا؛ خديوي مصر، لتغير قليلا من هذا اليأس وهذه الرطوبة .**
- **لا ..إبراهيم باشا رأى باريس وغيرها من أمصار فرنسا متنزها له يمرح فيه كيف شاء، أما انأ فلا أرى فرنسا إلا سجنا لي ولمن معي، فلا فرق إذن عندي بين هذا القصر وباريس ».[1]**

يبين الحوار السابق الصورة الحقيقية للهوية الاستعمارية التي لا تلتزم العهود والمواثيق، فهاهي على لسان الكولونيل "دوما"؛ تحول الأمير من ضيف حسب المعاهدة المبرمة مع الجنرال "دولامورسيير" إلى أسير حرب؛ يقبع في قصر كلاسيكي أصم، هو قصر **امبواز**؛ وقد عبرت رؤية الكولونيل عن تلك الرغبة الجامحة للذات الاستعمارية في سعيها الدؤوب لشراء الهمم والنفوس نظير مكتسبات مادية وامتيازات مدنية تغلفها عنجهية التعالي الموسومة بالتحضر والتقدم .حيث

[1]- رواية كتاب الأمير، ص ص527-528.

انصب كل حواره على إقناع الأمير بالذوبان في **الذات الفرنسية** عبر منحه كل ما يحتاج إليه وأقرانه، مقابل التخلي النهائي والفعلي عن أي رابطة، أو علاقة مع وطنه المسلوب .

ليست هذه الطريقة وليدة مسعى فردي للقائد العسكري "**دوما**" بل كانت رؤية أغلب السياسيين والعسكريين الفرنسيين وعلى رأسهم الملك الجديد لفرنسا "**فيليب نابليون**"، الذي ظل مترددا للفصل في شأن احتجاز الأمير بقصر امبواز العتيق، أو بالسماح للإفراج عنه إلى جهة يتم الاتفاق حولها مع الأمير وحاشيته. كذلك كان موقف الجنرال "بيجو" الذي يحاول إقناع الآلة الاستعمارية بالمحافظة على اتفاقيات كان قد أمضاها أسلافهم سابقا؛ طريقا يسعى من خلاله إلى تطبيق روح الاتفاقات المبرمة بين الدولة الفرنسية والجيش الأميري، وقد عرض ذلك بموقفه الذي يبدو مساندا لتوجه الأمير واختياراته؛ يقول :

«لقد قلب الملك الذي سبق وأن أكد لي على تسريحك وتسهيل ذهابك إلى مكة الحكومات التي أعقبت وجدت نفسها تحت ضغط الرأي العام فتخلت عن هذا الوعد ....سيمر وقت طويل حتى يسمح لك بالذهاب إلى مدينة النبي الصراحة أحسن من الأماني الكاذبة .الأفضل أن تتخذ قرارا متماشيا مع الوضعية التي اختارها الله لك.أتمنى أن تصل إلى قرار تبني فرنسا كوطن لك وتطلب الحكومة أن تمنحك أنت وعائلتك

قطعة ارض غنية وستكون لك حياة مساوية لحياة أي مواطن فرنسي محترم»[1].

- **والله لو جمعت كل كنوز الدنيا في برنسي وطلب مني أن أضعها مقابل حريتي لاخترت حريتي.لا اطلب شفقة ولا منة اطلب فقط تطبيق الالتزامات التي اتخذت تجاهي» .[2]**

شكل الوفاء بالعهد كقيمة إنسانية مثلى محور تجاذب كبير بين الأنا ممثلا في" الأمير عبد القادر" وبين الآخر ممثلا في السلطات الفرنسية، ورغم الإشادة الضمنية بتحقيق نص الاتفاق التاريخي في النص الروائي، إلا أن ذلك الاتفاق لم ير النور؛ لولا شخصية "الأمير" القوية - التي تستمد مبادئها السامية من الدين الإسلامي -التي أجبرت الآخر الفرنسي على تحقيق الانجاز، رغم الصعوبات والمحاذير التي رافقته، كالأيام الصعبة التي قضاها "الأمير عبد القادر" في غياهب الإقامة الجبرية بقصر امبواز بباريس. يصف "الأمير" خيبة الأسر بعد الاستسلام؛ بقوله:

- **كما ترى إننا نعامل هنا كذلك، في بلد حضاري وعريق أقل من سجناء مع أني أعطيت وعدا للمحافظ العام للحكومة المؤقتة السيد أوليفيي باني لن أعود للجزائر حتى يطمئن قلبه.فأنا منذ أن وضعت السلاح أعتبر نفسي في عداد الموتى ..ولا أملك دليلا آخر على حسن نيتي إلا كلمتي التي أموت دونها .[3]**

[1]- رواية كتاب الأمير، ص 537.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص 537.

[3]-رواية كتاب الأمير، ص528.

إن سلوك "الأمير" القويم بمحافظته على العهود والعقود، هو الذي رسم هوية المستعمر الناكثة للمواثيق والمعاهدات وهو السلوك نفسه الذي اتخذه كبار المسؤولين الفرنسيين الذين استغلوا **معاهدة التافنة** لإخضاع الجزائر؛ بدء بالزحف على قسنطينة، والسيطرة على الساحل. وفي اللحظة المناسبة رمي معاهدة التافنة وإلغاؤها وإعلان الحرب على إمارة "الأمير" الفتية، التي سببت في النهاية هزيمة إستراتيجية للمشروع الوطني موفى النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وإلى جانب هذه الحوارات الخالصة، تعرض الذات الاستعمارية من خلال همجيتها في الحروب؛ التي تظهر جليا في مشاهد سردية تلخص قمة الشر وآلته المدمرة التي استهدفت الجزائريين؛ يقول "الأمير" مواصلا حواره مع الكولونيل "دومون":

«ابنتي زهرة تصاب بالخبل بسبب الخوف والرعب الذي لحق بها في معتقل سانت- مارغريت، تعتريها ليلا حالات لا ترى فيها إلا الموت ولا تسمع إلا حوافر الخيل وهي تطأ الأسطح وصرخات النساء في الخارج وهن يقاومن الموت والاختطاف والاغتصاب مجموعة أخرى من العائلة تفكر في انتحار جماعي بان يرموا أنفسهم وسط الحرس لا ليهربوا ولكن ليفتلوا».[1]

لقد ترسخت تلك الصورة الدموية في أذهان أقارب "الأمير" وحاشيته اثر الهجوم الكاسح الذي أطلقه الجنرال "دومال" رفقة العميل "يوسف التركي الخائن" على

[1]- رواية كتاب الأمير: ص ص 529-530.

الزمالة – عاصمة الأمير المتنقلة- والذي نم عن رغبة شديدة للهتك بالجزائريين، في مشهد - أقل ما يقال عنه أنه -إبادة جماعية؛ يقول السارد:

«كان الهجوم كاسحا ومباغتا ...كل من استطاع حمل أي سلاح فعل ودافع باستماتة قبل السقوط تحت حوافر خيل جموحة لم تكن هناك قوة قادرة على وقفها كان يوسف يرتمي على الخيام بشكل أعمى فتسحب أحصنته خيالته كل ما تصادفه في طريقها من الأثاث و الأجسام التي لا تكاد تستفيق حتى تتحول إلى طعم سائغ للبارود والسيوف....صراخ الحيوانات اختلط بصرخات النساء والأطفال الذين وقفوا عراه من كل شيء في مواجهة الة يوسف التي كانت تحصد كل شيء. المشهد لم ينزلق من نظر الرسام هوراس فرنيه Horace Vernet[1]».

إن اعتماد الحوار كتقنية بنائية في النص الروائي ينبئ بتعبير الشخصيات المتكلمة عن رؤيتها الخاصة، التي تشكل في المحصلة رؤية الذات الاستعمارية وإيديولوجيتها القائمة على المنفعة المادية بعيدا عن أي امتياز ذو قيمة إنسانية؛ إذ الهوية الاستعمارية ما هي إلا هوية الذات المتعالية والمتضخمة- المتكبرة- التي تطوع كل الموجودات بما فيها الإنسان لخدمة مصالحها وأهدافها؛ وقد عمد الراوي إلى تبيين هذا الوجه القبيح؛ عبر حمل القادة العسكريين والسياسيين على البوح بحقيقة وجودهم في الجزائر.

[1]- رواية كتاب الأمير، ص345.

ويعد حوار "الدوق دومال" و"يوسف التركي العميل" اثر هجوم الزمالة أحد الحوارات العفوية لحظة انتصارهم في غارتهم الكاسحة خير دليل على البراغماتية المتوحشة للذات الاستعمارية :

«في المساء لم يستطع الكولونيل يوسف أن يخبئ سعادته الغامرة وبدا يعد مكاسبه وغنائمه الكثيرة:ألبسة نسائية غالية وحزامين ذهبيين وأسلحة صغيرة وبعض المصاحف المخطوطة والكتب الثمينة والرايات الحربية والكثير من الأواني النحاسية وغيرها جمعها كلها ثم توجه بها إلى خيمة الدوق دومال وقدمها هدية له .وهو يتأملها انه كان من بينها الأسلحة التي أهداها والده الملك فيليب للأمير بمناسبة توقيع معاهدة التافنة».[1]

تبدو شخصية" يوسف العميل" متفسخة لا قيمة لها في العمل الروائي لأنها ترمز إلى الكائن الذي يتنصل عن مبادئ هويته الدينية والقومية مقابل مصالحه الخاصة، وقد أورد الروائي أمثلة حية عن خذلانه لإخوانه المسلمين الجزائريين عبر بيان أفعاله الشنيعة كالسرقة والنهب والقتل، يقول الراوي:

- **«وخسائرنا، تساءل "الدوق دومال" موجها كلامه ليوسف.**
- **تكاد لا تذكر يا صاحب السمو .**
- **وخسائرهم؟**
- **أكثر من ثلاثمائة رأس، وستمئة زوج من الآذان .**

[1]- رواية كناب الأمير، ص 346.

- أتمنى أن لا نصل إلى الحالة التي يقال عنا فيها أننا نقلدهم في قتل المساجين.

وستة ألاف سجين، وأربعين ألف راس غنم، ومئتي فرد من العائلات الأقرب إلى الأمير والتي تشكل حاشيته.ماذا نفعل بكل هذا الحشد إذن »؟[1]

تبين الحوارات الخالصة - الخاصة بمناقشة الحرب بين جيش الأمير وقوات الاحتلال- طبيعة الهوية الاستعمارية أواخر القرن التاسع عشر-ق 19- وهي أساس الطبيعة الامبريالية في معناها الشامل التي تتأسس على « **فكرة تكوين إمبراطورية تسيطر على البراري والبحار وفق مبدأ أوربة العالم التي دخلت حيز التنفيذ بشكل رئيسي ليس من قبل الحكومات والدول فقط ولكن من قبل مئات الآلاف من الكولونياليين والتجار والمبشرين والمغامرين الذين تغلغلوا في العالم غير الأوربي »[2].**

وتعد التصنيفات السالفة للشخوص الممثلة للهوية الاستعمارية أحد التمثيلات الهامة في نص الرواية فبسلوكها الذي يتغذى من الهجمة الاستعمارية؛ تؤسس وجودها في الواقع عبر وظائفها المنوطة لها من جهاز أكبر هو ذاته جهاز الدولة، ومن أمثلها في النص، شخصيات الجنرال "دولامورسيير"، "بيجو"، الدوق "دومال"، في حين نجد بعض الشخصيات مثل : "مونسينيور ديبوش"، "جون موبي"، "بيجو"، الكوماندو "بواسوني"، الذين كانت لهم رؤية خاصة تجاه الأمير تختلف إلى حد كبير

[1]-رواية كتاب الأمير، نفسها، ص ص 346-347.

[2]- بيل اشكروفت وآخرون : دراسات ما بعد الكولونيالية - المفاهيم الرئيسية، تر:أحمد الروبي وآخرون، تق:كرمه سلامه، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2010، ص ص 206-207.

مع رؤية المحرك الاستعماري، وهي في تقديرنا رؤية تحاول إزالة السوداوية في العلاقة بين الأنا والآخر عبر رصد محطات تاريخية ذات بعد إنساني؛ تستهدف تقريبهما وتفتح نافذة لنسيان الضغائن والأحقاد، لا سيما بعد التطبيق الفرنسي لنص اتفاقية الاستسلام اثر زيارة "لويس نابليون" رئيس فرنسا الذي جاء شخصيا لزيارة الأمير ليعلن إخلاء سبيله إلى منفاه الاختياري؛ يقول:

Je suis venu vos annoncer votre liberté vous serez conduit a « Brousse dans les états du Sultan…. »[1]

كما اصطحب معه مرافقه الكومندان "بواسوني" لتلاوة رسالته للأمير .يقول فيها :

«جئت لأخبرك بحريتك .ستقاد إلى بروسة في دولة السلطان وعندما ننتهي من الترتيبات الضرورية ستتلقى من الحكومة الفرنسية معاملة كريمة تليق بمقامك العالي.منذ مدة ووضعكم يؤرقني لأنه يذكرني بالتزامات تم اتخاذها ولم تنفذ.ولا شيء أذل من حكومة دولة لا تفي بوعدها ...لقد كنت خصما عنيدا لفرنسا ولكن هذا لا يمنعني من الاعتراف بشجاعتك وقوتك وتواضعك في مأساتك، ولهذا فانا سألتزم بشرف إنهاء حبسك وثقتي كاملة في كلمتك » [2] .

[1]-رواية كتاب الأمير، ص564.

[2]- الرواية نفسها، ص 567

يبين الحوار السابق لحظة انفراج في العلاقة المتشابكة التي جمعت الأناوالآخر وهي في النص/ التاريخ؛ لحظة انتصار الذات الاستعمارية التي تعنى برفع شأنها إزاء من يقابلها.وتبدو من خلال اللغة الظاهرة التي تؤكد أن فرنسا دولة قوية تفي بوعودها وحريصة على تطبيق اتفاقياتها، مهما كانت الظروف والملابسات، كما شكلت رؤية "الأمير عبد القادر" التي انبثقت عن تجاربه طيلة مرحلة مقاومته لفرنسا، صورة محسنة لهذا الاستعمار، وقد عبر عنها الروائي بصيغ مباشرة وأخرى غير مباشرة؛ تمظهرت في خطابات الشخصيات الفاعلة في مسرح الأحداث كشخصيتي "الأمير" التي تنوب عن الأنا الجزائري وشخصية "مونسينيور ديبوش" التي مثلت الآخر الفرنسي .

يقول الأمير:

« إنني أعدك يا سيدي أن لا أمس هذا البلد بسوء على كل حال فانا توقفت منذ زمن بعيد عن كل شيء ويمكنني حتى أن التزم كتابيا »[1].

وبتطبيق نص الاتفاق- اتفاق الاستسلام- يكون الأمير قد أنهى فعليا مشروع تكوين الهوية الجزائرية موفى القرن التاسع عشر والاعتراف بسلطة الاستعمار على الإقليم الذي هجره قهرا وقسرا.

6- لغة الأمير بين الحقيقة والتخييل:

إن القارئ لنص رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد – لاسيما إن كانت قراءته فاحصة- يكتشف أن كثيرا من الكلمات والعبارات التي وردت على لسان

[1]-رواية كتاب الأمير، ص 567.

"الأمير عبد القادر الجزائري" لا تتناسب وحقيقة اللغة التي كان يتلفظها في زمنه التاريخي، ولا تتناسب مع المتلقي العربي بشكل عام والمتلقي الجزائري بشكل خاص، لذا يشعر القارئ بالغرابة في تلقيه لخطابات صادرة عن "الأمير"؛ هي ذاتها نتاج تدخل الروائي في إنطاق شخصيته وفق ما يريده وحسب ما يقتضيه تصوره الإيديولوجي لذا بدت لغة "الأمير عبد القادر" غريبة، مغيبة، لا تعبر بشكل حقيقي عن مسارات الرجل واختياراته.

فعلى مستوى اللغة الدينية نجد أن الروائي يحمل شخصية "الأمير" ما لا تحتمل في سياق رسم صورة متسامحة ومنخرطة في الحوار الديني بين الأنا والآخر، وهذا يطرح تساؤلات عدة حول إنهاك الشخصية بخطابات - أقل ما يمكن القول عنها أنها- تنتقص من حضورها الحقيقي في التاريخ كشخصية تتمثل الدين الإسلامي أحسن تمثل لا سيما في جانب القيم والأخلاق؛ فالمعروف في الثقافة الإسلامية أن فعل رد الغزاة والطغاة هو **الجهاد**، وهو يعد ركنا مضافا للعقيدة السليمة لدى المسلم، وطبعا من المفروض أن تكون هذه اللفظة أساسية على لسان "الأمير" في دعوته للحرب /الجهاد ضد القوات الاستعمارية الغازية غير أن الروائي، عمد إلى تغييب مفتعل لهذه اللفظة في سبيل خلق جو صاف من التقارب بين الأنا والآخر، وهو مسعى الهدف منه هو تغييب الدلالات السلبية التي اقترنت بلفظ **الجهاد** لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ألفين وواحد الناجمة عن هجوم إرهابي استهدف مراكز قوة الولايات المتحدة الأمريكية- وعلى رأسها برجي التجارة العالميين والبنتاغون الأمريكي-وزارة الدفاع-، حين عمدت وسائل الإعلام الغربية في ربط **الجهاد** بلفظ الإرهاب، وهذا ما دفع كثير من المثقفين والكتاب إلى الدفاع

عن العقيدة باستبعادها عن أي محك يربطها بالتطرف والإرهاب، وهذه ربما النقطة الوحيدة التي تشفع للروائي محاولته تبييض صورة الأنا وإبعادها عن التطرف؛ يقول الروائي على لسان "الأمير عبد القادر ":

«ها قد عدنا إلى إسلام لا يعرف إلا الحرق والتدمير والقتل والإبادة والغنيمة، كما ألصقت هذه الصورة بنا، لقد أمضيت كل سنوات الحرب أثبت للآخرين بأننا نحارب، ولكم لنا مروءة ورجولة، لقد دفعنا أعداءنا لتقليدنا »[1]

إن المتمعن في القول السابق، يكتشف سلبية الخطاب وقصوره عند الأمير باعتباره قد قرن صورة الإسلام بالقتل والتدمير والحرق، وهو رأي -في اعتقادنا - لا يمكن أن يصدر عن رجل دين متمرس كالأمير عبد القادر حافظ للقران الكريم ومطلع على التراث الإسلامي، فورد الخطاب مفرغا من القيم الفعلية التي يؤمن بها، ناهيك عن الاستعاضة عن لفظ الجهاد بكلمات أخرى وردت في الرواية أثناء عرض مشهدية الحروب والجهاد ــ، فوردت تحت مسميات عدة؛ تارة مقاومة وتارة أخرى حربا، ومرات أخرى قتالا ــ

يقول الروائي: «**لا حل، إما قبول المهانة والموت وإما المقاومة، قد لا ننتصر في حروبنا القادمة، ولكن على الأقل نكون قد أدينا ما أمرنا به ربنا...**»[2].

إن استعمال لفظة الحرب والمقاومة لم ترد في النص الروائي إلا إرضاء للمتلقي الآخر الغربي على وجه التحديد، إذ تعد تلك التغييرات الكامنة في إبعاد

[1]- رواية كتاب الأمير ص2004/358

[2]- رواية كتاب الأمير، ص 156.

الألفاظ الأصلية، سلخا للدلالة الحقيقية لمعنى الجهاد من السياق الديني، وإحلال دلالات أخرى تكون أقل وقعا في تأثيرها العقائدي على المتلقي المعاصر، سواء كان عربيا، أو أجنبيا؛ فكلمة **محاربة** بدل **جهاد** تجعل من العلاقة بين الأنا ممثلا في الأمير والآخر الفرنسي، علاقة ندية ولكنها تستبعد أي حضور للدين، لبيان أن العلاقة كانت عسكرية استعمارية بقدر ما كانت حربا لها ما يؤججها دينيا.

يقول الروائي: «**يجب أن يعرف الناس أن محاربة الغزاة والكفار يرضي النفس والله، يجب أن نجازي من يبذل النفس والنفيس في نصرته الحق** » .[1]

إن استبعاد تلك الصورة السوداوية للفظة الجهاد هي التي جعلت من الروائي يضمن هذه اللفظة الدلالة السلبية ويخرجها من محتواها باعتبار ما أورده على لسان "الأمير" بأن الجهاد لا معنى له إن لم يحقق النصر والاستقرار، إذ عده رديفا للموت والانتحار؛ وقد عبر عن ذلك صراحة بقوله:

«سيفهم بنو هاشم و أهل غريس وقبائل الغرابة وبنو عامر أن الحرب قاسية وأن الجهاد لا معنى له إذا لم يضمن حدا أدنى من غريزة البقاء، ليس للأفراد فقط، لكن للأرض والتراب ..لو فقط يعرفون ولكني أدرك جيدا أنهم لا يعرفون.».[2]

إن اللغة الخاصة التي غيرت رؤية الأمير لمعنى الجهاد هي رؤية مستوردة من خارج النص تتعلق بالراهن الثقافي المعاصر لا سيما في اعتماده على تفسير الظواهر وفق الجوانب المادية الموضوعية، مع استبعاد واضح للأبعاد الروحية

[1] -نفسها، ص 251.

[2] - رواية كتاب الأمير، ص224.

الإيمانية التي أزاحها الروائي عن اللسان الحقيقي للفرد الجزائري في مرحلة تاريخ مجتمع الرواية، إن إبعاد أي لفظ في التركيب عن دلالته الأصلية يدفع بالنص على مستوى العلاقات التوزيعية استدعاء كلمات أخرى تتوافق معها وتنتظم وفقها الدلالة، لذا عندما غير الروائي لفظ جهاد، تغيرت كلمات عدة بالضرورة ومن ذلك الشهادة، وهي أرقى الأفعال والأعمال التي يبتغيها الإنسان المسلم لا سيما في سبيل الدفاع عن الوطن وإعلاء كلمة الله، يقول : « **إنهم لا يعرفون أننا نحارب كذلك بالحيلة واللف والدوران أو غريزة حب البقاء وإلا لأبدنا وصرنا تحت سلطان الأعداء».**[1]

يستبعد الروائي لفظة الشهادة، ربما بفعل العمق الديني المحيل إلى الإسلام، ومن ثمة يتجنب إيراد هذه اللفظة في كل المشاهد التي من المفروض أن تشملها بحكم روح العصر الذي عاش فيها الأمير وجنده، وقد وردت في الرواية رديفا للموت والانتحار والنهاية المحتومة؛ يقول:

«رأى بألم كبير الثلاثمائة فارس الذين ارتموا بقوة في أتون النار، وهم يعرفون أنهم سيموتون... »[2].

إن اعتمادنا على نقد لغة الرواية وفق هذا المنظور نابع من فهمنا لطبيعة الصوت المتكلم في الرواية كما قال باختين، والمتمعن في المقتبس السابق يلحظ أن الكلام صادر عن الراوي العليم؛ الذي يعرف جيدا خبايا شخصياته، لذا نجد حضور ضمير الغائب-هو- الذي يدل على أن الخطاب المسرود هو للروائي نفسه عبر

[1]- الرواية نفسها، الصفحة نفسها.

[2]- رواية كتاب الأمير، ص 391.

إيراده الفعل "**رأى**"، ثم توصيفه **للشهادة** على أنها **موت**، في لفظة" **سيموتون**" وهي مفارقة للتعبير الأصلي الذي كان يستخدمه "الأمير" وكل المسلمين في ذلك الزمن، أيام المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي.

والملاحظ أن الروائي عمل جاهدا على استبعاد الجانب الديني للحرب حتى لا يثير حساسية القراء ولا يستثير مشاعر العداء بين المسلمين والمسيحيين، محيلا إلى أن الصراع ماهو في جوهره إلا سياسيا استعماريا عسكريا، وهو صراع لا ينتج عنه إلا الموت بالمنظور المادي- المحسوس-، وقد تجنب الروائي استحضار العمق الروحي للموت -في مثل تلك المواقف- وهو الشهادة أعلى الأوسمة التي يتمناها أي إنسان في سبيل الدفاع عن عرضه أو وطنه أو دينه.

بهذا المنظور؛ أضحى القارئ متقبلا للموت بدل الشهادة والقتيل بدل الشهيد وهذا ما تواصل عرضه في عالم الرواية، ويمكن التدليل عليه، من خلال المقتبس الآتي:

«كانت أوراق الخريف تنزل ثقيلة على الأجساد وتكسوها مضمخة بمياه المطر حتى لتكاد تغطيها إلى نهايتها كانت الجثث منتشرة على مرأى العين الدائرة كلها أبيدت.كان العد مقلقا وجارحا للأمير ولقادته أربعمئة قتيل، ثلاثمئة سجين وستمئة بندقية وسيف حرب سلبها الفرنسيون ومئة وخمسون حصانا قطعت أوصالها ... »[1]

[1]- رواية كتاب الأمير، ص 367.

لم يتوقف الروائي الراوي العليم عند عرض خطابات مسرودة من الآخرين عن "الأمير عبد القادر" فقط، بل قد تجاوزه إلى إنطاق "الأمير" في حد ذاته؛ نازعا من لسانه لفظ الشهادة ومنطقا إياه بلفظ الموت وهذا ما نجده في عرضه لخطاب الأمير وهو يحاور القايد "قدور بن علال"؛ قائلا :

«-ابن علال: الشهادة يا أمير المؤمنين ليست هزيمة ولكنها حياة وعبرة لمن يأتي بعدنا.

-الأمير:الشهادة يا ابني تأتي ولا نطلبها هي استحقاق يمنحه الله لمن يشاء.لم يكن ذلك من حظنا هذه المرة.مرات عديدة وصلنا الى عنق الموت ثم خرجنا بقدرة قادر .وفي هذه الحالة يجب أن لا نحاسب الله لأنه وهب لنا حياة جديدة»[1].

ما يثير الانتباه أيضا في نص الرواية، تلك اللغة الجديدة المستحدثة التي حملها الروائي لشخصيته مما أسهم في تحجيمها والإضرار بها –على الأقل من وجهة نظري- عندما دفعها إلى تحيين كلمات لم تكن أصلا من رصيد الأمير سواء في بنائها كقوله **حياة جديدة، عنق الموت،** ناهيك عن دلالتها وغرابتها كقوله:**يجب أن لا نحاسب الله،** ومثل هذه الصيغة لا يمكن أن تصدر عن لسان الأمير وهو المتشبع بالإيمان ونوره وشرعه وأحكامه، وقد تكررت هذه الصيغ بشكل لافت للانتباه مثيرا تساؤلا حول حوارية اللغة وزاوية العنف اللغوي الذي مارسه في عرض خطابات شخصية "الأمير عبد القادر"، كقوله مثلا:

[1]- الرواية نفسها، ص 478.

«**الله ملك مسلم، ...لقد أراد الله والأقدار أن نتوقف المواصلة معناها القبول بالانتحار**»[1] ....صيغ لم تكن لتقال -لا بالأمس ولا اليوم- حول صفات الله المعروفة؛ وهي بهذا الحضور تمثل استخفافا بمعارف الشخصية وعلومها التي أهلتها لتكون الترجمان الصادق لتاريخ الجزائر نهاية القرن الثامن عشر؛ إذ لا يعقل أن يعطف "الأمير" لفظة **الأقدار** بعد لفظ الجلالة –الله- ناهيك عن لفظة الانتحار.

إضافة إلى ذلك، تسجل اللغة الحديثة – المستعملة في زمن الكتابة والقراءة الراهنة - الواردة على لسان "الأمير عبد القادر" قمة التنازلات التي قدمها الروائي كخطاب يرضي الآخر من جهة ويقدم من جهة ثانية تشريحا للأسباب الكامنة وراء خيباته وانكساراته، وقد جاءت في أغلبها لهجة انتقاد لاذعة لبعض القضايا الدينية التي حملت بعض التهكم الدال على جلد الذات، يقول الأمير:

« الناس عندما يقفون في مواجهة الشرفات لا يتذكرون حماقة الحكام ولكنهم يستمتعون بأدوات سياحية، هي في العمق أناس تركوا وراءهم حياتهم وأولادهم وذويهم واندثروا لا ألوم أحدا، لدينا ما هو أسوأ في تاريخنا الإسلامي.معظم خلفائنا مروا على النصل، قتلوا من ذويهم كبار علمائنا احرقوا وابن المقفع شوي حيا، الحلاج مزق قطعة قطعة، ابن رشد كاد يحرق لولا ضربات الحظ، ابن عربي اتهمه الجهلة بالمروق وغيرهم....للأديان، مونسينيور، أوجه أخرى،

[1] - رواية كتاب الأمير، ص 517.

مظلمة جدا ولكني أقول حبذا لو يتعظ الإنسان وهو يرى هذه الجروح ويحس وقعها ».[1]

إن خطابا كالسابق ينتقد الأديان - بهذا الشكل - لا يمكن أن يصدر عن عارف بالدين كـــــ"الأمير عبد القادر الجزائري"، إذ لا يمكن أن يعتقد شخص بمنزلته بأن لجوهر الإسلام- كما باقي الديانات- جانب مظلم وسيء، وهنا يبدو الأمر مقصودا بربط الديني بالتاريخي، وهذا موقف الروائي الذي يعزو كثيرا من الأحداث التاريخية العربية والإسلامية- المؤسفة إنسانيا - إلى سبب الاعتماد على الدين كشكل لرؤية العالم، كما أن استدعاء مشاهد الاغتيالات ماهو إلا ربط بين تلك الأحداث وبين الصراعات المذهبية، التي أدت إلى المحظور . فالإيمان بالدين السليم ينبني على إبعاد كل الصفات السلبية عنه، بأن يؤمن المتدين بأن لا خلاص له، ولا راحة أبدية، دون ذلك الدين المكتمل بعيدا عن سوء توظيف الدين في الحياة بشكل عام.

وفي مثل الخطاب السالف، يبدو المتكلم وكأنه لا يرتاح بشكل مطلق للدين الذي يعتقده لأنه وسم أحد جوانبه بالظلام، وهذا كفيل بنزع هالة الكمال والصفاء عنه وهو ما ينقص درجة الإيمان إن لم نقل ينفيه بشكل تام.إذ الإيمان بدين ما إنما يكون كاملا أو لا يكون.

وفي مثل هذا المستوى من العرض، تجدر الإشارة إلى مواطن أخرى من الرواية، جعلها الراوي مغايرة للسائد والمألوف عن شخصية "الأمير" المعروف

[1]- رواية كناب الأمير، ص 146.

بعلمه وإيمانه ومعرفته العميقة بالأديان؛ من ذلك دعوته للقس "مونسينيور ديبوش" بأن يزوده بكاهن معرب يشرح له تفاصيل المسيحية في صورتها- التي يعتقد الروائي أنها - الأولى النقية، فان أعجب بها تحول إليها مؤمنا بتعاليمها وشرائعها؛ يقول الروائي على لسان الأمير:

«امنحني من وقتك قليلا، لأتعرف على دينك، وإذا اقتنعت به ــ سرت نحوه»

يزداد عرض الشخصية وهي تعبر بلغة غير لغتها ومرجعية غير مرجعيتها، في مواقف كثيرة في الرواية، لعل أغربها ما أورده الروائي في نص الحوار بين "الأمير عبد القادر" وبين سيدة فرنسية كانت تسأله في قضايا الدين والزواج، وقد عبرنا بلفظة الغرابة نظرا لطبيعة الكلمات وبناء اللغة التي اتخذها الأمير أثناء شرحه للموضوع، يقول الروائي:

سيدتي الطيبة نقوم علانية بما تقومون به سريا.بين الرجل والمرأة سحر رباني خاص وجاذبية لا تقاوم.الإنسان قد يحب المرأة من أجل عينيها وأخرى من اجل شفتيها وثالثة لجسدها وأخرى لنور علمها وفكرها وانفتاح قلبها عندما نعثر على امرأة تحمل كل هذه الصفات مثلك، سنكتفي بواحدة ولن نختار غيرها ونقبل أن نموت في أحضانها.الجمال خلقه الله للرجال والنساء وديننا ودينكم لم يعملا إلا على تهذيب العلاقات دون إقصائها.[1]

[1]-رواية كتاب الأمير، ص ص 500-501.

والسؤال المثير للدهشة والاستغراب متى عرف "الأمير عبد القادر " بغير أم البنين وابنة العم التي هي مكتنزه وزاده ؟[1]

هل يمكن لمن هو في موقع أمير المؤمنين أن يأتي بخطاب كالسابق، لا ينطبق وما تؤمن به الشخصية من مبادئ؟

هنا، تبدو لغة "الأمير عبد القادر " غير نابعة من وعيه الديني والثقافي بقدر ما تجمل تلك اللغة بصمات الروائي التي حملها عبارات تتماشى والراهن الثقافي للمتلقين؛ لذا فان اللافت للنظر هو تشكيل اللغة وفق منظور خاص أراد من خلالها الراوي تبسيط الشخصية وعرضها في مستوى أقل من المعروف عنها، ونقصد بذلك الورع الديني ودقة الأسلوب أثناء حديثه التي لا تخلوا من شواهد القرآن وأحاديث النبي الكريم. الملاحظ في تحيين الألفاظ من قبل الروائي -على لسان "الأمير" - أنها ذهبت إلى تفريغ هذه الشخصية من قيم عدة أغلبها يتعلق بالدين الذي يشكل عنصرا أساسا في تكوين هويته .

لم تقتصر اللغة فقط بوصفها خطابات بل صارت في المنظور السردي تشكل مشاهد بصرية عن عالم الرواية، وارتقت إلى وصفها أعمالا لأصحابها الفاعلين تحدد سلوكهم ونمط تفكيرهم ومن ذلك ما ارتبط بفعل الحرب أو الغزوات، فالمعروف عن الإسلام أنه وضع شروطا وقوانين للحرب تتماشى وسماحة التعاليم الإسلامية، إلا أننا نجد الروائي يقدم حادثة عين ماضي كفعل – صادم في حقيقة

[1]- صالح خرفي:**الأمير عبد القادر هل تغزل في سيدة فرنسية؟**، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، السنة1، ع4، سبتمبر 1971.

الأمر- يدل على الهمجية والقسوة التي مارسها "الأمير" وجيشه في حق أتباع "الشيخ التيجاني"، وهي أعمال منافية لقوانين الحرب وترقى إلى صفة الجريمة في القواميس السياسية المعاصرة.

صور الراوي كل ذلك في مشهد البؤس الذي تعرضت له مدينة **عين ماضي** وقلاعها التاريخية جراء تدميرها وتهجير سكانها من طرف الجيش الأميري، يصف الراوي العليم ذلك المشهد قائلا:

«فجأة سمع دوي عنيف تطايرت إثره أسوار المدينة عاليا في الفضاءات الواسعة ولم يعد مقام التيجانية إلا ركاما من الحجارة والأتربة وقبل أن ترتفع ألسنة اللهب عاليا وتغطي الأدخنة الكثيفة السماء أعطى روش والأمير الأمر للفيالق الأولى فبدأت بحرق كل شيء، المساكن الفارغة والحدائق وحقول القمح، والتبن والخيام والمطامير، لم يعد بالمدينة شيء حي، حتى الكواسر التي بدأت تحوم كعادتها على بقايا المدينة سرعان ما اندثرت تحت كثافة الأدخنة والنيران التي متعتها من الاقتراب من المكان».[1]

إن إتباع سياسة الأرض المحروقة من قبل "الأمير" وجيشه في حربه ضد "**الدرقاوي**" مقدم الزاوية التيجانية، لم تكن من صميم المعتقد بقدر ما كانت من صميم الأخطاء الإستراتيجية؛ التي وقع فيها "الأمير عبد القادر" بسبب خيانة مستشاره اليهودي "ليون روش" له وإقناعه بعمليات انتقام عمقها شخصي بقدر ما تبتعد عن أي وازع أو ضابط ديني، وهي الرؤية التي عرضها الراوي قاصدا مشاركة "الأمير"

[1]- رواية كتاب الأمير، ص ص 278-279.

غير الواعية في تدمير المدينة؛ وهو سلوك يبتعد عن أي محك ديني أو إنساني .كما أنها في الآن ذاته، تشبيه للسياسة الاستعمارية التي مارست الحرق والتجويع في حق الجزائريين وهي الإشارة الضمنية للروائي بسوداوية الحرب ونتائجها السلبية على الإنسان والأرض على حد سواء.

بهذه اللغة يتصدع التشكيل الحقيقي لهوية "الأمير" فتبدو غير حقيقية منسلخة عن جوهرها كما تشكل اللغة صورة له بعيدة عن الصور المألوفة التي نقلتها كتب التاريخ عن حياة الرجل وسيرته، لذا فان وجود مثل هذه النصوص يسيء إلى التشكيل الجمالي كما يسيء للشخصية ذاتها حتى على اعتبار التخييل لا الواقع.

الفصل الثالث – مستويات اللغة ومرجعيات الهوية في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس

1- الهوية الفردية

2- المنفى كهوية

3-الهوية الفلسطينية ومدارات التشكل

4-اللغة الحوارية ومرجعيات الهوية الفلسطينية

الهوية الوطنية الفلسطينية بين التبلور والتشظي:

على سبيل التقديم:

يطالعنا الروائي "واسيني الأعرج" بنص روائي يسائل التاريخ حول مسار تحولات الهوية الوطنية الفلسطينية في ظل نشوء الدول العربية القطرية الأخرى كلبنان وسوريا والأردن؛ وذلك عبر سرد أحداث تاريخية لازمت تشكل وعي البطل "مي" التي عرضت في أكثر من محطة سردية مواطن تشكل هوية شعب فلسطين، فكانت بفعل اصدق تعبير عن حالة القلق الوجودي الذي تعانيه جراء الحرب الشعواء التي يقودها الكيان الصهيوني الذي تغلغل في جسد الوطن مخربا كالسرطان تماما كحالتها –هي- وهي ترقد بمستشفى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية .

تعرض "مي" باعتبارها السارد الرئيس والراوي العليم في الرواية، فترة تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية بدءا بالتاريخ البعيد قبل أيام العثمانيين وصولا إلى الزمن الحديث حيث كان شعب فلسطين موحدا في أرضه رغم اختلاف الديانات والمذاهب، فمدينة القدس العاصمة التاريخية لفلسطين كانت منذ القديم مدينة السلام التي حوت بداخلها جماعات مسيحية وإسلامية ويهودية تتعايش بسلام ووئام ورغم ذلك تشير الراوية إلى درجات الانقسام التي هزت وحدة هذا الشعب بفعل السياسة؛ تقول :

«أدرك جيدا ستعرفين كيف .هذه الأملاك بنيت مدرسة لأطفال فلسطين الفقراء من المسيحيين واليهود والمسلمين ونسيت أن في وسط ذلك وباء اسمه السياسة لكن فلسطين التي اعرفها وأريدها هي هذه لم يكن بالقدس في زماني على الأقل يهود ومسيحيون ومسلمون كان هناك فلسطينيون وبس »[1].

شكلت الهوية الفلسطينية الموحدة أساس تكون دولة فلسطين التاريخية بشعب متجانس مثله في التاريخ وحدتهم الاجتماعية القائمة على التعايش السلمي ووحدة

[1]- رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس، ص 285.

المصير المشترك لا سيما بعد اندحار الوجود التركي العثماني وإحلال حالة الانتداب البريطاني الذي أسس لوعد بلفور القاضي بتشكيل دولة إسرائيل على أرض فلسطين وهكذا يشكل الانتداب البريطاني ووعد بلفور الفترة التي تشكلت فيها الهوية الفلسطينية كهوية معبرة عن دولة قطرية في الشرق الأوسط، أما بالنسبة للوعد الذي فعل عشية عام 1948الف وتسعمائة وثمانية وأربعين؛ باحتلال الصهاينة أجزاء واسعة من أرض فلسطين، فهو الحدث الثاني المرسخ لهوية فلسطينية مقاومة من أجل إثبات ذاتها ضد حركة صهيونية عالمية استهدفت وجودها عبر عمليات القتل والتهجير؛ ساعدها في ذلك قوى الهيمنة والاستكبار التي ضمنت لها الإمدادات اللازمة لتكوين قوات عسكرية قادرة على مجابهة الجيوش العربية، وبتجييش اليهود في العالم عن طريق الهجرة والاستيطان في أرض فلسطين المغتصبة .

يقول الراوي : «**القوات اليهودية كانت موزعة على ثلاث محاور؛ محور الشيخ جراح وهو ما يقطع عرب القدس عن الشمال وإحكام السيطرة على البلدة القديمة، المحور الثاني يمس كل الطرق المؤمنة من طرف الانجليز والمحور الثالث في اتجاه الأحياء العربية في القدس الغربية ...المنطقة العربية لن تقاوم أكثر من أسبوع وفي اغلب الأحوال الحماية تكون بريطانية** »[1].

شكلت المقاومة العربية للاحتلال الصهيوني منذ بدء حملته شعورا قويا بضرورة ترسيخ مقومات الهوية الفلسطينية عبر مدها في فضائها القومي العربي الذي ما فتئ يرسل جيوشه لنصره إخوانهم بمنظور قومي عربي لم يستثمر الدين لإشراك قوميات أخرى –كالأتراك والفرس - تقاسمه هم مجابهة أكبر القوى العاتية في العالم آنذاك وهي بريطانيا والصهيونية العالمية التي تتحكم في دواليب سلطة أغلب الحكومات الغربية –المحرجة إلى الآن-.

[1]- رواية كريماتوريوم، ص263.

ونظرا لانكفاء الجيوش العربية وتقهقرها؛ لم يبق إلا الإنسان الفلسطيني وهو يواجه أشكال العنف الممنهج والترهيب المتواصل عبر الإبادات الجماعية، كما حدث في مجزرة **دير ياسين** مثلا، وصولا إلى تفكيك أواصر الشعب عبر اتفاقيات سياسية رهنت السلطة الفلسطينية وجعلتها حارسا أمينا للخاصرة الصهيونية، نتج عنها تشرذم واضح في تقسيم الجماعات، والأفراد إلى مواطنين بؤساء ومقاومين ولاجئين مشتتين وآخرين منبطحين.

أسست هذه الحالة لدى الفلسطيني هاجسا دائما يرتبط بحقه في الوجود في ظل مؤامرات كونية استهدفت منذ إعلانها إخضاعه بالكامل عبر تشتيته في أصقاع الأرض وتذويبه وتعويمه في مجتمعات أخرى وخلق بدائل سياسية أخرى – كالمفاوضات والتوطين- تدفعه بالضرورة إلى التنازل عن حقوقه التاريخية ومقومات هويته الوطنية مقابل الحفاظ على ما تبقى من هذا الإنسان الذي مازال – رغم ذلك- يقدم للبشرية جمعاء صورا بطولية للنضال السياسي والعسكري والفكري والفني؛ نضال يرسي باستمرار دعائم موقف ثابت من قضية الوطن عبر توجيه البوصلة إلى فعل المقاومة مهما اختلف شكلها .

لم تقتصر المقاومة الفلسطينية على جماعة الداخل- كالسلطة الوطنية الفلسطينية وحركات المقاومة كفتح وحماس والجهاد- بل حمل لواءها كثير من اللاجئين المشتتين في أرجاء المعمورة ساعدهم في ذلك شعورهم العميق بالألم والمعاناة التي يكابدونها جراء انقطاع السبل وروابط الاتصال الفعلي بالوطن الجغرافيا، بالوطن التاريخ، الوطن المجتمع؛ وهذا ما عمق فكرة الدفاع عن الهوية الوطنية لدى كثير من الفنانين والأدباء والأكاديميين الفلسطينيين خارج وطنهم.

ويعد مجال الدفاع عن مقومات الهوية الوطنية عبر الأشكال السالفة، فضاء للعمل الروائي تغي من خلاله الروائي عرض مأساة الفلسطيني اللاجئ؛ وهو يسلك مسلك المقاومة ورفض الغطرسة والظلم فعرض شخصية "مي" **كراو عليم**[1]، وبطل إشكالي يحمل ذاك الهم وهو في منفاه القسري بالولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ عرضها فنانة مقاومة بريشتها التي لا تهدأ، لرسم لوحات زيتية الغرض منها التعريف بجوهر القضية الفلسطينية عبر عرضها في محافل فنية عدة .

تسرد "مي" باعتبارها حامل المشروع الهوياتي في العمل الروائي، سيرة حياة لاجئة تطرح بشدة قضية حقها المسلوب المتمثل في العودة إلى وطنها، طارحة بذلك فكرة حق العودة إلى الأرض، ذلك أن الهوية الوطنية ستظل منقوصة أو عرجاء في ظل احتلال الكيان الصهيوني لأجزاء واسعة من الأرض، وبذاك تبقى قضية الأرض المحرك الأساس لثبات الهوية الوطنية التي لا تكتمل في معناها العميق إلا باسترجاع ما تم اغتصابه بالقوة وإعادة اللاجئين إلى ديارهم حسب متطلبات القانون الدولي الموافق لحدود 1967 وهو اتفاق مجحف بحق ألاف العرب في الداخل الإسرائيلي وبحق آلاف المهجرين قسرا عن أراضيهم وهذا ما ضمنته – للأسف- اتفاقيات عدة بين السلطة الوطنية الفلسطينية والكيان الصهيوني في **أوسلو**[2]على التوالي.

---

[1]-**الراوي العليم** : هو " الذي يملك القدرة غير المحدودة على الوقوف على الأبعاد الداخلية والخارجية للأشخاص "ينظر:- إبراهيم خليل : بنية النص الروائي , منشورات الاختلاف , الجزائر العاصمة, ط1, 2010, ص 81.

[2]- **اتفاقيات أوسلو** هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، الولايات الأمريكية المتحدة، في 13 سبتمبر، 1993، وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية التي أنتجت هذا الاتفاق .وجاء الاتفاق بعد مفاوضات انبثقت بعد مؤتمر مدريد(1991) ، واستضافها معهد فافو وانتهت في 20 أغسطس .1993 وتم توقيعها في 13

إن النص المسرود من قبل الراوي العليم فيما يخص حياة البطل الرئيس "مي"، لا يخرج عن إطار التعبير الذي يفرضه الوعي الذاتي للشخصية والذي ما يلبث يتطور بتطور مواقف الحياة ذاتها وبفكرة التغيير التي تتواكب مع مسار التاريخ المتصاعد، وهذا البناء الشكلي للبطل يستمد تكوينه السردي من فكرة البحث عن حقيقة الهوية الفلسطينية المستلبة التي تعاني الانقسام؛ بسبب ثنائية المكان بين الوطن الجغرافي الطبيعي والمنفى باعتباره الوطن البديل .وقد عبر الروائي عن ذلك في نص روايته معتبرا إن الهوية الفلسطينية هي هوية لا يمكن فهمها إلا في إطارها الطبيعي هي هوية تستمد أركانها الأساسة من التراث الديني الإسلامي والمسيحي وحتى اليهودي؛ ففلسطين هي مهد الديانات وأرض الله المقدسة؛ يقول الراوي: **«القدس خبز الله وماؤه، مدينة تكفي الجميع، قلبها واسع دينها كبير، إيمانها متعدد وأشجارها تغطي العراة، ومراياها ليست عمياء، حيطانها ليست للبيع»[1].**

إن رمزية القدس التاريخية والدينية هي الفضاء العام الذي تتشكل فيه هوية الفلسطيني الحقيقية، وقد شكل ذلك هاجس "مي" الأبدي الذي يؤرقها باستمرار فجعلت يومياتها لا تتوقف عن استرجاع صورة وطنها المغتصب رغم استقرارها الاجتماعي في نيويورك رفقة من تبقى من أسرتها المشردة في المنافي، لذا عمدت "مي" ودون تواني في إبراز انتمائها لفلسطين كلما سنحت الفرصة لذلك، وكان هدفها

سبتمبر 1993 في حفل رسمي في حديقة البيت الأبيض في واشنطن العاصمة، في حضور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ورئيس وزراء إسرائيل إسحق رابين ورئيس الولايات المتحدة بيل كلنتون.. وتنص الاتفاقية على إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية (أصبحت تعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية)، ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني، في الضفة الغربية و قطاع غزة، لفترة انتقالية لا تتجاوز الخمس سنوات. ومن المفترض، وفقا للاتفاقية، أن تشهد السنوات الانتقالية الخمس، مفاوضات بين الجانبين، بهدف التوصل لتسوية دائمة على أساس قراري مجلس الأمن242 و338.ينظر :.https://www.marefa.org

[1]- رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس، ص31.

الأوحد والوحيد؛ تحسيس بني البشر بقضيتها العادلة في مجتمع دولي فاقد ومتنكر للقيم والتذكير بحال المنفيين من أوطانهم قسرا الذين وجدوا أنفسهم مصطفين على بوابات العراء مجبرين على الرحيل باتجاه أرض لم يروها إلا في الأحلام؛ فما كانوا قادرين على نسيان وطنهم ولا نسيان ماضيهم وثقافتهم وتراثهم، وأكثر من ذلك؛ ما كانوا ليقدروا على العودة إلى وطنهم الأم، فالعودة أصلا صارت حلما يقض مضاجعهم كلما أخذتهم الذكرى وكلما أيقنوا أن اندماجهم وهما في مجتمعات ليست بمجتمعاتهم وثقافات لا تعبر عن هوياتهم إلا في حدود ضمان البقاء ولا أكثر .

لقد توصلت "مي" إلى هذه الحقيقة بعد اغترابها عن وطنها-«**أدركت مي في وقت متأخر أن عودتها إلى تربة الطفولة حلم مستحيل** »[1]وهذا ما حذا بها إلى توصية ابنها "يوبا " بذر رماد رفاتها أو ما تبقى منها في أرض فلسطين بشكل رمزي يوحي إلى الرغبة الجامحة في حق العودة وهو عينه حق الانتماء وحق العودة إلى بيئة الهوية المفقودة؛ إذ الضائع هنا ليست الأرض فقط بل فضاؤها الممتد من فلكور وعادات وتقاليد ودين ومختلف التشكيلات الاجتماعية الأخرى التي حرمت منها بفعل الاستعمار الصهيوني الغاشم .

1- الهويات الفردية والمنفى :

تروي رواية "**كريماتوريوم**[2] سوناتا لأشباح القدس" سياسة النفي والتهجير التي مارستها قوى الاحتلال الصهيوني وبشكل ممنهج إزاء الفلسطينيين؛ وقد عرضت الرواية كما أسلفنا قصة "مي" التي عاشت حياة النفي والتهجير القسري؛ لتستقر خارج وطنها الأصلي حيث عانت خيبات الغربة الروحية والنفسية .

[1]- الرواية نفسها، ص74.

[2] - crematorium (kREMATORJOM).n-m .x1x.lat. lieu ou l’on incinère les morts dans un cimetière .voir dictionnaire pratique de la langue française .Le Robert .1996.p445.

نفيت "مي" من وطنها في زمن قاس، وفي مرحلة طفولة حرمت فيها من متعة نعيم موطنها .يقول السارد:**ولدت مي في صفرة أيلول في أرض لم تملك الوقت الكافي لمعرفتها ولا حتى لحبها.**غادرت فلسطين باتجاه نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية لتبدأ حياة جديدة غير التي اعتادتها مما أدى بها إلى الاغتراب عن أصالتها، وعيشها فضاء اجتماعيا جديدا؛ هو ذاته فضاء المنفى الذي لا يمكنه تعويض فضاء الوطن الأم؛ **فالمنفى لا يستطيع الانخراط الكامل في المجتمع الجديد ولا يتمكن من قطع الصلة بالمجتمع القديم الذي ولد فيه فيتوهم صلة مضطربة وانتماء مهجنا ويختلق بلادا لاحقته أطيافها في المنفى فما أن يرتحل المرء أو يرحل من مكانه الأول حتى تساقط كثافة الحياة اليومية وتنحسر وتتلاشى وتحل محلها ذكريات شفافة تدفع به إلى نسيان الوقائع المريرة .**[1]

كانت أولى محطات الاغتراب الروحي وبداية تشكل هويتها كمنفية؛ هو حصولها على تأشيرة سفر مزورة باسم مستعار خشية على حياتها، إنها الآن "لينا ماركو " -حسب وثائق السفر والتذكرة ووالدها "يونس ماركو" -تقول :

«لم يدخل الاسم في راسي بسهولة لم يكن الاسم يشبه أبي في شيء».[2]

وعلى الرغم من ذلك؛ قبلت الاسم على مضض، لما فيه من مصلحة للحفاظ على حياتها وحياة والدها؛ تقول:

[1]-عبد الله إبراهيم :السرد والاعتراف والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 201، ص13.

[2]- رواية كريماتوريوم، ص167.

« لم افهم جيدا كيف أن تغيير اسم بسيط نكرره آلاف المرات يوميا يمكن أن يقود صاحبه والذين يحيطون به إلى التهلكة...هل كانت فرق الهاجاناه تركض حتى وراء الأسماء ؟وكيف يتسنى لها قتل الأسماء؟» [1].

إن الخوف على المصير والرغبة في التشبث بالحياة هو الذي دفع بالشخصية إلى تغيير هويتها قسرا عبر اعتماد الاسم الجديد والسلوك الجديد الذي تقتضيه رحلة المغامرة؛ للبقاء على قيد الحياة، وهنا تحدث التغييرات الجوهرية للذات من خلال اختلاف الاسم الذي يدفع إلى الاختلاف في المرجع؛ فإذا كانت "مي" فتاة عربية مسيحية من فلسطين، فان "**لينا ماركو** "ستكون فتاة أمريكية بامتياز وهذا ما يشكل الحالة الثانية للهوية الفردية وهي حالة لا تنفي الوجود الفعلي للهوية الأصلية وهذا ما يشكل عبئا إضافيا لدى الشخصية للإحساس والشعور بالخصوصية الثقافية لهويتها، لذا نجد الرواية تحفل بمقاطع دالة على حالة الانقسام والتشظي التي تعانيها "مي"؛ من ذلك تغيير اللغة والسلوك في البيئة الحاضنة الجديدة، تقول:

«كيف أتكلم الانجليزية بدل العربية وكيف انظر في وجوه الجمارك ومراقبي المرضى بشكل طيب وبثقة ..كيف أسير في معابر أليس ايلند عندما اصل إلى نيويورك» [2].

«أنا لست أنا آنا بنت أخرى اقل ذكاء وجسارة أنا لينا ماركو وهذا بابا يونس ماركو ...بابا يونس وليس حسن.أنا لينا ماركو وهذا بابا يونس ماركو ....أنا.....كدت اصرخ في وجهه أنا

[1]- نفسها، الصفحة نفسها .

[2]-رواية كريماتوريوم، ص 175.

مش لينا ولكن بسرعة تذكرت وصايا خالي أبو شادي فهمت بعدها أن والدي كان فقط يذكرني بما يجب فعله».[1]

تنطلق الشخصية في بناء ذاتها عبر الانخراط الاجتماعي في وسطها الجديد بمدينة نيويورك –وهي المحطة الثانية من سرد الهوية الفردية في المنفى- حيث تحل على خالتيها كلاجئة قاصرة تستوجب الرعاية في الوقت الذي يغادرها والدها باتجاه الشمال، وهو الأمر الذي فاقم شعورها بالوحدة والعزلة والنأي عن والديها ووطنها ..ورغم ذلك تصور لنا الرواية حالة الانصهار الحتمي للشخصية في ملابسات الحياة الجديدة التي جعلت منها آخرا مغايرا للأصل، فهاهي "مي" ترتاد المعارض ودور الثقافة لعرض لوحاتها الزيتية التي طالما شبعتها بألوان القدس للدلالة على ذلك الرابط الخفي الذي يجمعها بالوطن رغم ماسي المنفى .

وفي منفاها تتعرض مي لمواقف عدة تجعلها تسائل حقيقة وجودها عبر سؤال **هل يمكن للإنسان أن يعود إلى المكان نفسه بعد أكثر من نصف قرن من الغياب؟[2]..**إن مسافة خمسين سنة من عمر الإنسان ليست هينة لاسيما في ظل منفاه الذي يحجب عنه عبير وطنه، غير إن الاعتراف الضمني والصريح للمنفي باستحالة وجود حل يسمح بالعودة للوطن هو ذاته الشعور بضرورة التسليم بالواقع والانخراط في المجتمع البديل ضمانا للحياة وما تبقى للإنسان كذات على سطح الكون .لذا تعرض الرواية المنفى كهوية حتمية للشخوص الذين نأت بهم الأقدار عن أوطانهم وساقتهم الظروف لحياة أخرى غير التي كانوا يرتضونها وهي حالة الاغتراب والقطيعة التي تشكل هاجسا مستمرا للمبعدين قسرا عن أوطانهم .

تقول الخالة دنيا متعهدة ومربية "مي" **:**

[1]-الرواية نفسها، ص 188.

[2]- الغلاف الخارجي للرواية .

« أنت صغيرة ولا تعرفين مقدار حبي لميرا افتقدتها أنا كذلك هذه هي شروط الغربة لو كانت لنا أوطان نملا بها أفواهنا ما تركتنا تربتنا وحياتنا الأخرى.بس يا الله المكان يسمح لنا بان نستفيد من هذا المنفى هذه الأرض صارت أرضنا كذلك وستصبح أرضك أيضا الزمن يرتب المستحيلات ويجعلها ممكنة... بلادي الأصلية تغيرت كثيرا ولم تعد في حاجة إلي ولا إلى عائلتي أولادي لا يعرفون عنها الشيء الكثير ويبدو انه علينا أن نقبل بهذه المصائر الصعبة والقلقة وان نحاول أن ننبت بقوة في الأرض التي نحن فيها وإلا ضاع كل شيء».[1]

يكرس المنفى شعورا بعدم الانتماء وهو الشعور نفسه الذي يدفع بالمنفي إلى التخلي عن علاقاته بالآخرين، فالمنفى ليس وطنا غريبا فقط بل هو وطن يفتقر إلى العلاقات الحميمية الاجتماعية الأصيلة كما يفتقر المنفي إلى الاستقرار الروحي بفعل انقطاع أواصر علاقاته مع أقرانه وبني جلدته، لذلك يسعى وبكل الأشكال لضمان بقائه كما يسعى جاهدا إلى تكليل تجاربه الحياتية الجديدة بالنجاح عبر تشكيل ذات جديدة تتماشى والمجتمع المستقبل له ذات مغايرة للأصل؛ وقد عبرت "مي" عن ذلك صراحة بقولها:

«أنا جربت ذلك واشعر بعنف الغياب، اطلب من الله صبحا ومساء أن يحفظك من ذلك الإحساس المدمر وان يمنحك الصبر الكافي لكي تواجه خسارات المدن الفادحة ولا تضطر إلى مواجهة ما أحس به الآن .لا احد في الدنيا في منأى عن فقدان منبته وتربته ويبدو إن

[1]-رواية كريماتوريوم، ص ص 228-229.

قدرنا الكبير هو أن تتدرب باستمرار على الفقدان، ساعات في اليوم على الأقل مثلما نفعل مع الرياضة لكي لا نموت قهرا»[1].

إن الشعور بالضياع والخيبة هو سبيل لتضرر الذات لا سيما إن مس ذاك الشعور مقومات الهوية وبخاصة الجغرافيا واللغة والعرق، إنها ذات الحالة التي تتشكل منها صورة البطل في الروائية ممثلا في شخص"مي"، والتي جعلت منها ذاتا مفارقة في النص لبقية الذوات فبين محاولاتها التشبث بالأصل ومحاولاتها مواكبة حركة مجتمعها الجديد ــتعبر مي –بصدق- هم هوية المنفي العضوي الذي يقدم لمجامعه الجديد ما يمكن أن يقدمه المواطن الأصلي وأكثر لذلك تظهر مي في عالم المنفى بالشكل الايجابي الذي جعلها فنانة تحظى بإعجاب وقبول الجميع من خلال حسن تعبيرها التي **«أعطت الكثير من الزهو للعديد من العائلات في أمريكا وخارجها كانت على الرغم من حزنها نموذجا للنجاح في هذه المدينة ..يا لحظها أن تمنحها الأقدار كل هؤلاء المحبين والعشاق الذين يبحثون عنها فقط ليحبوها آو ليشكروها على ما قدمته لهم من ألوان لا شيء يضاهيها إلا موهبتها الكبيرة».[2]**

إن سعي الذات لإثبات الوجود وصراعها المستميت في الدفاع عن أصولها وعن مبادئها العليا، هي التي دفعت بالشخصية إلى تمثل هوية الأخر الأمريكي الذي لا تعرف أحلامه حدودا ولا حريته قيودا ــفكان حضورها في الواقع /النص؛ حضورا متميزا ميزه نجاحها كمواطنة أمريكية تزاول حياتها بانتظام عبر ما تفرضه الحياة الجديدة من مشاركة فعالة في الحياة الاجتماعية تقول: **«في الصباح ادرس دراستي العادية وبعد الظهر اذهب إلى معهد الفنون الجميلة لبروكلين ومساء أتحمل جزءا**

[1]-رواية كريماتوريوم، ص 29.

[2]-رواية كريماتوريوم، ص52.

من مسؤولية تسيير المطعم الذي صار ملتقى للكثير من الفنانين، الاتصالات، والقضايا الإدارية، التي لا تجد لها مي دنيا وقتا.» [1].

كما كان لعلاقتها الحميمية المتطورة مع الايطالي الأمريكي "كونراد"؛ السمة الأبرز التي طبعت هويتها بالكونية آو الانسنة التي تلغي كل الحدود والفواصل بين الأنا والأخر وقد انبثق عن تلك العلاقة مؤسسة زواج أثمرت "يوبا" ابنها الإنسان الأمريكي المتعدد الأصول والمرجعيات .

إن هذا المسار الاجتماعي الذي اتخذته "مي" مسلكا لها، هو بيان النجاح والاندماج في الوسط الجديد؛ فقد شكل ذلك الفعل فرصة ذهبية لتجاوز صدمة المنفى وبابا لتحقيق الوجود الذاتي في مسار تقدمي يفقد القدرة على الارتداد إلى جذور الماضي وسطوة الوطن المفقود وفجيعة العودة إليه بعد أكثر من نصف قرن من الغياب.

لقد عرض الروائي مسارات حياه المنفى باعتباره هوية في ذاته وقدم "مي" في صورة المنفي وبحياته في شتى ملابساتها محيلا إلى أن الذات المنفية هي ذات الإنسان« **الذي يفسر حياته في الغربة على أنها تجربة اللاانتماء لوسطه والتي يحبها لهذا السبب نفسه المنفي يهتم بحياته الخاصة بل وبشعبه الخاص، ولكنه ادرك أن الإقامة في الخارج هناك حيث لا" تنتمي" أفضل لتشجيع هذا الاهتمام أنه غريب ليس مؤقتا بل نهائيا»**[2].

والحقيقة أن هذا البعد والانفصال ليس نهائيا ولا كاملا بل إن المنفي ومهما سعى إلى الاندماج في حياه أخرى إلا أنه لا يمكنه وبأي حال من الأحوال التنصل من ماضيه؛ فهو يشغله دائما ويستعيده رغم الألم والشعور بعمق المأساة التي يسببها

[1] -الرواية نفسها، ص267.

[2] - عبد الله إبراهيم :السرد والاعتراف والهوية، مرجع سابق، ص16.

له المنفى«**فكل تفكير في الماضي هو خيانة للحاضر لم أكن مستعدة للبقاء في الماضي دخلت في زمن كان علي أن أواجهه بكل ما أوتيت من قوة وصبر وفعلت ذلك ولو أن الثمن كان باهظا في حياتي**».[1]

إن هوية المنفي على صلة دائمة بماضيه وبوطنه الذي يأمل العودة إليه مجددا، وفي حالة "مي" يبقى مشروع العودة أكثر إيلاما من أي منفي؛ لأنه لم يحرم من بني جلدته، بل من مغتصب يغير مجرى الحياة والتاريخ وذلك ما يدفع إلى الشعور بالخيبة عبر هوية مأزومة «**وشرخ مفروض لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي بين الذات وموطنها الحقيقي فلا يمكن أبدا التغلب على ما يولده من شجن أساسي وانشقاق في الهوية**».[2]

إن المنفى يحيلنا إلى فكرة الانتماء التي تتلاشى شيئا فشيئا مخربة فكرة الهوية وتجعلها مجرد زيجات متناقضة ومتعارضة سرعان ما تستعيد قوتها من جديد، كما أنها في الآن ذاته، نظرة مستمرة تستمد قوتها من طبيعة النفس الإنسانية التي تعطي الأولوية للحياة مثلما«**كانت تفعل "مي" في أقصى درجات الحزن والخيبة كانت تنظر للأقدار القاسية نظرة محبة وتفاؤل وتضع النور بدل الظلمة الحياة أولا وأخيرا**»[3]؛ تقول "مي":**«الحياة اثمن من ذلك كله يا يوبا وعلينا أن نعيشها وفق ما نشتهي حتى ولو كان ذلك داخل المخاطر المزمنة »**[4].

إن الإيمان بحق الحياة الكريمة هو الدافع الأساس الذي يؤمن به المنفي رغم الخسارات الفادحة ورغم انكسارات الروح ونأيها عن موطنها وبواعث تشكلاتها

---

[1]-رواية كريماتوريوم، ص51.

[2]- ادوارد سعيد: تأملات حول المنفى، تر:ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، 2004، ص117.

[3]-رواية كريماتوريوم، ص70.

[4]- الرواية نفسها، ص71.

الهوياتية. وها هي" مي" أصدق مثال على الهوية المستلبة وخير نموذج للهوية الجديدة، الهوية الكونية للإنسان المنقطع في الزمان والمكان .

2-الهوية الفلسطينية ومألات التشكل :

تكتسب الأشياء قيمتها وأهميتها عندما تكون مفقودة أو مهددة بالفقد؛ لذا يلجا الإنسان إلى المحافظة عليها وفق ما تمليه حاجياته وضروراته سواء بالمحافظة عليها أو إثرائها والتنويع في ملابسات اكتسابها، وفي طليعة تلك الأشياء نجد الهوية؛ التي تتأسس على أركان عدة أبرزها :الدين والفلكلور والتراث الثقافي - بشكل عام- ناهيك عن مقتضيات أخرى فرعية :كالجنس/العرق والبيئة .

وقد ناقشت رواية "**كريماتوريوم**" هذه المسألة –الهوية- انطلاقا من تشريح الأنا الفلسطيني المغترب والمنفي في أصقاع الأرض؛ ذلك الفلسطيني الذي يعاني التشتت والترهل ويعتريه الضعف بسبب خيبات وانكسارات حياته في بيئة غير بيئته، ووسط اجتماعي غير وسطه، لذا تعمل الرواية على كشف وبيان مواطن قوة هذا الفرد التي لا يفتأ يوظفها لإبراز ذاته وعلى رأسها تفعيله لحضور الدين في الحياة كمكون رئيس من مكونات الهوية.

تقدم الرواية شخصية "مي" كانسان كوني يجمع في ذاته حب كل الأديان بعيدا عن الأحقاد والضغائن الناجمة عن أحداث التاريخ –كالحروب الصليبية أو احتلال الصهاينة للأرض المقدسة -، وبالرغم من عرض الرواية لمعتقد "مي" المسيحي إلا أنها كانت دائما تستدعي الدين الإسلامي للاستدلال أو التمثيل في صورة أقل ما يمكن القول عنها أنها: تأكيد للوحدة بين الديانات في الأرض المقدسة وبأن المأساة الفلسطينية لا تستثني أحدا سواء كان مسيحيا أو مسلما أو غير ذلك.

وقد وردت في الرواية أمثلة عدة تؤكد لجوء "مي" إلى الدين للاستئناس به في لحظات ضعفها أو انكسارها، أو لتأكيد ذاتها، ومن ذلك مواقفها من قضية الحياة والموت؛ إذ عدتها ثنائية ملازمة تحد حضور الإنسان في المكان والزمان فهاهي جدتها "ميرا بنت الحاج سليمان المغربي" ترقد في سلام وقد خط على شاهد قبرها :«**إنا لله وإنا إليه راجعون هنا تنام المخلصة لربها وأهلها ميرا بنت الحاج سليمان المغربي**» [1].

الشعور بالفقد وتذكر الموت هو في ذاته مدعاة للتدبر في الواقع، في حركة الذات في مسيرتها التاريخية فمشاهد استحضاره في الرواية هي مشاهد سلبية تنبئ عن مأساة الإنسان الفلسطيني، الذي ينطفئ بصمت وسط مجتمع دولي عابث بالإنسان والتاريخ، مجتمع أعاد بث الضغائن والكراهية بين أبناء الديانات فاستحالت مدينة القدس إلى ثكنة عسكرية مغلقة يديرها أمناء الهيكل المزعوم من عصابات **الشتيرن والهاجاناه**[2] الصهيونية.والتي أغلب ضحاياها من العرب المسلمين أصحاب الأرض المقدسة، ومن شدة الجرائم تحولت أزقة القدس إلى فضاءات للعزاء لا يسمع فيها إلا النحيب والبكاء وصوت القران، فتحول صوت القرآن إلى رديف لحضور

[1]-رواية كريماتوريوم، ص 14.

[2]- شتيرن أو ليحي لفظ عبري ;[lexi] :لوحامي حيروت إسرائيل – ليحي، "المقاتلون من أجل حرية إسرائيل – ليحي")، منظمة إرهابية صهيونية أسسها البولندي أبراهام ("يائير") . منظمة معروفة على نطاق واسع باسم عصابة شتيرن وتعد من أكثر الميليشيات الصهيونية شراسة وشهرة..

-.الهاجاناهHaganah : الهاجاناه «كلمة عبرية تعني «الدفاع»، وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، أُسِّست في القدس عام 1920 لتحل محل منظمة الحارس. مجموعات عسكرية يهودية علنية تتعاون مع سلطات الانتداب البريطاني، وسرية بطبيعة الحال/https://ar.wikipedia.org/wiki

الموت، وقد ورد هذا الإحلال في تدخل الروائي العليم العارف على ما يبدو سبب ذلك التزامن الموت/صوت القرآن، مبعدا عنها أي صلة ذات شبهة تجاه موقفها من الإسلام، لأن الروائي أصلا بنى شخصيته على فكرة المحبة والتعاطف بين الديانات السماوية؛ باعتبار أن" مي" مواطنة فلسطينية مسيحية.

يقول الروائي:«...**صوت المؤذن المليء بحنين الفقدان ..هي لا تعرف لماذا كلما سمعته وسمعت القرآن استحضرت الموت**».[1]

إن تعاطف "مي" مع أبناء وطنها المسلمين هو شكل من أشكال المصالحة الدينية التي تستدعيها المرحلة التاريخية لوحدة صف المسلمين والمسحيين إزاء الهجمة الصهيونية التي تستهدف الأنا الفلسطيني كان من يكون، وعلى المتدينين أن يرفعوا سقف دعائهم وتذرعهم لله لنصرتهم، فالله ينصر المظلومين من عباده من كافة الأديان؛ تقول مي:« **إن الله قريب منك ويمكن أن يسمعك ولا يهم المكان إن كان مسجدا أو كنيسة** »[2]

إن الإخلاص لله وللدين هو مبرر لتأكيد هوية الذات من الوجهة الروحية وهو ذاته ترجمان لمواقف "مي" في الأحداث العارضة التي استدعتها للتعبير عن حاجتها الماسة لقراءة الكتاب المقدس بحثا عن راحتها النفسية، لا سيما بعد شعورها بخيبة حلم العودة؛ فلا ملاذ إلا التشبث بالدين خاصة وأنها تساءلت :**ماذا يبقى لك عندما ينتزع منك حقك البيولوجي في التفكير والحياة** [3] .

[1]- رواية كريماتوريوم ص112.

[2]- الرواية نفسها، ص127.

[3]- نفسها، ص60.

هكذا يسير الفعل الديني كرافد هوياتي يؤكد أحقية الأرض لأصحاب الديانات الأصليين من السكان الفعليين حتى وان تشعبت سبلهم في منافيهم الجديدة، فهم لا يتوقفون على التوق للعودة إلى وطنهم المغتصب، كما أنهم لا يتركون فرصة إلا ويقدمون أقصى ما يملكون للتعريف بقضيتهم العادلة، عبر إبراز ثقافتهم؛ وهذا ما عرضته "مي" في لوحاتها الفنية المختلفة التي كانت تعرضها في قاعات عروض مختلفة بنيويورك وأبرزها :**لوحة آلام يوسف الخفية، ولوحة طعم الكوليرا الكاذب ولوحة مأتم عائلي** [1] .وهذا ما يفتح النص أكثر على تفعيل المكون الديني بالمكون الثقافي الذي يستوعب في فلكه كل أشكال التعبير الممكنة عن هوية الفلسطيني المنفي.

و إلى جانب المعتقد الصريح لمي تسهم ثقافتها الشرقية في تأكيد خصوصيتها التي تجعلها متمايزة عن بقية المنفيين في النص/الواقع، كخالتيها ووالدها مثلا..إذ نجدها كثيرا ما تستأنس بالموروث الشرقي للتعبير عن أعمالها، وخير دليل على ذلك اهتمامها بالمطعم وبصبغته الشرقية التي جعلته فضاء خاصا وشيئا نادرا في نيويورك. ناهيك عن ملفوظاتها التي عبرت دائما عن عبق الشرق كما الحال في قولها وهي تصف حركتها في المدينة القديمة:

> **«الأمكنة التي ترددت عليها والمتواجدة في فلسطين ..مي تعبر شوارع المدينة المقدسة خلف نثار الأجساد ورائحة البارود تدور في الحارات زاوية زاوية وبابا بابا؛ الحرم القدسي الشريف، قبة الصخرة، المسجد الأقصى، باب الرحمة، حارة الشرفة، وحارة اليهود في الجزء الجنوبي من المدينة وحارة المغاربة مع باب المغاربة ثم حارة الأرمن وباب النبي داود وجبل الزيتون وحارة**

[1] - نفسها، ص272.

النصارى، في الجزء الشمالي الغربي من المدينة وكنيسة القيامة والباب الجديد وحارة السعدية، وحارة باب حطة»[1].

هكذا وباستدعاء المكان تلعب التسميات التاريخية لمناطق المدينة القديمة دورا هاما في التأكيد على الأسماء الحقيقية للأمكنة التي باتت تتعرض إلى مسح لغوي ثقافي، يستهدف تهويد المدينة المقدسة عبر القضاء على التسميات العربية والاستعاضة عنها بأسماء عبرية؛ كما هو الحال بالنسبة لحائط البراق -في حارة المغاربة -الذي صار يطلق عليه "حائط المبكى" وفق مقتضيات السياسة الاستيطانية الصهيونية، لذلك يصبح المكان في التشكيل الروائي عنصرا تتجاذبه اللغة من حيث التعريف آو من خلال بيان بما يتعرض له من مسح وتحريف، وهذا ما اعتمدته "مي" في تأكيد الحق العربي الأصيل تاريخيا في المدينة .

ولطالما شكل هاجس المكان بؤرة أساسية تنظر من خلالها "مي" إلى ذاتها والى علاقتها الحميمية بينها وبين هذه الأماكن التي عاشت فيها طفولتها واكتسبت منها هويتها المسلوبة قهرا .

[1]- رواية كريماتوريوم، ص12.

3-اللغة الحوارية ومرجعيات الهوية الفلسطينية:

ينبني المشروع اللغوي في النص الروائي –كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس- على فكرة الموت باعتبارها حقيقة موضوعية تغلغلت في جسد "مي"؛ بفعل مرض السرطان؛ إذ نجدها تقول:

«**أنت تعرف أن الموت أقوى دائما ونظن أن الذين نحبهم عبارة عن تماثيل من ذهب لن تتكسر أبدا**[1]». لكنها سعت جاهدة لقهره والتغلب عليه عبر تحديها المرض وتوفير كل السبل للاستشفاء منه، وتذهب مي إلى التمرد على هذا المصير المحتوم معتبرة إياه، «-**الموت- يجعلنا نتمنى أن نتفادى الصفوف الأولى من طابور المنتظرين الذين يستعدون للسفرة الأبدية**».[2]

تقول "مي" لابنها "**يوبا** ":

«**مع ذلك أنا لست حزينة كثيرا فقد تركنا فيك أنا ووالدك بذرة ما من الجنون التي تجعلنا نستمر ونقهر الموت ولو مؤقتا من خلالك، جميل أن تحس وأنت تنطفئ أن شيئا وراءك سيستمر** ».[3]

إن الشعور بالاستمرارية من خلال الذرية والإنجاب هو سبيل تبتغي من ورائه "مي" تخليد ذاتها وهويتها الآيلة إلى الزوال بفعل الموت « **لذلك فتتبع فعل الموت من كونه يرهن مشروع الذات ويجعله حاضرا في الذاكرة والتاريخ** ».[4] كما أن شعورها المتواصل بحتمية الموت المؤكد جعلها في ألفة واستعداد له؛ تقول: «**حتى**

---

[1]-رواية كريماتوريوم ص33.

[2]- رواية كريماتوريوم، ص 40

[3]-الرواية نفسها، الصفحة نفسها.

[4]- بوعزة محمد :هرمنيوطيقا المحكي، النسق والكاوس في الرواية العربية، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، .ص204.

الموت صار أليفا ولم يعد مثيرا».[1] هذا ما دفعها إلى بناء ذاتها وهويتها من خلال التأكيد على التعبير عن خصوصياتها بوساطة اللغة جامعة فيها تجربتها الحياتية باعتبار «**أن اللغة هي كل الوسائل اللفظية المكتوبة التي ينقل بها –المؤلف- الإنسان التجربة من جذورها من نفسه إلى نفس غيره وهذه العملية تبدأ في نفس الكاتب بأصغر مظاهرها أولا، فهي تبدأ على هيئة اختيار كلمة ثم ضم أخرى إليها حتى تصير جملة ثم تتكرر حتى تصير التجربة بناء كاملا متماسك الأجزاء** »[2]

إن وجود "مي" كبطل للراوية وكسارد في آن واحد، يجعل من لغة الرواية في حد ذاتها اختيارا متواصلا للألفاظ والأساليب التي تؤسس في النهاية الرواية، باعتبارها تشكيلا سرديا «**قبل كل شيء –كما الحال في بناء-والشخصيات والأحداث والزمان والحيز هي بنات اللغة** »[3].

تعيد "مي" تشكيل عالمها الداخلي عبر اللجوء إلى فعل الكتابة للحفاظ على ذكرى حياتها عبر خطها لوقائع أيامها والعبر منها وإهدائها بعد موتها لابنها "يوبا" وهو سلوك خاص تهدف من ورائه إلى تخليد ذاتها والتعبير عن مواقفها الصريحة إزاء الحياة التي عايشتها على الأرض، وهذا ما يبرز في النص «**أفق الكتابة كمحتوى مكاني لحركة الحرية**»[4]مشكلة بذلك عالمها الخاص؛ وقد عمدت إلى تحيين الخطابات الدالة على تميزها كذات فاعلة في مسرح الأحداث –عالم الرواية .وهذا

---

[1]- الرواية، ص158.

[2]-عبد الله محمد عبد الحليم :الوجه الأخر، مكتبة مصر، ص ص 108-109.

[3]-عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د.ت، د، ط، ص128.

[4]-الحرز محمد، شعرية الكتابة والجسد، دراسات حول الوعي الشعري والنقدي، الانتشار العربي - بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 71.

يعد تأكيدا منها على قيمة التأريخ للوقائع عبر فعل التدوين الذي لازمها طيلة مدة مرضها لاسيما مدة مكوثها بمستشفى نيويورك المركزي .

إن سلوك "مي" السابق يدفع القارئ إلى تعميق نظره في الموضوعات التي خطتها في كراستها النيلية والتي وجهتها وبقصدية إلى بيان موقفها الرافض للغطرسة الصهيونية ومدى أحقية الإنسان في العيش الكريم في وطنه مهما كانت الظروف والملابسات .كما ضمنت كتابتها لحظات الإنسان الحر الذي يجب آن يثبت ذاته من خلال ما يتمثله من ثقافات أو فنون، وهذا ما ذكرته حول نشاطاتها الفنية في مطعم خالتها أو كما عرضته من ألواح فنية استهدفت تعريف القارئ بالقضية الفلسطينية .

تبدأ رحلة اللغة من رحلة الكتابة ذاتها عندما تشير "مي" إلى هويتها الفعلية والملتبسة في آن واحد وهي الإشارة ذاتها لنقطة انطلاق المحكي /القصة عبر سرد لحظة ميلادها واختلاف أقرانها في تسميتها؛ تقول : «**هويتي مبهمة هكذا يبدو لي لمن يستمع إلى من يناديني لم يتفق اثنان على اسمي :جدي كان سعيدا أن أسمى بأحد أسماء جداتي مريم .لم يكن يسمع جيدا عندما قيل له سميناها مي قال مريم نعم الأسماء ....خالي غسان سماني صافو بالاتفاق مع والدي ...لكن والدي وخالي انصاعا في الأخير لرغبة أمي التي أصرت على اسم مي؟مايا؟مريم؟ مانو، ميشا، ماريوشا....معلمتي في المدرسة كانت نتاديني مانو**». [1]

إن التأكيد على الاختلاف في الاسم من قبل الساردة، هو تأكيد ضمني على حالة الارتباك التي لازمت الشخصية البطل منذ ميلادها لا سيما وأنها تعرضت إلى التهجير القسري في سن مبكرة لم تشفع لها بالرسو على اسم واحد يلائم بيئتها

[1]-رواية كريماتوريوم، ص146.

الاجتماعية والثقافية، إذ سرعان ما تجرعت مرارة تغيير الاسم إثر هجرتها إلى نيويورك تحت اسم مستعار.وفي ذلك انحراف ثقافي جعل من الذات هوية متخفية لا ترتسم ملامحها والشكل المطلوب بقدر ما تعبر عن ذات تسعى للتعايش مع الأوضاع المستجدة؛ التي فقدت الأصل مطلقا لأنه ليس عنصرا أصيلا في البيئة الجديدة التي تحيا فيها، مما يجعله «**عنصرا مختلفا تماما عن تعظيم ماض مبتدع لأسباب في الحاضر**»[1].

لقد تسنى لـــــ"مي" منذ طفولتها البحث عن ذاتها وقد جسدت ذلك عبر سرد محطات حياتها عبر فعل الكتابة وعبر تثوير اللغة باعتبارها الحافز الرئيس الذي يحافظ على نوع من« **الحياة المستقلة في مقابل الفرد العضو في مجموعة لغوية؛ فبقدر ما ينمو هذا الفرد في مجموعته تهديه إلى توجه وعلاقة معينة بالعالم كذلك**»[2].تماما مثلما فعلت "مي" إذ عبرت عن ذاتها ووجودها باعتبارها إنسانا مثقفا عضويا وجب أن يفرض ذاته في الوسط الذي يحيا فيه؛ عبر ترك بصمات خالدة تحكي الهوية والاغتراب« **وتتخذ من الطابع الوجودي للفهم أداة لإعادة تقدير اللغة والعمل الفني**» [3].

تقول مي/الساردة: «**بهذه الكراسة النيلية الطفولية سأقاوم جبروته وسأمدد في عمري بعض الشهور**».[4]

---

[1]- ادوارد سعيد :تأملات حول المنفى، تر:ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، ص381.

[2]- هانز جورج غادامير:الحقيقة والمنهج –الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، تر:حسن ناظم وعلي حاكم صالح، مر:جورج كتورة دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، ط2007، ص ص 574-575

[3]-عبد الرزاق الدواي :موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1 ديسمبر1992، ص168.

[4]-رواية كريماتوريوم، ص 141.

اعتمدت "مي" اللغة/الكتابة كشكل من أشكال التدوين لبعث حالة من الاستمرارية التاريخية لما يختزنه وعيها من صور لهويتها الوطنية المستلبة؛ إذ لا وجود لهوية خارج النسق اللغوي الذي يعطي فرصة للتواصل ونقل الأفكار والتصورات وتشكيل الأحلام وبناء المستقبل؛ يقول الراوي: «**ورق "يوبا" الكراسة النيلية من جديد بحثا في أسرارها المخفية كانت مثقلة بالحنين والحياة المؤجلة لم يبق الشيء الكثير الآن إلا البياض الذي يشكل البقية ويزحف نحو ما تبقى من الأحرف المنزلقة التي أكل أطرافها المحو والموت**» [1].

في خضم هذا التشكيل السردي بين نص الرواية وما خطته "مي" يعاد الاعتبار –ولو ضمنيا- «**للذات الشرقية من خلال تماسها وحوارها مع الآخر والمجتمع والتاريخ باعتبارها كينونة يتشابك في تكوينها الداخلي والخارجي** »[2].

وقد جسدت "مي" دور الذات الشرقية المتعددة الأصول فهي مشرقية من فلسطين ومغربية العرق وبربرية الأصل، يزاحمها في هذه السمة ابنها الوحيد "يوبا"، الذي أطلقت اسمه بناء على شرقيته العريقة ممثلة في أصوله البربرية والموريسكية ناهيك عن تكوينه الأمريكي؛ إذ جاءت شخصيته كونية بكل ما تحمل الكلمة من معنى فأما أمه فهي "مي"، والده "كونراد" الايطالي الأصل، الأمريكي الجنسية الإنسان المغامر والمتحرر؛ كثيرا ما كان يعجب بالشرق وأثاره العظيمة كمدافن البحرين التي طالما ظل يعشقها إلى وافته المنية بها، كان منفتحا جدا على الآخر الشرقي منبهرا بثقافته شغوفا بمعرفته وكشف عوالمه الفنية والأدبية والطبيعية حتى أنه نظير ذلك قام

[1]- رواية كريماتوريوم، ص 115.

[2]- المودن حسن :لا وعي نص الرواية، الضوء الهارب أنموذجا، ضمن مؤلف مشترك، الرواية المغربية أسئلة الحداثة، الرباط، ص55.

بترجمة كتاب **ألف ليلة وليلة** يقول عنه السارد: «**شغل كل عمره على حواف برلين يفلي أسرار ألف ليلة وليلة وترجمتها.** »[1]

تعد شخصية "كونراد " شخصية ثانوية في النص الروائي إلا أن حضورها كعامل محفز للسرد جعلها تكتسب قيمة بنائية هامة فهو ركن من أركان حياة البطل الرئيس "مي" باعتباره الصاحب والزوج والأب، كما أنه في مستوى العمق يشير إلى المغامرة والطموح والأمل ومجابهة المخاطر في سبيل حياة خاصة هي حياة الإنسان ولا شيء آخر .

في حين تصور"مي"عبر كتابتها صديقها "يوسف المقدسي" المحيل إلى الذات العربية الفلسطينية عبر جعله ذكرى يغلفها ضباب الحروب والخيبات والمآسي؛ لذلك لا تتوانى "مي" في عرض كل ما يمت إلى الشرق بصلة في سبيل التأكيد والدفاع عن حبها للهوية الشرقية الصافية، وقد عبرت في مناسبات خاصة عن هذا الانتماء سواء في شكله الروحي الثقافي والديني –وقد أشرنا إلى ذلك سابقا- أو في شكله المادي الموضوعي، كما هو الحال بالنسبة لديكور مطعمها الشرقي في مدينة نيويورك، «**حيث القنديل السحري والطاولة القديمة والشجيرات القزمة الداخلية التي تتسلق الأسلاك والشبابيك والورود الصفراء التي كانت تشتهيها وتشرب قهوتها العربية**»[2]، انه الفضاء الخلاب لعبق الشرق في نيويورك وهي نافذة يطل منها الأخر نحو عالم الشرق؛ تقول "مي" :

[1]- رواية كريماتوريوم، ص 273.

[2]- رواية كريماتوريوم، ص 399.

«يزوره رجال كبار وممثلون مشهورون وكتاب معروفون، ورئيس بلدية المقاطعة، ومدير الأوبرا، ورجل الإشهار الكبير غويسي الفونسو الايطالي الأصل »[1].

وقد حولت "مي" طبيعة المكان من مطعم خدماتي إلى فضاء ثقافي مفتوح، سيما وأنها حولته بمرور الأيام إلى ما يشبه متحفا شرقيا زاخرا، يصفه الراوي قائلا:**كان مكدسا بالتحف والأواني والأغراض المتنوعة والأفرشة الشرقية [2].**

إن اهتمام "مي" بكل ما هو مادي إنما هو شكل من أشكال المحافظة على الانتماء -حتى وإن كان الموجودات التي تحوزها في بيئة غير بيئتها الأصلية لا تمثل إلا وسائط بسيطة لدفع الآخرين للشعور أو التعاطف مع الأنا المنفية - ورغم ذلك، فقد انخرطت "مي" في التشكيل الحضاري المادي الغربي عبر فن الرسم الذي يلهم الآخرين، ويدفعهم إلى التفاعل مع قضاياه؛ التي يحملها في لوحاته التعاطف الذي لا تحققه اللغة العادية عبر خطاباتها المتزاحمة، السياسية، والدينية -على وجه الخصوص- لذلك طوعت "مي" ريشتها لتكون فنانة تشكيلية بامتياز فرضت وجودها على المشهد الثقافي الفني الأمريكي بنيويورك عبر نجاحها في إقامة معارض للفن التشكيلي المعاصر حيث؛ نقلت تجربتها الحياتية بحس فني إلى المتلقي الغربي مثيرة في ذاته الدعوة إلى قراءة جادة حول قضية الفلسطينيين العادلة -بوجه خاص - وقضايا الإنسان في الحياة -بشكل عام -.

وقد استمدت "مي" من تجاربها الشخصية ومن علاقتها بالأمريكيين وغيرهم من المنفيين ثقافة الآخر بما تحتوي من رموز وألوان وخطوط لتعبر بها وبواسطتها

[1]- الرواية نفسها، ص 270.

[2]- نفسها، ص 272.

عن عمق الجرح ومرارة الألم التي يعيشها المنفي جراء الاغتراب، فالرسم مثلا كلغة أخرى للإنسان هو **علامات واشية بالباطن [1].**

وقد أشار الروائي إلى العدد الكبير للرسومات واللوحات المحفوظة التي تركتها مي معلامات دالة على المقاومة والثبات، كما هو الحال بالنسبة للوحة ماما دنيا Mamm Donia التي يقدمها الراوي على أنها **محفوظة في متحف نيويورك للفنون الحديثة ضمت إلى معرض متنقل بين الكثير من المتاحف العالمية حول موضوعة الأم الأخرى ورقمها mama-may-AE456/666; كانت على الورقة في أسفل اللوحة :لم تكن مام –أمي دنيا- ولكنها كانت ذاكرتي المنسية وهويتي وحنيني إلى النبع الأول الذي اسمه حليب الأم / رقم الشراء Moma –Mam .DONY/MKON/00987-234.[2]**

عبرت "مي" عن ماضيها وراهنها بالريشة واتخذت الألوان دلالات لخطوط أفكارها التي يتقاسمها الحضور والغياب، رسوم تحكي ذاكرتها وتطرح أسئلتها؛ كيف كان الإنسان و إلى أي شكل سيؤول ؟ فقط لوحاتها هي الكفيلة والقادرة على الإجابة عن هذا السؤال فقط؛ عبر التأمل وإطلاق العنان للتفكير في الإنسان.

أكسبت هذه التشكيلات- اللون والفن والخطوط والموسيقى- النسيج اللغوي في النص شعرية «**حرفية عالية وإدراكا عميقا للأفق البانورامي الذي يحيل اللوحة إلى دراما سردية متحركة »[3].**

---

[1]- سليم أحمد فؤاد :« **الدلالة والعلامة، وأسس التنظير في الفن التشكيلي»**، الصورة، مجلة فكرية، الشارقة، ع1، ص12.

[2]-رواية كريماتوريوم ، ص 215.

[3]- عبيد محمد صابر: تأويل متاهة الحكي في تمظهرات الشكل السردي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اربد الأردن، 2011.ص 182.

إن توظيف هذه التشكيلات السردية هي التي منحت لغة الرواية التعدد وجعلتها تنبئ عن فعل المقاومة الثقافية التي اتخذتها الشخصية الرئيسة سبيلا لتحرير الذات من اغترابها وشدها إلى عناصرها الأساسية التي تشكل هويتها، عبر انخراطها في فعل الكتابة والتدوين الذي أرادت من خلاله كسر حاجز الخوف من الموت والضياع.

4-مستويات اللغة ومرجعيات الهوية :

4-1-تعدد اللغات :

اعتمد الروائي واسيني الأعرج في بناء روايته كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس، على تقنية وشكل تجريبي حداثي يبرز نوعا جديدا **يحاكي المؤلفات العادية**، من حيث الإحالات وإيرادها في الهامش؛ عبر إسنادها إلى المراجع والمصادر، بالإضافة إلى شكل آخر وهو ترجمة عدة مصطلحات في الرواية من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية.وهذا المنحى تجريبي حداثي أراد من خلاله الروائي لفت انتباه القارئ إلى تحيين المعنى الممكن في ظل وجود معان أخرى قد تلبس عليه عملية الفهم، ومن ذلك إيراده على سبيل التمثيل :

Bereavement wolves حداد الذئاب، life powe سلطان الحياة ــ NY death leaves Rustle نيويورك هسهسة الأوراق الميتة[1]، وتكررت ترجمة الصيغ القصيرة بشكل لافت في الرواية، في حين سجلنا ترجمات لبعض النصوص والفقرات، مثل :

[1]- رواية كريماتوريوم، ص62.

أليس الغياب بالنسبة للعاشق هو أثمن وأجدر وأخلد وأوفى حضورا، **absence elle pas pour qui aime l. plus certaine la plus efficace n.est – la plus vivace la plus indestructible la plus fidele des présences .Marcel Proust.** [1]

وظف الروائي هذه النصوص لبيان ثقافة المروي عنه، وهي ثقافة فنية واسعة تجمع بين الرسم والأدب، فنجد حضور الأديب الفرنسي "مارسيل بروست" قويا في الاستشهاد الخاص بموقف"مي" من ثنائية الحياة والموت، عبر البحث فيما يكفل لهذه الذات من خلود، فالرسم والتدوين وحدهما السبيل لتحقيق لذلك.

كما قام الروائي أيضا بتقديم تعريفات اللوحات الفنية وعرضها أمام للقارئ قصد إضفاء حالة من الإيهام بالواقعية الفعلية للأحداث والأماكن والأزمنة في نص الرواية؛ وأمثلة ذلك متعددة في الرواية بشكل كبير؛ نورد مثلا في السياق مثال لوحة "**وجه أمي**" التي يخبرنا عنها الراوي العليم بقوله:"**اللوحة موجودة في متحف الفنون الجميلة الجزائر، ضمن مجموعة الفن العالمي المعاصر في الرواق الرئيسي من المتحف –رمزها- 65**.156 **MBAA M.Mother.Face.MAYISK هدية من الفنان محمد اسياخم قدمها إلى المتحف في 1989 قبل وفاته إثر مرض عضال بسنة واحدة»**[2]**.**

ولوحة "معابر أليس اينلد" «التي تحمل عنوان Ellis Island Bridges موجودة بمتحف أليس آيلند في قسم: ذكريات العابرين إلى نيويورك، في الطابق الأرضي، حيث يمكن رؤيتها ضمن الكثير من اللوحات التي عبرت عن هذا الدخول المليء بالأسئلة والخوف.رقم البيع المزادي في غاليري نيوجرسي Ellis

[1] - الرواية نفسها، ص136.

[2] - رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس، ص169.

45* BRIMAKONI67 »[1]، وغيرها من اللوحات المدرجة في الرواية والمرتبطة بمتنها عضويا حيث؛ أعطت تلك اللوحات النص الصورة المتميزة المليئة بالدلالات المختلفة لقضية "مي" المركزية، وهي المقاومة الثقافية وإبراز الذات الفلسطينية في المحافل الدولية.

والى جانب ذلك أيضا يورد الروائي أشكالا أخرى للتعبير كالرسم وما ينطوي عليه من مسحات الجمال عبر الألوان وخطوط الريشة ما يمنح النص الروائي لغة ثانية شعرية لها قاموسها الخاص وهو زاد لغوي مضاف لثقافة الشخصية الرئيسة يقول الرواي:

« وضعت اللوحة العذراء على مسندها الخشبي تأملتها طويلا...ارتعشت الفرشاة قبل أن تستقر على اللطخة السوداء...تعودت أن اخترق البياض بالألوان الحارة أو الدافئة كالأحمر والأصفر، أو التشكيلات الزهرية وتنوعاتها..لست ادري ما الذي قادني هذه المرة للعمل بالأسود...تحول شيئا فشيئا إلى حركة دونكيخوتية على حصان جامح نفعل كما تفعل الغيوم شيء ما عميق.. »[2].

كما استدعى الروائي أشكالا أدبية أخرى، أهمها جنس الرسالة التي وظفها كإرساليات بين شخوص الرواية وقد أراد من خلالها إضفاء جمالية سردية تضمنت الرواية جملة رسائل تصبغ على المحكي جمالية سردية على مستوى التأليف وتمتح من مرجعية موضوعية لصدق الأحداث وواقعيتها[3].

[1] - الرواية نفسها، ص183.

[2] - رواية كريماتوريوم، ص 339.

[3] - ينظر الملحق رقم:

وقد عمد الروائي إلى إيراد بعض الشروحات المرتبطة بالمحكيات الثانوية التي توالى ذكرها في المتن الروائي، ليساعد القراء على فهم طبيعة الشخصية الرئيسة "مي"[1].

وقد شكل الروائي لغة نصه من خلال اعتماده على التعدد اللغوي واللساني/الحواري بمنظور باختين/مشكلا صيغا نوعية تتأتى من خلال لغة مشتركة تتزاحم بين العامي والأجنبي والمعياري الفصيح، فهو "**يتخلل خطاب المؤلف الذي يحيط بالشخصيات ويلفها خالقا نطاقات خاصة بشخصيات محددة ومميزة**"[2]

يقول الراوي على لسان "يوبا":

«مامي..أرجوك بيكفي مزح..ولا مرة شفتك بتقولي هيك كلام؟ قوليلي بس أن ما سمعته منك مو صح»،

«نامي نامي يا مانو أسرق لك من الثلج فستانه...اللي يحبك بيبوسك واللي بيكرهك لا تحزني من شانو»[3].

ما قتلناهم يامامي. ليش بيقتلونا؟ ليش ما راحوا لبلد ثاني وليفعلوا ما يشاؤون؟ ارض الله واسعة.ليش فلسطين تحديدا؟[4]

ما يلاحظ أيضا على التشكيل المعماري للرواية، طغيان توظيف الترجمة الحرفية لعناوين اللوحات والمحلات التجارية؛ بما يوحي بحقيقتها الموضوعية، فنجد ذلك مثلا في تقديم لوحات فنية للبطلة "مي"كلوحة:« **حداد الذئاب**

[1]- وردت أهم الرسائل في الفصل الثالث المعنون سوناتا الغياب، رواية سوناتا، ص429-443 .

[2]-تزفييتان تودوروف، المبدأ الحواري، ميخائيل باختين، ص142.

[3]- رواية سوناتا، ص 245، 246.

[4]- نفسها، ص 248.

Andalous my الأندلس جنتي الملتبسة[1] Bereavement wolves ambiguous heaven، [2] قوة الحياة life power. [3]

فاللغة تبقى الأداة الوحيدة التي تمكن الأفراد من تحقيق التأمل والوجود والاستمرارية التاريخية مؤكدة بذلك استقلاليتهم.وقد شكلت الرواية بذلك، خطابات مفتحة على ثقافات أخرى من خلال تعدد مستويات اللغة التي تنم عن قدرة الروائي في استنطاق الشخصيات الروائية وإعطائها دافعية أكثر للتعبير عما بداخلها؛ حيث بنى الروائي جل أعماله الروائية **وفق ثالوث يكاد يشكل تيمة مميزة تمثل العمل الإبداعي فالشخصيات منها السلبي ومنها الايجابي وما بينهما المتعاطف،** ثم هناك نوع من الفنون يدرج كفضاء المونولوغ الداخلي والحوار.يستوعب كثيرا من أشكال البناء كالاسترجاع أو الاستباق والوصف. [4]

4-2-تعدد الرواة:

تعد تقنية تعدد الرواة في الرواية؛ شكلا مميزا لها من حيث الشكل – يقابلها الشكل المونولوغي –حيث تعمل على الوقوف على أشكال الحقيقة ومن ثمة تتيح للروائي فرصة التنقل بحرية في الزمان والمكان، وحرية اختيار الشخصيات وتمثل مواقفها وأفكارها التي ينبني عليها عالم الرواية.وقد عمدنا في قراءتنا لنص رواية كريماتوريوم لأشباح القدس على دراسة هيكلية النص من خلال تتبع الحلقات السردية المتداخلة التي تمثل مجموعة من الحكايات الفرعية المكونة للرواية.

---

[1] -رواية كريماتوريوم، ص87 .

[2] - الرواية نفسها، ص340.

[3] -الرواية نفسها، ص395.

[4] - محمد تحريشي :"**المستويات اللغوية في الخطاب السردي عند واسيني الأعرج**"، مجلة عمان عدد163، كانون الثاني2009، ص39.

حيث استهلها واسيني بشخصية "يوبا" الذي أعطاه مهمة السارد الأول **وهو راوي محدود العلم تكون معرفته بالأحداث على قدر معرفة الشخصيات فهو لا يقدّم معلومات أو تفسيرات إلا بعد أن تكون الشخصيات قد توصّلت إليها، و هو إما أن يكون شاهدا على الأحداث أو شخصيّة مساهمة فيه.**[1]

وقد بدأ "يوبا" بعرض أهم المحطات التي كانت سببا في زيارته للقدس بدء من رؤية جده في الحلم على شاطئ البحر الميت؛ حيث أراد أن يتعرف على هذه المدينة الخالدة التي أخذت بعقل جده "سيدي بومدين لمغيث الأندلسي"، ثم في المرة الثانية عندما رأى القدس في آلام"مي " وهي تعبر«**الحرم القدسي الشريف، قبة الصخرة، المسجد الأقصى، باب الرحمة، حارة الشرقة وحارة اليهود في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة وحارة المغاربة مع باب المغاربة ثم حارة الأرمن..»**[2].والمرة الأخيرة حينما عمل بوصية أمه التي تقضي بذر رماد جثتها - المحفوظ في ثلاثة جرار رخامية بناء على وصيتها- في أرض القدس.وفي استعراضه لخطوته الأخيرة، يستعرض "يوبا" بعض ما خطته والدته من وصايا ليقرأها في الأماكن المتفق عليها.

أما الراوي الثاني فهو الراوي العليم "الكاتب" الذي سرد حكاية "يوبا" و "مـــي" وهو الراوي العليم المشارك العارف بخبايا الشخصيتين، وما ستؤول إليه أحـــداث الرواية، والراوي العليم المشارك؛ شخصيته رئيسة تحكي من منظورها الخاص ما يمكن أن تكون قد ألمّت به من خلال معاصرتها و مشاركتها ولو لجزء محدود مـــن

[1]- أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية,منشورات مركز أوغاريت الثقافي, رام الله, فلسطين, ط1, 2007, ص 20

[2]- واسيني الأعرج: رواية سوناتا لأشباح القدس، مرجع سابق، ص 12.

الأحداث وهو الذي يفعّل و ينفعل في مجريات الأحداث كشخص من الشخصيات[1], وفي هذه الحالة يكون مجسّدا في شخصيات مختلفة والراوي المشـــارك « **لا يهـــتمّ بكونه يسرد حكاية عاديّة ليكون هو فيها البطل بقدر ما يهتمّ بسرد حكاية مشوّقة حتى و إن كان دوره فيها ثانوي»**[2] .

يقول الراوي:

«أغمض عينيه..اعتدل في مقعده..أغمض عينيه قليلا لكي لا يرى شخصـــا آخـــر غير أمه ولا يسمع شيئا سوى ذاك الأنين –المحمل- بالصرخات المكتومة..عـــدل يوبآ السماعة مرة أخرى لكي لا يخسر الاستثناءات الإيقاعية الساحرة التي كانـــت تتناهى إلى مسمعه»[3].

وقد أعطى الراوي دور الراوي الثالث للشخصية البطلة "مي" التي بدأت عرض قصتها على ابنها "**يوبا**" منذ تاريخ مغادرتها مدينة القدس إلى غاية إصابتها بمرض السرطان، وهذا ما توالى ذكره بالتفصيل في كراستها النيلية ومذكراتها الشخصية التي ضمنتها ابرز مواضيع المحكيات الفرعية المشكلة للحكاية العامة، وقد أسس تعدد الرواة في الرواية عدة وظائف، منها ما يتعلق بإبراز **الوظيفة الرّوائية كما يسميها جينيت وهي وظيفة متّصلة بالقصّة** – البطل مثلا-، **ووظيفة متّصلة بالنص الرّوائي تسمّى وظيفة التوجيه – الفن والرسم- ووظيفة متّصلة بالقصّة و تسمى وظيفة التواصل – كالعلاقات الاجتماعية داخل القصة -وظيفة تتّصل بما**

---

[1]- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي" الزمن-السرد-التبئير" , المركز الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1989, ص 209.

[2]- نبيل حمدي الشاهد: العجائبي في السرد العربي القديم, الوراق للنشر والتوزيع, ط1, 2012, ص 45.

[3]- رواية كريماتوريوم، ص 22، 23.

يمارسه الرّاوي على نفسه من توجيه وظيفة أيديولوجيّة- السعي لإثبات الهوية>>[1] .

وكقراءة اسقاطية حول الرواية يمكن اعتبار تعدد الرواة وفق المعطيات السابقة هو تأكيد لمسارات الهوية وتغيراتها في عالم الرواية؛ عبر ربط الساردين بهوياتهم هذا المسار يمنح هوية إنسانية جامعة وتمثلها شخصية "يوبا" ووالده "كونراد" فجنسيتهما أمريكية وأصولهما ايطالية وعربية، يكفي هذا التعدد في مسح سمات الهوية الأم واستبدالها بهويات جديدة، أما الراوي "مي" فهو لسان حال الهويات المنفية المغتربة التي تقاوم من أجل البقاء والحفاظ على مقوماتها الهوياتية.

4-3-تعدد الأصوات:

إن اللغة وسيلة اتصال فعالة، تنسج علاقات متواشجة بين النص والقارئ باعتبار الأدب خطابا والقارئ مستقبلا له، لذا فان مهمة المتلقي/القارئ هي سعيه الدؤوب لفك شيفرات الرسالة التي يستقبلها، اعتمادا على اللغة من حيث سياقاتها الدلالية والشكلية الأسلوبية، إذ يجب أن يتتبع اللغة من حيث كونها رموزا تشكل موضوعات محددة لها خصائصها المميزة، كما أن لها سياقاتها التي تسمح للمتلقين بتصنيفها وتمييزها إلى خطابات متنوعة؛ كالخطاب الديني، والخطاب السياسي والخطاب الأدبي الفني وما إليه.

إن توظيف اللغة وفق تشكيلات مخصوصة، هو ما يمنح الخطاب هويته عبر القصدية التي يلجأ إليها المرسل/الروائي لعرض أفكاره أو تسويقها في برنامجه

[1] - السيد إبراهيم: نظرية الرواية"دراسة مناهج النقد الأدبي في معالجة القصة",دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, د.ط, 1998, ص 167.

السردي، إذ غالبا ما يحمل لغته دلالات ترد في أعماله كأنساق داخلية، لها أبعاد خاصة تتعلق بموضوع قصته.

لذا أورد الروائي جملة من الخطابات التي تتيح التعرف على هوية اللغة المستعملة كاللغة العربية في شكلها الفلسطيني-أي اللهجة-، حيث عرضها الروائي بشكل حواري في المناجاة أثناء حديث "مي" إلى نفسها أيام ذكرياتها المفقودة في القدس:

تقول مي : **مامي ارجوك بيكفي مزح..ولا مرة شفتك تقولي هيك كلام؟ قوليلي بس انا ما سمعته منك مو صح** .[1]

إن إيراد الراوي لهذا الخطاب بصوت "مي" الفلسطينية ينبئ عن حالة الرفض التي تبديها إزاء الواقع المأساوي الذي يخيم على الواقع الفلسطيني .كما يمنح بعض الجمالية التي تشعر القارئ أو المتلقي بحقيقة الشخصية الروائية وإمكانية مطابقتها، عبر فعل النمذجة مع شخصيات حقيقية .ويذهب الروائي إلى تحيين هذه اللهجة أثناء لحظات حاسمة في حياة الشخصية الرئيسة للتأكيد دوما على انتمائها الحقيقي، عبر خطابات تتوزع بين الخطابات المباشرة كالسالفة الذكر أو عبر تقديم أمثال وحكم ونصوص متواترة عبر الإرث الثقافي للشعب للفلسطيني؛ كما ورد في صوت الأم/ الخالة :

«نامي نامي يامانو

اسرقلك من الثلج فستانو

الي يحبك بيبوسك

[1]- رواية كريماتوريوم، ص145.

والي بيكرهك لا تحزني من شانو»[1] .

إن مثل هذه الأشكال اللغوية لا يمكنها أن تأتي عرضا في النص السردي، بل تحضر كحافز محدد للعلاقة التي تجمع القارئ ونصه؛ وتتشكل هذه العلاقة عبر الجدل بين« **هوية الخطاب وبين لغته فالهوية هي التي تحدد في البدء نوع اللغة المستعملة-اقصد الدلالة المشحونة بالألفاظ-وهذه اللغة يستكشف من خلالها القارئ تلك الهوية المميزة للخطاب»** [2]

أي أن الروائي يركز على تذكير القارئ بأصل البطل الذي يدور حوله الحكي، ومن ثمة يمكن اعتبار هذا المستوى من الحكي حافزا سرديا حرا يخدم موضوعات الرواية بشكل تام حتى وان كانت اللغة ظاهرة بشكل تعبيري بسيط في معنى جلي واحد، إلا أن قيمتها أثناء التلقي تخلق توقعات أو انزياحات في ذهن القارئ كما عبر "ميشال فوكو":«**المعنى الجلي الذي يقبله جميع الناس قد يخفي خلفه معنى باطنيا ينكشف بحس ثاقب أو مجرد انحراف في الزمن ».**[3]

والى جانب اللهجة الفلسطينية لسان حال البطل، يقدم الروائي بعض النصوص الأخرى التي وظفها قصد بيان الخلفيات الدينية والثقافية والعرقية التي تخص الشخصية الأساسية، مما يؤدي إلى التعرف أكثر على عوالم الشخصية الداخلية، ومن ذلك النصوص التي ورثتها عن عائلتها والتي تعود إلى جدها الموريسكي الذي عايش انهيار دولة الأندلس :

---

[1] - رواية كريماتوريوم، ص225.

[2] - دليل محمد بوزيان وآخرون : اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة، تق: مخلوف سيد أحمد، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، بيروت لبنان ط1، 2010ص 84.

[3] - ميشال فوكو:حفريات المعرفة، تر:سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاءء، المغرب، د.ت، ص10.

-« مأساة جدي الأول الذي فضل حرائق المحاكم في طيلطة على الهرب بجلده وجدي من والدي الذي علق على خشبة ذات فجر في ساحة المرجة بدمشق لأنه حلم أنه يمكن أن يخرج من قفص الأتراك ليبني وليس على الورق الملون ورمل الصحراء، ولكن وطنا من تراب وماء ثم جدي من أمي الذي أُصيب بالقنطة القاتلة لأن الوطن الذي تصوروا أنه حماه بعدم بيع الأراضي وحرثها بالأظافر، سرق بعنف وأُبيد كل من احتج على الجريمة الموصوفة، من أكون إذن في سجل أجدادي العظام؟»[1].

لقد كانت صورة الأندلس الضائعة مثالا للتاريخ الذي يعيد نفسه، مثالا للوطن المفقود الذي ارتبط تاريخه بالمآسي والآلام منذ زمن بعيد وهو إسقاط من الروائي لحالة مي التي تتعرض لهزات عنيفة نفسية جراء حياة المنفى والتهجير القسري، وهكذا تبدو اللغة في اللحظات الحاسمة لغة معيارية بامتياز تستحوذ على أغلب الفضاء النصي(المكتوب) .

4-4-لغة الباروديا أو المحاكاة الساخرة la parodie:

اعتمد الروائي في بناء لغة روايته على ما يعرف بالمحاكاة الساخرة أو التهكمية وفق ما قدمها الناقد" ميخائيل باختين"، وهي تقنية تسمح للمتكلم بعرض وجهة رأيه من خلال عرض كلام الغير، عبر عرضه مع إضفاء قيمة جديدة تجعل من الصوت الذي استقر في الكلمة الغيرية يتصادم مع كلمة الأنا ويجبرها على خدمة أهداف تتعارض مع تلك التي وضعت لأجلها.[2] فأسلوب المحاكاة الساخرة وفق هذه الرؤية، نجده يتكرر في

[1]- رواية كريماتوريوم، ص 365.

[2]- ميخائيل باختين: سعرية دوستويفسكي، تر:جميل ناصيف التكريتي، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص89.

رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس، بشكل يدفع إلى ضرورة الانتباه إلى المواقف التي يتبناها الروائي في مسار اختيار ما يلائم برنامجه السردي وبناء شخوصه الروائية، ومن أمثلة مجالات توظيفه على سبيل التمثيل، كل الخطابات المكرورة عن كلام الآخرين وما ينتابها أثناء إعادة العرض من تغيير نبرتها أو التشكيك فيها أو الاستياء والسخرية منها، مثل تكرارا "مي" لأخبار أهلها وعلاقات أقرانها في الداخل الفلسطيني المحتل او في حياة المنفى، من ذلك قولها :

"شيء في هذا العالم يسير بشكل غلط، أحاول أن أفهم، لكن مخي لا يسعفني، ماذا حدث لهذه الأرض؟ ما هي الخيارات التي تركوها لنا في عالم لم يعد يريح أحداً، بما في ذلك الذين شيدوه ليشبههم في جبروته وتوحشه ؟ إما الانتساب على مجانين يصنعونهم لتلبية شهواتنا المبطنة في الانتقام، أو يرمون عند أقدامنا أحزمة ناسفة ويشجعوننا على ارتدائها وتفجير أنفسنا في أي مكان على اعتبار أن العالم كله مضاد لنا، وأينما متنا أو قُتلنا فثمة أعداؤنا ؟ !إنهم يصنعون لنا اللون الذي يجب اعتماده .والكتاب الذي يجب أن نقرأه، والسياسة التي علينا إتباعها ...بل يحددون ما يجب أكله وشربه ... لكي لا نرى ما يحدث في الجهة الأخرى من ضفافنا .لهذا يصبح الحذر مضاعفاً لتفادي100 السقوط في لعبة القتلة العدميين، أو في يد من يحرك العالم على هوى مصالحه.[1]

عمد الروائي إلى تقنية المحاكاة الساخرة عبر البطل مي" التي نقلت لنا تجربة الآخرين من خلال أفعالهم وأعمالهم وقد جعلها تعبر عن رأيها فيما يخص تلك التجربة فقدمها وهي تمقت مواقف الآخرين إزاء تنكرهم لقضيتها العادلة، وهي في رأيها –

[1]- رواية كريماتوريوم، ص 59.60.

تجربة الآخر- لما يميزها من صفات وممارسات سيئة كعقلية التسلط والهيمنة، وما يرافقها من ظلم واضطهاد وبؤس، يمس الناس فيدفعهم إلى الموت والخيبة والانكسار بفعل أفكار حالمة تسعى إلى السيطرة على الإنسان وتوظيفه كمادة خاضعة لمسارات السياسة على المستوى الوطني الضيق أو على مستوى السياسة العالمية التي تتغذى على المصلحة والامبريالية.وبذلك تدق البطلة من خلال هذا العرض ناقوس الخطر الذي يتهدد الجميع بفعل احتدام الصراع بسبب فكرة الهيمنة والسيطرة على العالم .

عبر هذه المحاكاة الساخرة تعبر "مي" عن موقفها الرافــض لهذه السلوكات اللانسانية، التي تحد من حرية الإنسان وقدرته على التعبير عن خصوصياته وهويته بعيدا عن أي إخضاع أو توجيه. كما شكلت معارضاتها الساخرة تاكيدا على حقها في بيان مواقفها تجاه القضية الفلسطينية وحقها الطبيعي في العيش بكرامة وحرية.

يدفع الروائي شخصيات روايته إلى المتكلم بسخرية عبر تنويعات أسلوبية ولغوية تجعل من الخطاب المعروض مادة تحتمل قراءتين أولاهما سطحية غير مهمة وأخرى عميقة ترتبط بالموقف الفعلي للكلام وإيراده وسط خطابات أخرى، ومن أمثلة تلك التنويعات عمليات تكرار كلمات أو جمل أو صيغ بعينها قصد عكس معانيها الظاهرة وإحلال معـــــــان أخرى لها-بدلها- دلالة بتكوين الشخصيات وهوياتها الثقافية والدينية والاجتماعية؛ ويشبه" **دومينيك مينقنو "السخرية بطريقة الاستعارة أي في الملفوظ الواحد هناك معنى ما وتعريف له.**[1]

وقد وردت خطابات متعددة تنطوي تحت باب السخرية في رواية كريماتوريوم، أراد من خلالها الروائي التأكيد على مسارات البطل واختياراته الدينية والثقافية، نورد

[1] - Dominique Maingueneau : l’énonciation linguistique, édition Hachette, Paris1991, p 121

منها-مثلا- ما عرضته مي حول طبيعتها المتحررة والمتمردة في استرجاع محطات فاصلة من حياتها كعلاقتها بزوجها كونراد؛ تقول:

« وفي أيام السبت يدعوني على أحد مطاعم المدينة الجميلة، نتعشى، نضحك، ونعود إلى البيت مليئين بالجنون، ونقسم بكل الآلهة التي لا نؤمن بأي واحد منها».[1]

إن الخطاب السابق يتضمن تهكما بقيم الدين والعرف التي تحد من حريات الأفراد الشخصية، وفيه مثالان؛ الأول وهو عدم الاكتراث بالقسم مهما كان نوعه، والثاني يرتبط بالإيمان بوجود الله، فقد عددته البطل ثم نفت إيمانها بوجوده، موحية بعبث الاعتقاد وهذا ناتج عن تأثرها بالوسط الأمريكي الجديد الذي يتأسس على الماديات ومبدأ الحرية واللذة بعيدا عن القيم الدينية والأعراف الاجتماعية؛ على الأقل ما يتلاءم وهويتها الشرقية التي ترفض إجراء العلاقات الحميمة إلا في إطار مؤسسة الزواج ورقابة المجتمع.

وعليه فإن أسلوب السخرية المعتمد من قبل الروائي على لسان "مي" جاء ليعبر عن خصوصيتها الشخصية وهويتها الفردية في رؤيتها للعالم وفي كل ما يحيط بها .

[1]- رواية كريماتوريوم، ص 311.

الفصل الرابع – مستويات اللغة ومرجعيات الهوية في رواية مملكة الفراشة

1- التهجين اللغوي وتشظي الهوية الثقافية

2-استدعاء الهويات الأعلامية للرواية الاروبية الحديثة.

3-اللغة الوافدة وتدفق القيم الثقافية.

4-الشعر ومنطق الذات المتحررة.

5-اللغة ومنظور الثقافة الدينية .

6- النصوص الحرفية الترجمة والأبعاد .

7-البنية الدالة وتشكلات الذوات .

8-الشخصيات والنموذج العاملي .

85
يونيو 2013
رواية
مملكة الفراشة
واسيني الأعرج

توطئة/في إشكالية الهوية:

يُستدعى مصطلح الهوية بشكل متواتر في حقول المعرفة الإنسانية؛ كالانتربولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب والنقد؛ وهذا ما يمنح المصطلح تعددا مفاهيميا يصعب معه تحديد مفهوم جامع إلا في ضوء تحيين المصطلح وإضافته إلى لاحقة تشكل على الأقل حدودا لمجال توظيفه واستعماله.لذا نجد من الاستعمالات الخاصة له ... الهوية الثقافية والهوية السياسية والهوية الدينية والهوية الفردية.ويعود تاريخ الاهتمام بالمصطلح إلى النصف الثاني من القرن القرن العشرين، بعد تصاعد موجات الحركات التحررية وانحسار الاستعمار العسكري التقليدي في إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية، فظهر اهتمام بالغ بموضوعة الهوية باعتبارها صورة مثالية ترسمها الأنا في لحظات التمايز العرقي والاختلاف الثقافي لتثبت ذاتها في لحظه تاريخية معينة.

وعموما؛ يحيل مصطلح الهوية في استعمالاته المتباينة إلى: «**مجموعة خصائص يفترض أنها أساسية ومستمرة عند فرد من الأفراد رغم التغيرات التي يمكن أن تطرأ عليه وعادة ما ينظر إلى تلك الخصائص على أنها هي التي تجعله يظل هو هو، متماثلا دائما مع ذاته بحيث يمكن التعرف عليه من خلالها وتمييزه من غيره**»[1].

فالهوية بذلك هي مثالية الصورة الذهنية في تمثلها لمقتضيات [2]الحال من ارتباط عاطفي باللسان /اللغة، والأرض والذاكرة التاريخية والإرث الثقافي للجماعة والدين في أسمى تجلياته الكونية.

[1]-عبد الرزاق الدواي" :في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013، ص

وتعد الهوية الثقافية أخصب مجال للدراسات الاجتماعية والانتربولوجية والنفسية نظرا لما يكتسيه مجال الثقافة من تعدد وتنوع يبلغ الصراع أحيانا كما هو الحال في راهننا الحضاري، ولا يخرج الأدب والنقد عن مقاربة موضوعة الهوية؛ وهي تتجلى وتتخفى في تضاعيف المتون الروائية؛ التي تعتبر حيوات ناطقة لفئات ومجموعات بشرية تتخالف في الرؤية والموقع في صراعها التاريخي .كما أن الأدب في ذاته جزء هام من ثقافة المجتمعات ومحور فاعل في صياغة الرؤى والتصورات التي تمنح الذات هوية ثقافية، تبني أسسها وفق مقتضيات الأصالة والمعاصرة و مبدأ الخصوصية.

ومن هذا المنظور، يشكل الوعي بالهوية الثقافية ومرجعياتها الثابتة وما يمكن أن يتغير في مكتسباتها عبر التاريخ انشغالا خالصا للباحثين والدارسين؛ لا سيما في حالة التغيرات والانتقالات الحاسمة التي تمر بها المجتمعات والشعوب في عصر العولمة .ومادام الأدب فضاء لتعبير الفرد المنتج حول رؤية خاصة بهوية شخصيات، فان فعل بناء الشخصيات وعوالمها التخييلية إنما يستمد شرعية وجوده بمدى إمكانية التعبير الخالص عن التمايزات الفكرية والإيديولوجية للهويات المتعايشة داخل الفضاء الاجتماعي لعالم الرواية.

كما أن المنتج الأدبي في حد ذاته سيكون رافدا معرفيا ثقافيا للمتلقين؛ يؤثر بدرجات متفاوتة في **وعي** [1]كل فرد خاصة، إن طرحت الرواية قضايا تتعلق بالأنا والأخر والتراث والثقافات الوافدة طوعا أو قسرا.

[1]- **الوعي**: مصطلح نمى في حقل الدراسات النفسية والفلسفة الماركسية يصفه "دلتاي" بأنه القدرة التي يملكها الفرد على إن يعيش صلة نفسية وأن يفهمها عند الغير ؛إن غرضه هو العثور على الانفعال المناسب بواسطة جماعية الانفعال والقيم التي تشكل المعرفة التاريخية .للاستزادة ؛ستيفان اودويف، على دروب زرادشت، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق، سوريا، ط1ـــد.ت، ص108

ومن هذا المنطلق، نروم من مقاربتنا الكشف عن تمثلات الهوية الثقافية في رواية مملكة الفراشة ومدى تعبير تلك التمثلات عن خصوصية ما تستهدف الهوية الفردية في لحظة تاريخية معينة.

1-التهجين اللغوي وتشظي الهوية الثقافية:

تطالعنا **رواية مملكة الفراشة** بمشهد فضاء صراعي يجسده البطل الفاعل- **"ياما"** - في رحلة بحثه عن ذاته أيام سنوات الجمر التي عاشتها الجزائر أواخر القرن العشرين، وبذلك يكون المجال الزمني لتصور الأنا حول ذاتها مرهون بالمرحلة التاريخية-تسعينيات القرن الماضي- التي عرفت بالانقسام الحاد بين فئات الشعب وما نجم عنها من حرب أهلية؛ دفعت النخبويين والسياسيين إلى ضرورة إعادة المساءلة واختبار التجربة إزاء حالات الانتقال والتغيير التي مر بها المجتمع الجزائري .وفي ظل هذا الجو؛ يقدم واسيني بطله الإشكالي**/ياما/** كحامل للهم الهوياتي من خلال سعيه لرسم حالة تصورية مغايرة لوضع الأنا إزاء ما يقابله من ذوات أخرى تعارضه الفكر والموقع.

يعرض الروائي شخصية "ياما " كعارض لمشروع هوياتي ثقافي يستدعي تغيير المألوف ورسم صور جديدة للأنا بعيدا عن الصور النمطية التي تتبناها الجماعة كرؤية مفصلية لتحقيق الذات وتثبيت الهوية، وذلك عبر استثمارها للإرث الثقافي والذاكرة المشتركة للاثنيات المتعايشة عبر التاريخ. محاولة بث قيم جديدة تتعارض مع المرجع الهوياتي للجماعة.

فعلى مستوى المرجع الثقافي، تستأنس "**ياما** "بتبني الثقافة الفرنسية كمعيار حداثي مركزي، يعبر عنه في النص الروائي ذلك الحضور الكثيف للنص الفرنسي، الذي نعده مادة **لغوية حوارية** تشكل في ذاتها حافزا ثقافيا مؤثرا في مستوى تدفق

القيم التي تحملها نصوصها.فمن **الشكل القراماتولوجي**[1] للكتابة، إلى عمق القيم التي تحملها؛ تتصدع هوية البطل الإشكالي، بين هوية تعاني الخصوصية وهوية مستعارة تنم عن تداخل مستويات الوعي عند البطل والجماعة التي يعبر عنهما في النص الروائي. فيتراوح الوعي المصور بين مستوى واع زائف وأخر قائم بالفعل يسهم في تحديد مستوى الهوية المرجوة التي ترسمها ذات البطل كصورة مثالية عن النموذج المقترح والمعروض للتمثل.

تحاور الجماعة المهيمنة على ساحة الخطاب مرجعيات الهوية القومية؛ فتتعرض إلى مساءلة الذات حول جدوى اعتماد التعريب، كإستراتيجية وطنية تتخذها البيئة الحاضنة لعالم الرواية قصد تثبيت مقومات وجودها في إطار إقليميتها الموسومة بالعروبة والإسلام .فنرى البطل الفاعل وهو يستهزئ بمسيرة التعريب عشية الاستقلال التي أدت –حسبه- إلى طمس تاريخ ثقافي مشرق حسب تصوره؛ تقول ياما في معرض حديثها عن تعريب أسماء الشوارع والمسارح ودور الثقافة:

«ركضنا نحو بار صغير اسمه بار المركيز دوساد في الحقبة الاستعمارية وظل كما هو بعد الاستقلال.وفي حملة التعريب غير اسمه ببار أبي نواس .لم تكن الفكرة خائبة أن يربط الشعر بالبيرة»[2]**.**

يعمل فعل التهجين اللغوي- أي المزج بين أكثر من لغتين معياريتين- في المقبوس، إلى تعميق الشعور بالخيبة والانكسا إزاء واقع لم يتبدل إلا من خلال تغيير

---

[1] **- القراماتولوجيا** أو علم الكتابة:هي دعوة إلى إعادة النظر في دور الكتابة لا بوصفها غطاء للكلام المنطوق إنما بوصفها كيانا ذا خصوصية وتميز أنها لا تعيد إنتاج واقع خارج نفسها كما أنها لا تختزله وبهذه الحرية الجديدة يمكن لن نراها على أنها السبب في ظهور واقع جديد.ينظر:احمد عبد الحليم عطية:جاك دريدا والتفكيك، دار الفرابي، بيروت، ط2، 2015، ص114.

[2] - رواية مملكة الفراشة، ص182.

المرجعيات التي تتبعها الدولة في سياسة التعريب؛ لاسيما أن الجديد المقترح"**بار أبي نواس** لا يختلف عن سابقه إلا من خلال المرجع الأعلامي مع إبقاء المكان بلفظه الأصلي "**بار أبي نواس** مقابل **بار المركيز دوصال**" والقاسم المشترك بقاء اللفظ **بار.**وهنا تدخل اللغة الوطنية المعيارية في حالة استلاب يعبر عنها البطل بخطابات تنم عن الرفض القاطع لهذه السياسة التي عمقت الانقسام بين الجماعات المتعايشة في عالم المحكي.

تقول ياما :

«مازلت تقول الماجستيك وليس صالة الأطلس؟...الأطلس اسم سلسة جبلية عظيمة لها تاريخ كبير.أوكي يمكن أن يكون اسم أي شيء أخر لا مانع لدي .لكن ليست قاعة سينما مثل الماجستيك لها مسار مدهش .اقسم بالله أن من سماها الأطلس لم يكن يعرف شيئا عن السينما .سرقوا كل شيء جميل صالة مدهشة ».[1]

تتمادى الشخصية في خلخلة الأصل والمقوم الفرعي للهوية الجماعية -نقصد العروبة- عبر فكرة الهدم وإعادة البناء وذلك من خلال خلق هويات جديدة للأشياء والأشخاص والأماكن، تعبر عنها الشخصية الفاعلة باستمرار وبقصدية في العمل الروائي، تقول متهكمة من سياسة التعريب:« **استغرب كيف لم يغيروا اسم الشارع باسم احد أقارب رئيس البلدية من الشهداء ؟-تقصد شارع اليزي روكلو -»**[2].

تشكل النصوص السابقة إدانة ضمنية للسلطة في مستوى اختياراتها الثقافية لاسيما جانب تغيير مسميات المعالم المادية الثقافية من شوارع ودور سينما

[1]- رواية مملكة الفراشة، ص360.

[2]- الرواية نفسها، ص 286.

ومسارح..وفي معرض الإدانة تلجأ "ياما " إلى **اللغة البارودية** والساخرة*[1] في تعبير منها عن رفض التصرفات العشوائية للمسؤولين في البلاد .تقول:

«عندما اتخذ رئيس البلدية قرار تغيير اسم الشارع الذي كان يحمل اسم الكاتب الفرنسي أناضول فرانس وتغييره باسم آخر.عندما سئل ما الاسم الذي يقترحه السيد رئيس البلدية؟فكر قليلا.ثم قال:اكتبوا في مكانه أناضول الجزائر.هههه.ربما كانت مجرد نكته ولكنها ترسم درجة البؤس الذي دفع بكل شيء إلى الانـهيار»[2].

هكذا تعبر الشخصية الفاعلة في الخطاب عن رفض المرجع القومي العربي؛ كعنصر من عناصر الهوية الوطنية. يساعدنا في تثبيت موقفنا هذا؛ تلك الرؤية الخاصة للبطل وهو يستهدف تغيير الأسماء العربية والاستعاضة عنها بمسميات غربية تزيد الأنا اغترابا وانسلاخا عن جذور هويتها القومية .

في هذا المستوى نرصد في الرواية إستراتيجية منسقة يعتمدها البطل "**ياما**" لتغيير المألوف والسائد وارتياد المغامرة عبر لعبة تغيير وتبديل وتشويه للأسماء العربية مقابل الغربية.فمن تغريب التسميات المادية إلى تغريب الأشخاص وطمس هوياتهم يخلق البطل عالما داخليا جديدا يجعله يعيش مدينته الفاضلة الذهنية التي تقوم على لعبة الأسماء؛ تقول: **«...انتهي إلى فكرة أن الاسم الحقيقي هو ذلك الذي**

[1] -**لغة الباروديا** او المحاكاة الساخرة مقولة إجرائية في الفكر الباختيني.. تزفيطان تودوروف، المبدأ الحواري، تر : فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1996، ص 137

[2] - الرواية،

خلقته له وليس الاسم الذي الصق به فاسمه الذي يجره وراءه هو فقط لنعت الكتلة لا أكثر بي نزعة طاغية لرفض المسلمات الجاهزة والشك في صحتها»[1].

ومن هذه القناعة؛ تعمل اللغة المهيمنة على الخطاب عمل تفريغ الذات من جوهرها وإعادة بنائها في صيغة مختلفة، متمردة عن كل موروث عرفي أو عقدي؛ ومثال ذلك، تغيير الأسماء وتشويهها، بدءا من اسم الزبير –وهو والدها- الذي غيرته بـــ زوربا، إلى اسم والدتها" فريجة" الذي حولته إلى "فيرجي" وأخيها "نعمان "صار "رايان"، وصديقها "نور الدين" أضحى "ديدو"، و"فادي" الحبيب الافتراضي أمسى "فاوست "، و"زليخة" تبدلت إلى "زوزو"، و"مراد" تحول إلى "ميرو"."**وحتى الاحصنة من جواد وليلى ومحفوظ اليم وزارت سانتوس فيردي[2]**

ومع تبدل الأسماء تتبدل الهويات والشخوص في حالة إسقاط لها على شخصيات ورقية روائية؛ استدعت توظيف تناص ثقافي فعال لتأكيد رغبة البطل مسح هوياته وإعادة بنائها من جديد، وفق ما هي عليه شخوصه في الواقع .

وهكذا يملي التغير في الاسم إلى تغير في الهوية يستدعي بالضرورة تمثل ثقافة جديدة تتغذى من المرجع الغربي وبخاصة الثقافة الفرنسية؛ وهذا ما عبرت عنه نصوص مطولة خطت باللغة الفرنسية تراوحت بين الإحالات إلى مناطق أو

---

[1]-رواية كريماتوريوم، ص 67.

[2]-الرواية نفسها، ص.73

[3]- **الهجنة** تعني خلق أشكال تثاقفية جديدة داخل نطاق الاحتكاك الذي يخلقه الاستعمار...يشير إلى تناسل متبادل لجنسين مختلفين بالتطعيم أو التابير المتبادل لتكوين ثالث جنس مهجن ويتخذ أشكالا كثيرة: لغوي، ثقافي، عرقي، سياسي. ينظر:

بيل اشكروفت وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر:أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص199.

استعارة نصوص شعرية، أو بيبليوغرافيا ...زاحمت **اللغة الوطنية** المعيارية في المساحة النصية وسمحت بتدفق قيم مغايرة لتلك التي تتفق حولها الجماعة.

2-اللغة الوافدة والهجنة الثقافية:

نستعير في مبحثنا الثاني صيغة **اللغة الوافدة** للدلالة على حضور اللغة الأجنبية بشكلها الفراماتولوجي وبترجمتها إلى العربية في الحواشي، لتبيان علاقة النصوص الوافدة بفكرة الهوية موضوع درسنا هذا .والمتأمل في تضاعيف العمل الروائي، يلحظ كثافة التناص الأدبي، الذي غير ملمح الرواية ودفعها إلى تخييل فعل التخييل؛ عبر إسقاط شخصيات الرواية في عوالم ونماذج عالمية مشهورة؛ كشخصية "**فادي**" التي حورت إلى "**فاوست**" بطل **ملحمة غوته الشهيرة**[1]، وشخصية **زبير**-والد ياما- التي أريد لها أن تكون كشخصية "**زوربا** [2]"بطل رواية "**نيكوس كازانتزاكي**"[3].ناهيك عن العاشق المفترض لوالدتها والتي جعلته بصورته الحقة "**بوريس فيان**" الشاعر الفرنسي المتمرد، أما الساردة –البطل- فقد اتخذت من "**مارغاريت**" شريكة "**فاوست**" في الخطيئة أنموذجا لها تتمثله في العمل الروائي عبر أعمال سردية تغير من هويتها الموروثة وتدفعها إلى خلق أشكال تثاقفية جديدة تدفع

[1]- ملحمة غوته من أشهر الملاحم الأدبية في أوروبا.ورد نصها كاملا في كتاب خليل تادرس، أحلى الأساطير العالمية، كتابنا للنشر، بيروت، ط1، 2008.ص131-140.موضوعها الصراع بين الخير والشر ومحورها الإنسان والشيطان.

[2] - بطل رواية اليوناني الشهير نيكوس كازانتزاكي- زوربا- بطل رواية اليوناني الشهير" نيكوس كازانتزاكي" زوربا- رواية زوربا، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب بيروت، ط3، 1978.

[3]- نيكوس كازانتزاكي /كاتب وأديب يوناني مشهور /ولد سنة 1883 ت 1957.من أعماله :زوربا الإخوة الأعداء، الإغواء الأخير للمسيح.ينظر الرا بط الالكتروني: www.goodreeds.com.

لغويتها إلى تصنيفها-الأشكال التثاقفية- **كهجنة ثقافية**[1] تمس الأشكال الخطابية ومضامينها.

ولعل أبرز تلك الأشكال اللغوية الوافدة، ما حفلت به الرواية من توظيف للمرجع الثقافي الغربي لاسيما في لغة التناص الأدبي وهذا ما سنحاول عرضه عبر تصنيف الهويات الإعلامية للرواية الغربية وما جادت به أدبياتها من أشعار وأقوال لجا إليها الراوي لتثبيت المرجع الثقافي المقترح في إطار سياسة هدم المألوف وضرورة تجاوزه وبناء الجديد.

3-استدعاء الهويات الأعلامية للرواية الأوروبية الحديثة:

من بين الأشكال التناصية التي حفلت بها الرواية نذكر تضايف الشخصيات الروائية، في إحالتها على تماثل المواقف والرؤى بين النصوص الوافدة في نسختها الغربية والنص الجديد في صورته العربية .وتتجلى طرائق بناء الحضور؛ في التشبيهات التي وضعتها "ياما" للمقابلة بين شخصيات هذه الروايات وشخصيات من تعايشهم وتحي بينهم .وهي بهذا العمل، تسعى إلى مسح هويات من تعايشهم وتفريغ مقوماتهم الهوياتية؛ الدينية واللغوية والثقافية وبناء هويات جديدة لهم؛ تتماشى ومنطق فكرة التغيير التي تحملها.

ويمكن أن نورد في هذا الموقف إطلاق "ياما" اسم "كازيمودو" على احد المارين بالكنيسة؛ وهذه التسمية نابعة من علاقة التشبيه والتماثل الشكلي بين الشخصيتين في

[1]- الهجنة تعني خلق أشكال تثاقفية جديدة داخل نطاق الاحتكاك الذي يخلقه الاستعمار...يشير إلى تناسل متبادل لجنسين مختلفين بالتطعيم أو التأبير المتبادل لتكوين ثالث جنس مهجن ويتخذ أشكالا كثيرة:لغوي، ثقافي، عرقي، سياسي ينظر:بيل اشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر:احمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص199.

الروايتين، فالمشبه والمشبه به- كلاهما احدب الظهر .كما أنهما يتماثلان في الطبيعة والسلوك الانعزالي؛ وهذا ما يستفاد من تقديم الراوي لشخصية المشبه به – كازيمودو- عبر إحالة مرجعية إلى الهامش.يقول الراوي:

تدور أحداث الرواية في سنة1842.في باريس."كازيمودو"quasimodo"، اليتيم المعوق، هو المكلف بأجراس نوتردام .يعيش في عزلة كبيرة في ظل سلطان سيده جوج فرولو juge frolloأصدقاؤه الوحيدون هم منحوتات الحيوانات الأسطورية والحجارة المنقوشة وشبابيك الطيور.يحلم كازيمودو بان يعيش بين كل الذين يراهم من فوق منذ زمن بعيد.ولم يقترب منهم أبدا.

إضافة إلى ما تقدم، نضيف حضور اسم "زوربا "بطل رواية الكاتب اليوناني "نيكوس كازانتزاكي" في عقد المقارنة الذي أجرته "ياما" بين شخصية "الزبير بن العوام "-رضي الله عنه- وبين شخصية "زوربا "الورقية من جهة، وبين هذين الأخيرين ووالدها من جهة ثانية.

تقول:«**جنوني قادني للبحث في حياة الزبير بن العوام الأسدي ....وجدت معلومة أخرى أنبتت الشوك في لحمي وأعطتني كل المبررات لتغيير اسم والدي....كان الزبير بن العوام يقطع الرأس في لمح البصر واااااو.لا .أريد لبابا زبير حياة أخرى أهدا وأنعم غير حياة الحروب التي يكرهها .نحن نعيش مرة واحدة قبل الذهاب إلى التيه»**[1] وكذا قولها:«**ما نحبش اسم الزبير يبدو لي مقاتلا فجا»**[2]

[1] -رواية مملكة الفراشة، ص 83.

[2] -الرواية نفسها، ص85.

-«أريد ان يكون والدي ..مثل زوربا .اسم الزبير خطا، لا يركب على والدي على الأقل.أراه دائما كأنه يعوم في سروال ليس له.اشعر بمسافة بينه وبين اسمه».[1]

وقد ورد هذا الإسقاط في إطار حوار "ياما " مع "سيرين أم الخير" حول أصل التسمية التي فضلتها لوالدها والتي تقتضي تغيير المرجع الهوياتي من العربي الإسلامي إلى الغربي المقترح.

كما نضيف للتمثيل، اسم "فرجينيا وولف" الكاتبة الفرنسية صاحبة **رواية الأمواج**، التي ورد ذكرها من خلال مطالعة "ياما " فنجدها بعد قراءة الرواية تستبدل اسم والدتها من" فريجة "إلى" فيرجي" نظرا للطبيعة الإنسانية التي تجمع بين الشخصيتين وهي طبيعة الفرد الذي يبحث عن تحقيق ذاته وسط العوائق والصعوبات.وقد تواترت الأسماء الأعلامية في الرواية لتشكل نسقا إحاليا دالا على الخلفية الفكرية والمرجعية الأدبية التي يمتح منها الراوي العليم في بناء شخصياته .ومن ذلك نورد اسم كوزيت" إحدى شخصيات رواية البؤساء لـــ"فيكتور هيغو "الذي اتخذته "ياما" بديلا لاسم أختها "ميرا" .

يعمل فعل التناص على إثراء وتوسيع مجال فكرة التغيير، فيصبح الحضور الهوياتي-المرجعية الأعلامية-سبيلا يبتغي من ورائه الراوي طرح بعض الرؤى والمفاهيم التي تخدم مسار أحداث روايته، وقد ترجمت "ياما "الشخصية الرئيسة ذاتها، كحامل لهذا الفعل الذي؛ يقدم المرجع الأدبي العالمي كمرجعية بنائية يستفاد منها في إثراء الأفكار وتنويعها إزاء القراء، رغم إقرارنا بصعوبة عقد المقارنة التي تستدعي انفتاحا اكبر على النص /الهوية الأصلية من قبل المتلقين. ومن تلك النماذج مثلا؛ رواية سأذهب لأبصق على قبوركم **j'irai cracher sur vos tombes**

[1]- الرواية، ص 57.

لـــ"بوريس فيان **Bourris.v**".ورواية الانتقام لـــ "فيرنون سوليفان **Vernon Sullivan"** والتي قدمت على لسان "فيرجي" والدة "ياما" أثناء تعقيبها على قضية موضوعة الأخلاق في المجتمع.

تتواتر في النص أسماء شخصيات وعناوين روائية كثيرة، أراد من ورائها الراوي أن يبين ثقافة المروي عنه وهي في نظرنا ما يختزنه الراوي من ثقافة وهي ثقافة الكاتب ذاته.وكمثال عن ذلك نقدم ما أورده الراوي من بيبليوغرافيا أدبية وثقافية، فنجده تارة يذكر النص وأحيانا يستعيض عن النصوص بذكر الشخصيات من ذلك إيراده؛ "غريغوري سامسا" بطل رواية المسخ **la métamorphose** لـــ"فرانتز كافكا ".ورواية الأبله " **l'idiot**"لدوستويفسكي **Dostoïevski**. أراد الراوي من خلالها تبيان الثقافة الأدبية للمروي عنه.[1]

4- اللغة الوافدة وتدفق القيم الثقافية :

عمد الروائي في بناء شخصيته -على مستوى التأهيل السردي - إلى جعلها شخصية مشبعة بالثقافة الأدبية الأوروبية الحديثة في إشارة رمزية منه إلى قيمة الموروث الثقافي الغربي في التأثير على سلوك الإنسان لاسيما وهو الفكر المهيمن على العالم في الوقت الراهن.

كان للشعر الفرنسي حضور متميز في النص وذلك من خلال التغني به في مواقف متباينة من مواقف الشخصية الرئيسية .وتعد قصيدة سيدي الرئيس "**البوريس فيان**" أطول نشيد من حيث المساحة النصية [2]، وقد وظفته الشخصية الرئيسة-

[1]- الرواية، ص266.

[2]- ينظر الملحق رقم 7.

البطل- ليكون حال لسانها الناطق إزاء موقفها من دعوة السلطات الجزائرية للمدنيين بالاشتراك لمكافحة الإرهاب أيام تسعينيات القرن الماضي.

يفيدنا النص في مقطعه الثاني، بتحديد موقف "ياما" من الحرب الصامتة؛ وهو موقف رافض للانخراط في الحل العسكري الذي تقدمه السلطة كعلاج ضد الخارجين عن القانون –الإرهاب- فنجدها ترفض الرفض القاطع؛ مع تذكيرها بتضحيات أسرتها الناجمة عن هذه الحرب القذرة، تقول:

Monsieur le président

Je ne veux pas la faire

Je ne suis pas sur terre

Pour tuer des pauvres gens

Depuis que je suis né

Jai vu mourir mon père

Jai vu partir mes frères

Et pleurer mes enfants

Ma mère a tant souffert

بوريس فيان ".:[1]

تجدر الإشارة إلى أن الموقف من هذه الفكرة قد ورد بطريقة غير مباشرة خاصة أن الروائي قد اعتمد منطق التداعي في بناء موضوعه وهذا ما جعل النص يندرج ضمن حكاية فرعية -تدرب فرقة "ديبو جاز" التي تنتمي إليها على آلات

[1]-رواية مملكة الفراشة، ص240-242.

موسيقية-تشكل إلى بعض نظيراتها الأخرى الحكاية الإطار "حكاية العشرية الحمراء" أو ما يقدمه الراوي من توصيفه لها بالحرب الصامتة .

4-1-الشعر ومنطق الذات المتحررة:

تقول "ياما "مسترجعة ذكرياتها في فرقة "ديبو جاز" أن النشيد الذي تحفظه ولا تنساه أبدا ما رددته ذات يوم حول الشباب المنكسر الذي يعيش أزمات عميقة داخل وطنه دون أن يجد لها حلولا. وبالتالي تعبر "ياما" عن الواقع من خلال جنس الشعر الذي يستطيع أن يعبر عن عوالم مختلفة بكلمات أقل مقارنة بأجناس أدبية أخرى فراحت تردد هذا النشيد كلما استدعى الموقف ذلك.وقد وردت أسطر متفرقة منه في ثنايا الرواية، وورد كاملا في نهايتها. ليجعله الراوي خاتمة لعمله.الكتابة-؛ تقول "ياما":

dans notre si beau pays nous aimons la danse

on aime le tango

Le tango n’est pas l’apanage des aises

On prend une bierre tango on vois mieux la vie

Et on danse avec les chimères sur le pont des mort

يتناص هذا المقطع مع قصيدة بيلي راتاكوير " **Billy rataquouere**"[1] في مشهد الرقص على الجسور، غبر أن الفارق الذي يمنح النص الأول قوة التأثير هو الاسم .ونقصد اسم الجسر(الموتى)، اسم المشروب(تانقو)، اسم المكان(؟العاصمة) وهذا ما يخلق فضاء التخييل كما يثري آفاق التوقع للمتلقين/القراء. ولعل هذا ما يدفع القارئ إلى تعميق نظره أثناء عقد المقارنة بين جسر مشهور في فرنسا –جسر افينون- وجسر الموتى المجهول والغامض الذي يقع بالعاصمة .وبالتالي يصبح المكان الثيمة الرمزية التي يقدمها الخطاب حتى وان تماثلت مواقف الرقص والترنح

[1]-رواية مملكة الفراشة، ص348..

بين مزهو على جسر افينون ومنكسر مترنح على جسر الموتى بالعاصمة الجزائرية أيام الحرب الصامتة.

على جسر افينون **Sur le pont d'Avignon**

نرقص ونرقص **L'on y danse**

على جسر افينون **sur le pont d'Avignon**

نرقص جميعا بشكل دائري. **L'on y danse tous en rond**

5-اللغة ومنظور الثقافة الدينية:

يساعد فعل التناص كإجراء أسلوبي في تحديد بعض الملامح الفرعية أو الرئيسة التي تميز توجهات الأفراد في حياتهم .ومن ذلك، ما يرتبط بالتناص الديني؛ الذي من خلال تصنيفه يمكننا الحكم على المعتقد أو الدين الذي تؤمن به الشخصيات الفاعلة على ساحة الخطاب.

وقد وردت نصوص دينية من القرآن ومن كتب الدين المسيحية على لسان الشخصية الرئيسة "ياما"، في مواطن مختلفة من الرواية؛ حيث وظفت كل نص وفق ما يتماشى والأفكار التي تعرضها، إذ نجدها تقرأ تراتيل الأناشيد المسيحية في كنيسة أمنا المجدلية .تقول "ياما" في بهو الكنيسة:

لالة مريم **Ave maria**

يا ملكة السماوات **Ave maria gratia plena**

إليك ارفع صلاتي **Dominus tecum**[1].

أورد الراوي النص كاملا باللغة اللاتينية، تأكيدا لما كانت تحفظه "ياما" في الطفولة داخل أسرتها وقد أشارت إلى ذلك في معرض حديثها عن أجمل التراتيل

[1]- ينظر الملحق رقم 08.

المسيحية التي ألهمتها الشعور الصافي وهما ترتيلي:"**ماريا كالاس" و"اندريا بوتشلي"على أنغام الموسيقى الكلاسيكية** [1].وفي ذلك تقديم وتأصيل فعلي للدين الذي تؤمن به الشخصية الفاعلة وهو"المسيحية" .

استرجعت "ياما" مشاهد الاغتيالات والحرب الصامتة، عبر تساوق ذلك المشهد وترتيل القرآن الكريم عبر مكبر مسجد قريب من موقع إقامتها بالعاصمة لتتوافق الصورة ومعنى الآية الكريمة في تعبيرهما عن الأزمة الروحية التي وصل إليها الإنسان الجزائري أيام الحرب الصامتة.تقول "ياما":ظل الصوت نقيا ودافئا :...(قال الله تعالى):

ثم قست قلوبكم من بعد فهي كالحجارة أو اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعلمون[2].

كما ورد النص الديني على لسان "ياما" أثناء حوارها مع صديقها "نور الدين "أو "ديدي" حول مشهد الاعتقال والاغتيال في مسرحية لعنة غرناطة .وقد وظفته "ياما" لتصحيح الخطأ الذي وقع فيه نور الدين إزاء نسب الآية إلى السيد علي كرم الله وجهه.تقول :«**ربي هو اللي قال ماشي السيد علي إلي يقول.قال الله تعالى:**

يا أيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون»[3]

إن حضور إشارات ورموز دينية متعددة في المتن الروائي يؤدي إلى خلق فضاء ديني يسمح بالتعايش بين جميع الفئات المختلفة.وقد جعل الراوي شخصيته

[1]- ينظر الرواية، ص228.

[2]- الرواية، ص، 50سورة البقرة، الآية .74

[3] - الرواية، ص383 /الآية 27 من سورة النور.

الرئيسة الدائرة المستوعبة لكل أشكال التدين، فقدمها مسيحية العقيدة، علمانية الفكر، منفتحة في حياتها على كل المعتقدات وهذا ما يتماشى والتوجه الإيديولوجي الذي تؤمن به.

6-النصوص الحرفية /فعل الترجمة والتوظيف:

تطالعنا رواية مملكة الفراشة بتقنية تجريبية حداثية، يقدمها الراوي كمنظور للإبداع الأدبي؛ إذ يترجم مقاطع من روايات أجنبية غربية مع إحالة مرجعها الأصلي في الهامش.وقد جعل الراوي من هذه النصوص خطابات مباشرة على السنة شخصياته لا سيما الشخصية البطل .وقد وظفت أغلبها لإثراء فضاء التخييل عبر الشرح أو التمثيل أو التشبيه.ومن أمثلة تلك المقتبسات الحرفية-المترجمة- ما ورد على لسان "ياما" أثناء التعليق على حالة حارس الكنيسة الملقب ب"كازيمودو"، تقول:

"كانت نظراته جافة وخالية من أي عاطفة .يشبه هيكلا عظميا.كان طويلا وجافا ونحيفا.عيناه فارغتان ومنطفئتان ...مشعر كحيوان خرافي .ظهر مسطح واليتان مرتخيتان تشبهان منشفتين متسختين ترتعشان في أعالي ساقيه".

وقد أشار الراوي إلى أصل النص واضعا إحالة إلى الهامش، وهو نص مأخوذ من رواية **les 120 journées de Sodome**.لـــــ:[1]. **Sade**.ويبدو أن الراوي قد أفاد كثيرا من هذه الرواية حيث وظف ذات الآلية-التشبيه والوصف- في المواقف التي عبرت عنها "ياما "؛ من ذلك، وصفها لعامل الضرائب الذي شبهته بـــت"كيرفال **kerval**" أحد شخصيات رواية "دو ساد"[2].

[1] - رواية مملكة الفراشة، ص276.

[2] -الرواية نفسها، ص278

ومن النصوص المترجمة بعض العبارات الروائية الواردة باللغة الألمانية المقتبسة من ملحمة فاوست للكاتب الألماني غوته.وقد وردت ضمن مشهد استرجاع ياما لتفاصيل الملحمة.

النص الألماني **Nun sag wie hast dus mit der religion**

تقول: قل لي وماذا تفعل مع الدين؟

.Daz ewig weibliche zaiht hina

تقول:الأنوثة الأبدية ترفع من مقامنا.[1]

بالإضافة إلى هذا التناص، نسجل توظيف نصوص صحفية لجرائد ناطقة باللغة الفرنسية في المتن مع إيراد ترجمتها في الهامش كما هو الحال بالنسبة لجريدة الوطن.[2] وكذا عريضة التقرير الصحفي بجريدة المساء -le soir[3] الناطقة بالفرنسية والرد الصحفي -الذي عرضته شركة صيدال ضد مناوئيها -على صفحات صحيفة الأحداث.يقول السارد :

les actualité «Le groupe pharmaceutique public Saidal a réagi à la confusion autour du médicament Rhumafed soupçonné de contenir des composants autres que ceux destinés à combattre des états grippaux. «La campagne menée ces derniers jours contre le groupe incriminant un de ses produit phares, en l'occurrence Rhumafed **comprimés**, est loin d'être innocente, si l'on en juge par son intensité et l'importance des moyens mis en œuvre. Sa parfait orchestration dénote d'un professionnalisme et d'un art consommé de la manipulation qui explique la facilité avec laquelle de nombreux citoyens ont été abusés et ont été, à leur insu, instrumentalisés pour participer activement au moyen de

[1] - الرواية نفسها، ص324-325

[2] - ينظر الملحق رقم 09.

[3] - الرواية نفسها، ص52

SMS et de mails à cette tentative de déstabilisation du group Saidal. Les initiateurs de cette campagne ont volontairement tenté d'accréditer la thèse selon laquelle il y aurait danger, voir même que des morts auraient été enregistrées **»journal:LES Actualités.**[1]

وصولا إلى عرض صفحات كاملة خاصة بتعرف أشياء أو تقديم معارف كحال البيبليوغرافيا /الإرث الأدبي للشاعر الفرنسي "بوريس فيان"، أو ما قدمه "بروست" حول تقديمه لمادة مادلين madeleine de Marcel Proust .[2]

بالإضافة إلى هذا التناص، نسجل توظيف نصوص صحفية لجرائد ناطقة باللغة الفرنسية في المتن مع إيراد ترجمتها في الهامش كما هو الحال بالنسبة لمقال الجريدة الوطن.

7- البنية الدالة في رواية مملكة الفراشة :

تعود مهمة الوقوف على البنية الدالة للعمل الروائي إلى القارئ من خلال إعمال مجهوده الذهني لإيجاد الترابط الموجود بين رؤية العالم كمفهوم والعناصر الداخلية المحددة له «**وذلك ضمن محاور ثلاثة في النص هي: الحياة الفكرية**

---

[1] -الرواية، ص98. **الترجمة:**

ردت المجموعة الصيدلانية التابعة لقطاع الدولة صيدال، على الادعاءات الموجهة ضد أحد منتجاتها دواء رومافيد الذي ادعي بأنه يحتوي على مكونات غير تلك الخاصة بحالات الزكام.إن الحملة التي استعملت فيها وسائل ضخمة، والمنظمة في الأيام الأخيرة ضد المجموعة والتي تتقصد أحد أهم منتجاتها، رومافيد، ليست بريئة بالنظر إلى كثافتها والوسائل المسخرة لذلك.هناك تنظيم دقيق وحرفية عالية في فن التلاعب تجلت بوضوح في السرعة والسهولة التي تم بها إقناع الناس، بدون دراية منهم، بواسطة الرسائل القصيرة والرسائل الالكترونية، الميل لزعزعة مجموعة صيدال. المشرفون على هذه الحملة حاولوا بقصدية وبنية مبيتة التأكيد على فكرة أن هناك خطرا مميتا بسبب هذا الدواء، بل إنه تم تسجيل العديد من الوفيات.**صحيفة الأحداث.**

[2] -الرواية، ص216.

النفسية، العاطفية والحياة الاقتصادية الاجتماعية التي تعيشها المجموعة التي يعبر عنها النص الروائي»[1].

إن المحاور السالفة الذكر؛ تعتبر مستوى ثان للمخطط الذي تنتظم وفقه سياقات للأحداث الذهنية و تواتر الأفكار الواردة في النص الروائي. وتتشكل البنية الدالة انطلاقا من التفاعل القيمي للعناصر المشكلة الثقافة والفلسفة المختزنة في وعي القارئ، وما تمثله الرواية كمكون دلالي متشابك هو في حد ذاته عالما مستقلا لا يؤدي انعكاسا مباشرا للواقع بقدر ما يمثل رؤية للعالم يتبناها المؤلف في شكله الواعي.[2]

في هذا المحور، سنقارب الطريقة التي انتظمت وفقها جملة العلاقات المنظمة للعمل الروائي؛ عبر دراسة وظيفية العناصر البنيوية المشكلة للبنية الدالة؛ كالبنيات الحدثية ومستويات الأفعال والوظائف وعلاقات الشخصيات فيما بينها. وهذا ما يدفعنا بالضرورة إلى الاستفادة من المعايير المنهجية للدراسات السردية، قصد توضيح الترسيمة البنيوية للمنطق الداخلي الضامن لتماسك العمل الروائي ومعقوليته.

ومن خلال ما سبق؛ سنعمد إلى الوقوف على عرض الطريقة التي حددت وفقها العلاقات المشكلة للرواية، فيما يتعلق بدراسة وظيفة العناصر البنيوية المشكلة للبنية الدالة من بنيات حدثية ومستويات الأفعال والوظائف وعلاقات الشخصيات فيما بينها

---

[1]- عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، ط 1، 2008، ص 262.

[2]- كمال رايس:**البعد الفني والإيديولوجي في الرواية الجزائرية**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2015، ص...

.وهذا ما دفعنا للاستعانة بالمعايير المنهجية للدراسات السردية التي توضح كيفية تشكل المنطق الداخلي الذي يضمن تماسك العمل الروائي وانتظامه «**فهو مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها والتي تكون مادة أولية للحكاية...وهو المتعلق بالقصة كما يفترض أنها جرت في الواقع، أما المبنى الحكائي فهو خاص بنظام ظهور هذه الأحداث في الحكي ذاته- أي الطريقة التي تعرض علينا على المستوى الفني**»[1].

ويرى "توماشفسكي"أن كلا من المتن الحكائي و المبنى الحكائي لهما جملة من الحوافز منها ماهو أساسي يتعلق بالمتن إذ لا يمكن الاستغناء عنه ومنها ماهو ثانوي يمكن إسقاطه ولكنها تبقى ذات أهمية بالنسبة للمبنى الحكائي فهي تضفي عليه جمالية؛ فيقسم "توماشفسكي" التحفيز Motivation إلى ثلاثة أشكال:

-**التحفيز الواقعي** : يتطلب توفر درجة معقولة من الإيهام بأن الأحداث واقعية أو محتملة الوقوع «**فهذه الأشياء لا تشكل إلا واحدا من الوسائل المستعملة في التحفيز الواقعي، فهناك أشياء متخيلة ولكنها توهم بما هو واقعي ويدخل في ذلك حتى ما هو أسطوري** »[2].

- التحفيز الجمالي: يختص بإدماج العناصر الواقعية والمتخيلة في تشكيل البنية الفنية التي«**ينتج عنها تراض بين الوهم الواقعي ومتطلبات البناء الجمالي**».[3]

- التحفيز التأليفي: هو الذي يلغي فكرة الاعتباطية «**ومبدؤه أن كل حافز أو إشارة في القصة لا ينبغي أن يرد بشكل اعتباطي –ويورد توماشفسكي في هذا**

[1]- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 22.

[2]- المرجع نفسه، مرجع سابق، ص22.

[3]- المرجع نفسه، ص 23.

الجانب مثاله الشهير –إذا ما قيل لنا في بداية قصة قصيرة بأن هناك مسمارا في الجدار، فعلى البطل أن يشنق نفسه فيه»[1].

وتحيلنا هذه الدراسة إلى قراءات "فلاديمير بروب V. Prop" في مؤلفه مورفولوجيا الحكاية حيث سجل واحدا وثلاثين وظيفة، تشكل في مجموعها البنية الشكلية للحكاية العجيبة. غير أنه سجل قصورا على مستوى دلالة البناء الوظيفي في حد ذاته.ويحيلنا في الوقت ذاته إلى ضرورة دراسة الحكاية دراسة مورفولوجية من شأنها مساعدة القراء على فك الشفرات الدلالية والى جانب "فلاديمير بروب V. prop" ميز "رولان بارت R. Barth " بين نمطين للوحدات الوظيفية؛ أما النمط الأول فهو الذي خصه بمفهوم «بالوحدات التوزيعية unités distributionnelles »[2] وهي ذاتها وحدات التحفيز؛ فإذا « **ذكر المسدس في موضع فإن الوظيفة المنتظرة هي استخدام هذا المسدس في ما يلي من الحكي وهذه هي الوحدات التي يحتفظ لها (بارت) باسم الوظائف»[3].**

أما الثاني فهو «**الوحدات الإدماجية unités intégratives وهي عبارة عن وظائف لا تحيل على فعل لاحق أو مكمل ولكن تحيل فقط على مفهوم ضروري بالنسبة للقصة المحكية فكل ما يتعلق بوصف الشخصيات والأخبار المتعلقة بهوياتها أو وصف الإطار العام الذي تجري فيه الأحداث كلها تتم بواسطة الوحدات الإدماجية»[4].**

---

[1]- المرجع نفسه، ص 23.

[2]- رولان بارت : النقد البنيوي للحكاية، ترجمة أنتوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1988، ص 105.

[3]- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 29.

[4]- المرجع السابق، ص 29.

وقد كان لغريماس **الفضل في تطوير هذه المقولات وإعطائها صفة النمذجة النهائية وحددها في ثلاث أزواج** [1] وفق ستة عوامل تأتلف في علاقات الرغبة relation de désir، وعلاقة التواصل relation de télécommunication، وعلاقة الصراع relation de lutte، وتؤسس هذه العلاقات في ما بينها ترسيمة الأنموذج العاملي ضمن مجموعة من الثنائيات هي الذات والموضوع، المرسل والمرسل إليه المساعد و المعرض. و غالبا ما توضح وفق الشكل الآتي[2] :

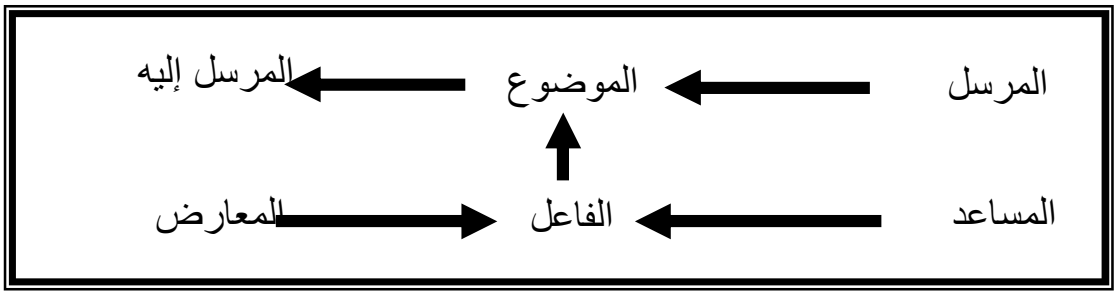

شكل رقم:01 -يوضح طبيعة مسارات الفهم.

يبين هذا الشكل طبيعة مسارات الفهم القائم لترسيمة "غريماس"

على ثنائية الملفوظ الذي يسمح بالتواصل بين الذات الفاعلة والموضوع فتكون في حالة اتصال مع الموضوع وإما أن **تكون** في حالة انفصال عن الموضوع وهذا النمط هو الذي قصده غريماس بملفوظات الحالة Les énonces d'état ويترب على ملفوظات الحالة تطور ضروري قائم يسميه "غريماس" بملفوظات الإنجاز énonce de faire وهذا الإنجاز يصفه faire transformateur بأنه الإنجاز

[1]- للإطلاع أكثر، ينظر:جون ليتشه :خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، تر:فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط2008، ص270-271.

[2]- السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2000، ص 16.

المحول ومن الطبيعي أن يكون هذا الإنجاز إما سائرا في حالة الاتصال أو في طريق الانفصال وذلك حسب نوعية رغبة ذات الحالة sujet d'état[1].

إن القارئ لنص رواية مملكة الفراشة يجد تناوبا بين هذه الملفوظات - ملفوظات الحالة وملفوظات الإنجاز-مما يسهم في بناء أشكال ثنائية متعددة تساعد على خلق بناء ذهني لتسلسل الأحداث وهذا ما سنوضحه من خلال العرض الآتي:

7-1- وظيفية الأفعال في صراع الهويات في رواية مملكة الفراشة:

تدور أحداث هذه الرواية حول مسارين اثنين :

أولهما أن الأعمال المجسدة في هذه الرواية كانت تحت عناوين محددة يترجمها الواقع وهي متمثلة في عدم الاستقرار والفساد السياسي والمالي والتخلف والجهل.

ثانيهما؛ هو المسار المجسد لأفكار وتصورات طوباوية لم تتحقق في عالم الرواية وقد عبر عنها الروائي بأفعال الحلم التي تسعى الشخصيات إلى تحقيقها، ومن الواضح أن الفكرة التي يتشكل من خلالها هذان المساران متأتية من حركة الشخصيات الروائية وصراعها الدائم حول الواقع وتطلعها إلى المستقبل وهو ما يمنح نص الرواية صفة الحوارية التي تعتبر "**ظاهرة متعددة الأساليب والألسنة والأصوات... وهذا التنوع هو في حقيقته هو تنوع إيديولوجي** "[2] يتيح حرية التعبير حول الواقع الذي تعيشه الشخصية البطلة، فتعمل على انتقاده ورفض التقاليد

[1]- ينظر، حميد لحميداني: بنية النص السردي، مرجع سابق، ص 34.

[2]- عبد الرحيم الكردي :الراوي والنص القصصي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1996، ص146.

والقيم المتوارثة؛ التي لا تتماشى والواقع الجديد الذي ضرب صفحا عن الماضي، حيث تحول الوضع العربي إلى انتكاسات وخيبات .

وعلى الرغم من ذلك كله تسعى الشخصية إلى تقديم بدائل وحلول وتتفوق على ذلك الوضع وتلك الآلام وذلك الواقع العربي المزري المخيف ببصيص أمل وتبرز هذه الأفعال في الرواية من خلال ما اتكأ عليه الراوي من أحوال الذات الفاعلة من اغتيال الوالد زبير، سجن الأخ "رايان"، مرض الأم "فريجا"، إضافة إلى عرض قضايا ترتبط بالواقع الاجتماعي والسياسي والديني كالفساد الإداري ممثلا بالتزوير والرشوة والعبث الثقافي في تسمية دور الثقافة والشوارع بمسميات عشوائية.

كما عرض الراوي أعمال التخريب والحرق مثل حرق مدرسة الخيول، حرق التكنة القديمة، حرق مجمع **صيدال** لإنتاج الأدوية .ناهيك هن حكايات أخرى فرعية مثل الإهمال الحكومي للمستشفيات والحالة المزرية التي آلت إليها الشوارع والمرافق العامة، التي تستهدف وصف المحيط الاجتماعي الذي تحيا فيه "ياما" والذي تسوده الآفات كالتحرش ومختلف أنواع الإجرام .

أما فيما يتعلق بمستوى الحلم، فقد شكلت صورة للهوية التي تسعى الشخصية البطلة لبنائها باعتبارها مشروعا مفتوحا على المستقبل، متداخلا مع الحاضر بكل معطياته لذلك تبقى هوية "مي" ملتبسة وغير قارة.

وفي هذا المقام؛ تجدر الإشارة إلى أهمية مراعاة أفعال الشخصية البطلة في الرواية التي لم تصل إلى مستوى الانجاز السردي بالصورة المطلوبة المتمثلة في تحقيق هويتها المنشودة الخاصة بها، إذ كان تحقيقا ذهنيا لما هو كائن - رغم عدم

وجود مقومات تشكل الهوية في حياة المجتمع-، وعليه يمكن اعتبار ذلك تحقيقا فرديا على مستوى ذهني محض خاص بـــ"مي"، مما يحيلنا إلى تعريف الهوية الفردية لشخصها .

من خلال ما سبق؛ نستطيع أن نميز ونصنف تلك الأفعال الواردة عبر مستوى الحلم تصنيفا دلاليا يحقق الترابط الموجود بين الرواية باعتبارها بنية والبنية الاجتماعية الخارجية(الواقع)التي تحاكيها .ولذلك عمدنا إلى إحصاء ورصد الأفعال التامة التي تساعد على تحديد قيمة العمل على المستوى السردي عبر الترسيمة الذهنية لنص الرواية وفق منظور "غريماس" الذي يتيح فرصة ربط حركة أعمال الشخصيات باختلاف هوياتها .

- محور الهدم :

الفاعل	الفعل	المعني بالفعل	الدافع	الغرض	الحافز
السلطات	غلق الصيدلية	ياما	الجباية	إساءة	محول
مافيا الأدوية	صناعة المهلوسات	الشباب	المال	إعاقة	مشترك
مافيا الأدوية	حرق مجمع صيدال	الاقتصاد الوطني	المال	إساءة	محول
مافيا الأدوية	اغتيال الكفاءات الوطنية	زوربا/الطبيب المختص	الاستغلال /المصلحة	إساءة	مشترك
السلطات/ الإدارة	تزوير التقارير	ضحايا الحرب	تزوير الحقائق/الهيم	إساءة	محول

		الصامتة	نة		
الإدارة	العبثية	الشعب الجزائري	الفساد والبيروقراطية	إساءة	محول
الإرهاب	اغتيالات	الإنسان	عقائدي/سيا سي	إعاقة	مشتر ك

جدول رقم:02 يوضح طبيعة الأعمال المعارضة [1]

من خلال قراءتنا لما ورد في الجدول السابق، تجدر الإشارة إلى التماثل والتشابه الموجود للعديد من الأفراد والشخصيات من حيث ما قاموا به من أعمال تحدد خطاب الذوات المعادية لمحور الرغبة الذي تتبناه الشخصية البطلة "ياما"؛ من اجل التغيير.إذ تسعى هذه الذوات إلى إعاقة ذلك المشروع في الخطاب السردي فتنتج مرويات ثانوية تختلف نسبة حضورها بين الأفعال القارة التي لا تغير مجرى الأحداث مثل (تفكك فرقة ديبو *جاز التي كانت عضوا فيها)، (تحرش أحد الموظفين بـــ"ياما") (تحرش الموظف ب"ياما"[2])، (تفكك فرقة ديبو- جاز) .

أما بالنسبة للأفعال المشتركة فنشير إلى (**أفعال مافيا الدواء- الإدارة الفاسدة**)؛ وهي أفعال ناتجة عن فساد هويات تحاول فرض نفسها على حياة الجماعة من الجانب السياسي والاقتصادي على حد السواء .ومن ثمة تعجز عن تقديم ذاتها كهوية منتظمة قادرة على قيادة الجماعة التي تسيطر عليها إذ تظهر كتشكيل هجين ليست له القدرة على التقدم آو التغيير الايجابي في المجتمع .

وفي خضم هذا الصراع تظهر الشخصية البطلة وتقوم بانجازات خاصة بمحور بناء موضوع الرغبة، وهو موضوع يهدف إلى التغيير الوجودي الهوياتي عبر بناء

[1]- كمال رايس:**البعد الفني والايديلوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة**، رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2015.ص181.

[2]- الرواية ص، 278-277

آخر ينشده البطل لمحور موضوع الرغبة الذي ينشده البطل.وهي ذاتها الأعمال البنائية لموضوع الرغبة، التي يمكن عرضها وفق الجدول الأتي:

-محور البناء:

الفاعل	الفعل	المعني بالفعل	الدافع	الغرض	الحافز
ياما	فتح الصيدلية	الشعب	المنفعة العامة	ذاتي	محول
ياما	الموسيقى	ديبو جاز	الفن	تكوين	مشترك
ياما	نقد الفكر الديني	سيرين ام الخير	فكري	تغيير	محول
ياما	تغيير الأسماء/ نقد التراث	الشخصيات	ثقافي	تغيير	مشترك
ياما	الصداقة	أصدقاء الفايسبوك	تواصلي اجتماعي	انفتاح	محول
ياما	الحرية	المجتمع	اجتماعي	انفتاح	محول

جدول رقم:03-يوضح طبيعة أفعال البناء في المستوى السردي.[1]

إن المتتبع لما تم عرضه سابقا من تفصيل للأعمال من جانبها الموضوعاتي يلاحظ اشتراك هذه البرامج السردية في موضوع واحد هو موضوع الرغبة إضافة إلى ذلك يبدو أن هذه الموضوعات ذات طبيعة ثقافية اجتماعية تشترك في موضوع هام؛ هو مناقشة القيم الإنسانية من زوايا نظر مختلفة مع التركيز عما تتبناه البطلة "ياما" والذي يلقى المعارضة .

[1]- المرجع السابق، ص ص 182-183.

7-2-الشخصيات و النموذج العاملي:

7-2-1- البطل الفاعل/الذات والموضوع:

يبدو محور الرغبة -من خلال تحليلنا لمستويات الوعي- في رواية مملكة الفراشة متجليا في سلوك البطل وأفكاره التي تطرح فكرة التغيير ومنطق التعايش ونبذ العنف والحرية الفكرية.ويتم تقديم هذه الأفعال عن طريق علاقاتها بأفعال المحور المعارض ضمن علاقات التواصل والرغبة والصراع.

ويمكن أن نصنف في هذا الإطار تلك الأفعال؛ بين المتحققة في الواقع؛ التي تعد أعمالا فرعية مكملة لبرنامج البطل /الفاعل؛ مثل (الانخراط في فرقة ديبو جاز - فتح الصيدلية، الاعتناء بالوالدين) وبين الأفعال ذات الطبيعة الفلسفية والفكرية؛ التي حققت من خلالها الذات الاتصال بموضوع رغبتها بناء على نقد الذات، وتحريك الشعور لبناء؛ وعي ثوري يستهدف تغيير قيم وإحلال أخرى بدلها قصد؛ خلق فضاء اجتماعي جديد يكون قادرا على إثبات ذاته في التاريخ الراهن ومنها ؛ قضايا الحرية، التعايش، نبذ الفكر المتطرف.

يسعى البطل الفاعل إلى تحقيق ذاته عبر الاتصال بموضوع رغبته المتمثل – من خلال مقاربة وعي الشخصية-في نشر وتحقيق الإيديولوجيا الليبرالية التقدمية التي من شأنها نقل المجموعة من واقعها الراهن إلى موقع أفضل في مسارها التاريخي.

وفي هذا المستوى يحقق البطل الفاعل إنجازه بصبغة فردية ذهنية؛ تهيئ نظريا لمشروع فكري مغاير للواقع، نظرا للاستقطاب الكبير الذي يحققه داخل الطبقة /المجموعة التي تعبر عنها.وللتوضيح أكثر نسلم باعتبار "ياما" البطل الفاعل،

والطبقة التي تعبر عنها هي طبقة المثقفين –جيل الاستقلال- موقعها؛ من الطبقة الوسطى في المجتمع ونستند في تصنيفنا هذا إلى طبيعة الوظائف –المهن- التي يشغلها أقطاب هذا الاتجاه "ياما "صيدلية."زبير" صيدلي خبير أدوية."ديدي" تاجر، "فادي" أو "فاوست" ممثل مسرحي، "سيرين أم الخير" ماكثة بالبيت.

7-2-2 - المساعدون:

أثناء اشتغال البطل على مشروع إنجاز برنامجه السردي، يحدث وأن يقع في معضلات وعقبات تستدعيه أن يعين تجربته بتجارب الآخرين الذين ينخرطون معه في برنامجه بوعي أو بغير وعي. وتشكل تدخلات المساعدين أجزاء مهمة من برنامج البطل إزاء موضوع رغبته .

كما أن الموضوعات المساعدة التي تشمل الفضاء -بما يتيحه من مكان وزمان وفكر- يسهم بشكل أساس في تحقيق مشروع البطل وفي رواية مملكة الفراشة، يظهر العامل المساعد عبر تجليه في سلوك وأعمال عائلة "ياما"؛ الوالدة"فيرجي"-في منحها حرية الفكر والحياة لابنتها-والوالد "زبير"؛ ورعايته لمصالح ابنته والحفاظ عليها .إضافة إلى أعضاء فرقة ديبو جاز التي علمتها خفايا الفن والمشاعر النبيلة .وصديقتها الصيدلانية؛ التي ساعدتها على تحمل عبء تسيير الصيدلية.و"ديدي" أو "نور الدين" الصديق الحميم لـــ "ياما"؛ الذي وفر لها جو المغامرة والتحرر من كل القيود.

7-2-3- المرسل والمرسل إليه:

انطلاقا من التقديم السابق الخاص بأقطاب الترسيمة الذهنية للحكاية العامة للرواية، يمكننا إن نخلص- نسبيا- لتحديد وعرض ثنائية المرسل و المرسل إليه؛ انطلاقا من عالم البطل واعتبارا من مواقفه إزاء الأفكار المعروضة في النص .– **رغم أن شخصية البطل الفاعل قد لا تتعلق فعليا ببطل الرواية أي الشخصية المهيمنة-** التي يمكن ردها إلى فكرة تجريبية نابعة عن التصورات و الأعمال التي تصدر عن الكل الروائي. لذا يبدو من خلال النموذج الذهني الذي يؤسس لعرض الأفكار في المتن الروائي من حيث العرض والتقديم والمناقشة؛ أن المرسل هو الحلقة الدلالية التي تستقطب إلى فلكها كل مقومات الإيديولوجيا الليبرالية؛ المستأنسة لمنطق الحرية، الأنسنة، ورفض الواقع، بحثا عن الأفضل. وهي حسب شخص "ياما" -كبطل فاعل متجسد شكليا في النص الروائي-؛ تعكس رؤية وموقف الطبقة الوسطى المثقفة التي عانت تقلبات المرحلة التاريخية بعد مرحلة الاستعمار خاصة زمن العشرية الحمراء التي مرت بها الجزائر.وهذا الموقف الناتج يطرح بديلا فكريا يتعلق بصيغ بناء بطريقة موضوعية للتعامل مع الراهن الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي تعيش في بوتقته المجموعة المشكلة لعالم الرواية؛ كما تضطلع برسم صورة مغايرة للصور النمطية التي يختزنها الوعي الجمعي للذات حول الأنا.محاولة بسط فكرة تجاوز الموروث، وفكرة مثاقفة الآخر فنيا وثقافيا لمواكبة العصر .

أما المرسل إليه فهو المتلقي الجزائري على اختلاف مرجعياته الفكرية أو انتماءاته الروحية والعرقية.وهذا ما عبرت عنه أفكار الجماعات المناوئة لمشروع البطل والتي تم عرضها كمشاريع فكرية قاصرة عن تحقيق التغيير كما الحال في تقديم الإيديولوجيا الأصولية أو أثناء عرض النزعات البراغماتية لفئات عدة من

الجماعة والتي تنم في أغلبها، عن قصور الوعي لديها، وعجزها عن رسم البديل الذي يمكن من الانتقال من وضع متدن إلى آخر أكثر رقيا وطموحا.

-على سبيل الاختتام:

-1- إن توظيف اللغة الأجنبية في الرواية -باعتبارها نصوصا وافدة - مادة ثرية لإثبات المثل الثقافي الراقي في مقابل ما تتمثله الذات من ثقافة تراثية قاصرة عن مجابهة مستجدات العصر والوضع الثقافي المتشظي الذي يحياه مجتمع الرواية .

-2- تعد تقنية إعادة التسمية بالنسبة لشخصيات الرواية، خلخلة لحجر أساس الهوية الفردية والاجتماعية على حد السواء؛ فمجرد تغيير الاسم - العلم- يتغير المرجع، ومن ثمة تنبئ أسماء العلم الجديدة عن اقتراح واع بتغيير منظومة القيم التي تؤمن بها الجماعة المعبر عنها في الرواية.

-3- إن تضايف اللغة البارودية والساخرة مع اللغة المعيارية الرسمية يعبر عن حالة ديمقراطية تمس التعبير باعتبارها تتيح الظهور لكل الخطابات المتعارضة والمتناقضة والمتماثلة، وهذا ما يسمح بنشوء صراع هوياتي حسب الفئات المتجانسة في النص الروائي.

-4- عمد الروائي في بناء شخصيته -على مستوى التأهيل السردي - إلى جعلها شخصية مشبعة بالثقافة الأدبية الأوروبية الحديثة في إشارة رمزية منه إلى قيمة الموروث الثقافي الغربي في التأثير على سلوك الإنسان لاسيما وهو الفكر المهيمن على العالم في الوقت الراهن .

- 5- يعمل فعل التناص على إثراء وتوسيع مجال فكرة التغيير، فيصبح الحضور الهوياتي-المرجعية الأعلامية-سبيلا يبتغي من ورائه الروائي طرح بعض الرؤى والمفاهيم التي تخدم مسار أحداث روايته.

خاتمة

خاتمة:

في ختام مقاربتنا النقدية، يمكننا أن نحدد أهم النتائج والملاحظات التي توصلنا إليها من خلال المستوى النظري المنهجي وأيضا من المستوى التطبيقي الذي تعرض للروايات.

أما فيما يتعلق بالجانب المنهجي؛ فقد اتضحت أهمية التعـــامل مع النص كوحدة كلية دون تجزيئه، بما يؤدي لافتقاده لبنيته الدالة، كما أوضحت المقاربة أيضا صعوبة التعامل مع النص الأدبي كبنية معزولة عن الخارج؛ وهذا ما دفعنا في مراتب التحليل إلى الإشارة الضمنية للالتقاء المتواصل بين داخل النص وخارجه دون التوقف المطلق عند أي منهما.

وفيما يخص إجراءات التحليل؛ فقد استفدنا من المعايير الإجرائية الخاصة بالحوارية عند باختين وبعض الإجراءات السردية البنائية التي لها فعالية الكشف عن التشكيلات الهوياتية عبر رصد أعمال البرنامج السردية المتصارعة والمتضافرة والتي يمكن عرضها وكشفها وحتى تصنيفها وفق تصور"غريماس" من خلال توظيف محاور الرغبة والصراع وكذا ما تعلق بخطاطته البنيوية؛ التي تتكشف عندها الدلالات الممكنة للنص الأدبي.

وتجدر الإشارة إلى فكرة الحوارية التي طرحها "باختين"حيث تبين أنها تسهم بشكل واضح في تصنيف الأفكار من حيث كونها أفكار تنم عن الموضوع الذات وتعبر في مستوى آخر عن الأفكار من حيث تعلقها بالفكرة الموضوع .

وبناء على هذه المعايير يمكن القول أن النتائج المنهجية الناجمة عن التطبيق تبرز أن النص الأدبي يميط اللثام عن الهويات يصورها ويدفعها الى التعبير عن ذاتها، الأمر الذي يسمح باكتشافها وإعادة تكوينها كبناء يتحقق لدى طبقة اجتماعية ما او حتى بمسعى فردي .

❖ النص الأدبي الروائي، عالم يتأسس على تعدد الهويات وهو كتابة تنظمها وتبنيها- أي- تعطيها شكلا وبنية لتنتج دلالات جديدة ومتميزة، تختلف في النص الروائي وتتنوع فتبدو جديدة أصيلة؛ وهذا ما يدفعنا إلى القول أن كل نص روائي يحمل تجربته الخاصة ودلالته المتميزة انطلاقا من عالمه الهوياتي الخاص.

❖ تنشأ الهويات داخل العالم الروائي عبر الصراع القائم الطبقات ويتجلى ظهورها وقت الأزمات..

❖ لا يكاد يخلو النص مهما كان من التمثلات والإشارات لموضوع الهوية وهي أساس تشكيل العالم الذهني للرواية

❖ تشكل المدونة رؤية إبداعية حداثية، تتأسس على روح التغيير وتجاوز المألوف وارتياد المغامرة قصد خلق نفس فني جديد يواكب حركة الحياة الاجتماعية وتحولاتها.

❖ استند الراوي في بناء عوالم الروايات المدروسة على المعايير الحداثية للرواية الفنية المعاصرة، ومنها، منظور التعدد –تيار الوعي-وتنوع الرؤى والاتجاهات التي تقوم على فنية التعدد والتنوع في مستويات اللغة وكذا في مستويات الوعي.

❖ تنتمي هذه الروايات إلى حقل الرواية الجديدة؛ بفعل اعتمادها على تقنيات سردية لغوية كتعدد أنماط الوعي، تعدد الرواة، تعدد الأصوات، وهذا ما يجعل من

عملية القراءة عملية صعبة تستوجب التركيز التام لإعادة ترتيبها ذهنيا قصد التحليل لا سيما في البحث عن الانساق الدالة على الهويات .

❖ تتميز المدونة بنسيج لغوي متشابك قوامه التعدد اللساني؛ وهذا يعود إلى تعدد الرواة وتعدد الطبقات الاجتماعية المشكلة للعالم الروائي، مما يمنح الإنتاج الروائي المستهدف بالدراسة صفة الحوارية، إذ تبدو في نموذج ديمقراطية التعبير -توظيف رمزي للغة العامية و النصوص الدينية والتاريخية و الألفاظ الأجنبية.

❖ البحث في موضوع الهوية هو بحث عن الهوية، إستراتيجية حداثية تقيمها الذات من زاوية المثاقفة قصد ترسيخ مبادئ عليا تجسدها لغة الحوار والتعايش ونبذ الخلافات؛ من خلال لفت انتباه القارئ –على اختلاف جنسيته- إلى عدالة القضايا المطروحة كحرية الرأي وحق المواطنة والعيش الكريم. إضافة إلى إثارة اهتمام المتلقين بقضايا سياسية وتاريخية كبرى كتاريخ العرب والمسلمين وعلى رأسها القضية الفلسطينية. **ومن هذا الموقع الخارجي؛ يتموضع العمل الروائي لــ"واسيني الأعرج" من حيث هو تأسيس لموقع معرفي ولمجال رؤية تنطلق من خلفيات واعية؛ ترتسم ملامحها في تفاصيل وتقاطيع هذه الأعمال الروائية ...**

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية ورش.

1-المدونة

2-الكتب العربية

3-الكتب المترجمة

4-الكتب باللغة الأجنبية

5-المجلات والدوريات

6-القواميس والمعاجم

7- المخطوطات والرسائل الجامعية

8- المنتديات والمواقع الالكترونية

***القرآن الكريم برواية ورش.**

قائمة المصادر والمراجع:

المدونة:

1- الأعرج واسيني: **كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد**، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3، 2013.

2- الأعرج واسيني: **كريماتريوم سوناتا لأشباح القدس**، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، 2008.

3-// // :**مملكة الفراشة**، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2013.

المراجع باللغة العربية :

1- إبراهيم السيد: نظرية الرواية"دراسة مناهج النقد الأدبي في معالجة القصة", دارقباء للطباعة والنشر والتوزيع, د.ط, 1998.

2- إبراهيم عبد الله : السرد والاعتراف والهوية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1،2011.

3- إبراهيم عبد الله: معرفة الأخر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1996.

4- أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1996.

5- أمارة محمد :اللغة والهوية تأثيرات وتداعيات في التعليم العربي في إسرائيل، الكلية الأكاديمية، المركز العربي للحقوق والسياسات، رام الله، 2010.

6- إبراهيم زكريا:مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، د.ت.

7- بابا عمر سليم: اللسانيات العامة الميسرة، انو، الجزائر، 1990.

8- البازعي سعد :دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

9- حنفي بن عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2003.

10- بن كراد سعيد: مدخل إلى السينائيات السردية، منشورات الاختلاف، المغرب، ط 2، 2003.

11- بوزيان دليل محمد وآخرون :اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة، تق: مخلوف سيد أحمد، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط 1، 2010.

12- بوطاجين السعيد: الاشتغال العاملي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2000.

13- بوقرة عبد الكريم:علم اللغة الاجتماعي، مطبوعات جامعة محمد الأول، كلية الآداب، وجدة، المغرب، د.ت/د.ط.

14- البيطار نديم: حدود الهوية القومية – نقد عام للتيار القومي العربي -، دار الوحدة، بيروت، ط1، 1982.

15- تادرس خليل، أحلى الأساطير العالمية، كتابنا للنشر، بيروت، ط1، 2008.

16- تمام حسان :اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، د، ط.

17- تمام حسان "الأصول، دراسة إيبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي"، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1981.

18- حجازي محمود فهمي: أصول البنائية في علم اللغة والدراسات الاثنولوجية، بيروت 1972.

19- حرب علي: حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004.

20- حسن حنفي : مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

21- حنفي حسن :مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991ـــ.

22- حسين عبد الحميد رشوان:البناء الاجتماعي، الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 2007.

23- حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية,منشورات مركز أوغاريت الثقافي, رام الله, فلسطين, ط1, 2007.

24- الحلاق محمد راتب: نحن والآخر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997.

25- خليل إبراهيم: بنية النص الروائي , منشورات الاختلاف , الجزائر العاصمة, ط1, 2010.

26- دهام عبد القادر :الدلالات الاجتماعية للغة، دار نوافذ للنشر عمان الأردن، 2011.

27- الدواي عبد الرزاق :موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1 ديسمبر1992.

28- الدواي عبد الرزاق : في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ط 1، 2013.

29- الدواي عبد الرزاق:الثقافة وحرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث، بيروت، ط1، آذار/ مارس، 2013 .

30- رشوان حسين عبد الحميد:البناء الاجتماعي، الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 2007.

31- الزاوي الحسين:الهوية وفلسفة اللغة العربية، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2004.

32- زكريا إبراهيم: مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، د.ت.

33- زكريا ميشال: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982.

34- الشاهد نبيل حمدي: العجائبي في السرد العربي القديم, الوراق للنشر والتوزيع, ط1, 2012.

35- شريف يونس : سؤال الهوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة، ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 1999.

36- صابر محمد عبيد: تأويل متاهة الحكي في تمظهرات الشكل السردي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007.

37- عبد الحليم عبد الله محمد:الوجه الآخر، مكتبة مصر،

38- عبد الرحمان محمد السيد: مقياس موضوعي لرتب الهوية، جامعة الزقازيق، دار قباء للنشر، القاهرة، 1989.

39- عبد الغني عماد: سوسيولوحيا الثقافة، المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2006 .

40- عبيد محمد: مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة، الجزائر، ط 1، 2007.

41- عطية أحمد عبد الحليم: جاك دريدا والتفكيك، دار الفرابي، بيروت، ط 2، 2015 .

42- عمارة محمد : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 فبراير1999.

43- عمايرة خليل أحمد: في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، ط1، بيروت، لبنان، 1987.

44- عمر سليم بابا: اللسانيات العامة الميسرة، انو، الجزائر، 1990.

45- عيد محمد إبراهيم : الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص17.

46- العيد يمنى : في معرفة النص، دار الآداب بيروت، ط، 4، 1999ـــ.

47- عيلان عمر: في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، ط 1، 2008.

48- الفاضل منير:**الذاتية وسياسات الهوية**، سلسلة العولمة والنظرية الأدبية،

49- فضل صلاح:النظرية البنائية، دار الشروق القاهرة ط1، 1998.

50- قطوس بسام: مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006.

51- الكردي عبد الرحيم :الراوي والنص القصصي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط 2، 1996 .

52- لحمداني حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مركز الأبحاث العربية، الدار البيضاء ــالمغرب، 1998.

53- مجموعة مؤلفين:الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، إدارة الثقافة، ط2، د.ت.

54- مجموعة مؤلفين:اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للسياسات والأبحاث، بيروت، 2013.

55- محمد الحرز : شعرية الكتابة والجسد، دراسات حول الوعي الشعري والنقدي، الانتشار العربي، ــبيروت، لبنان، ط1، 2005.

56- محمد بوعزة : هرمنيوطيقا المحكي، النسق والكاوس في الرواية العربية، الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط1، 2007.

57- محمد زعو :أثر العولمة على الهوية الثقافية والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ط1، 2010ــ.

58- محمد السيد عبد الرحمان: مقياس موضوعي لرتب الهوية، كلية التربية، جامعة الزقازيق، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة 1989.

59- مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د.ت، د، ط.

60- المسدي عبد السلام:الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتابة، ط 2، 1982 .

61- مسلم محمد:مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2007.

62- المناصرة عز الدين: المثاقفة والنقد المقارن منظور إشكالي، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت 1996.

63- مهدي حبيب صالح: دراسة في مفهوم الهوية، هيئة التعليم الفني، بيروت، د.ت.

64- النيفر نور الدين :فلسفة اللغة واللسانيات، مؤسسة أبو وجدان للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1993 .

65- الهرماسي محمد صالح : مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001.

66- وافي علي عبد الواحد : اللغة والمجتمع، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1981.

67- ولد خليفة محمد العربي: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات تالة الأبيار، الجزائر—2007

68- يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي" الزمن-السرد-التبئير" , المركز الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1989.

69- يوسف جمعة :سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990.

يونس شريف : سؤال الهوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة، ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 1999.

70- اسمن يان:الذاكرة الحضارية –الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارة الكبرى، تر:عبد الحليم عبد الغني رجب، الهيئة المصرية العامة، 2013.

71- اشكروفت بيل وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر:أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

72- اودويف ستيفان :على دروب زرادشت، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق، سوريا، ط1، د.ت.

73- بارت رولان : النقد البنيوي للحكاية، ترجمة أنتوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1988.

74- بروكلمان كارل: فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1977.

75- بوستر مارك : الأمم والهويات وتكنولوجيا العولمة-العولمة والنظرية الأدبية، تر: عادل عناني، المنار العربي للنشر، الجيزة، مصر، ط1، 2008.

76- بيلمان نويل جان: التحليل النفسي والأدب، تر: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1997.

77- تشومسكي نعوم :اللغة ومشكلات المعرفة، تر:حمزة بن قبلان، دار طوبقال، المغرب، 1990.

78- تودوروف تزفيطان، المبدأ الحواري، تر : فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1996 .

79- ديهاي تيري: العولمة والنظرية الأدبية، فاناتزيا لأسيا جبار، تر:عادل عناني، اثر:عز الدين إسماعيل، دار المنار العربي للنشر، الجيزة، مصر، ط1، ــ2003 .

80- سعيد ادوارد:تأملات حول المنفى، تر:ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، 2004

81- غادامير هانز جورج: الحقيقة والمنهج –الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، مر:جورج كتورة، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، ط2007.

82- فوكو ميشال:حفريات المعرفة، تر:سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاءء، المغرب، د.ت، .

83- كازانتزاكي نيكوس -زوربا-رواية زروبا، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب بيروت، ط3، 1978.

84- لوينز جون : اللغة واللغويات، تر:محمد العناني، دار جرير، عمان، الأردن، طـــ 1، 2009.

85- ليتشه جون:خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، تر:فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط2008.

86- مجموعة باحثين :الهوية، تر: عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2005 .

87- ميشللي اليكس:الهوية، تر:علي وطفة، دار النشر الفرنسية دمشق، ط1، 1993.

88- هالبيرن كاترين وآخرون : الهويات، الفرد، الجماعة، المجتمع، تر:إبراهيم صحرواني، دار التنوير الجزائر، ط1، 2015

89- هولبورن هارلمبس: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر:حاتم حميد محسن دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق سوريا، ط، 1، 2010.

90- Edgar Morin la méthode 5 humanité de l. humanité l'identité humane édition paris seuil 2001.

91- Dictionnaire Larousse de poche. imprimé par Brodard et Taupin .librairie général Française .Paris1988.

92- dictionnaire pratique de la langue française .Le Robert .1996.

المجلات والدوريات:

93- إبراهيم أنيس: **الألفاظ ومعانيها كانت رموزاً لدلالاتها**، الكويت، مجلة العربي الكويتية، العدد (100)، آذار 1967.

94- أبو زيد محمود: أعلام الفكر الاجتماعي و الأنتروبولوجي الـــــغربي المعاصر، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. ج1، د.ت.

95- بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة.، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت ط1، 1984، مج2.

96- بن تمسك مصطفى: **في التأصيل المفهومي للهوية، محور الدين والهوية،** إصدارات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، تونس، ع13 مايو2013

97- تحريشي محمد:"**المستويات اللغوية في الخطاب السردي عند واسيني الأعرج"،** مجلة عمان، عدد163، كانون الثاني2009.

98- حنفي حسن:**اللغة والاغتراب في الوعي العربي،** مجلة تبيين للدراسات الفكرية والثقافية، الدوحة، قطر، عدد 1، مج 2012.6.

99- خرفي صالح:**الأمير عبد القادر هل تغزل في سيدة فرنسية؟**، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة الجزائر، السنة1، ع4، سبتمبر 1971.

100- عاشور رضوى:**الصوت، فرانز فانون، إقبال احمد، ادوارد سعيد،** مجلة ألف، عدد25، 2005.

101- عبابنة يحي وآمنة الزعبي: علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، دمشق، دت، ص 10.

102- العالم محمود أمين:**حول مفهوم الهوية،** مجلة العربي، ع 437، ذو القعدة1415ه، افريل1995

103- علي أسعد وطفة :**الهويات الأصولية في عصر العولمة**، سوريا، ع2010/557.

104- فؤاد سليم أحمد: **الدلالة والعلامة، وأسس التنظير في الفن التشكيلي،** الصورة، مجلة فكرية، الشارقة، ع01.

105- مجلة العربي، ع 437، ذوالقعدة1415ه، افريل1995.

106- مجلة ألف، ع ــ

107- الموسوعة العربية، مجلد 22 التصنيف تربية وعلم نفس، النوع مشاهير.

108- وهبة مراد :المعجم الفلسفي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.

109- www.Link.springer.com

110- www.wikipedia.com.

111- wwwarab-educy.com

112- www.goodreeds.com

113- http://www.alukah.net/literature_language

114- https://phiscience.co/nova/article

115- http://snaccooperative.org/ark:/99166/

116- http://www.alukah.net/literature_language/0/7427

https://www.marefa.org

ملاحق

ملاحق الفصل الثاني، رواية كتاب الأمير.

«السلام على من اتبع الهدى.قرأنا الرسالتين وفهمنا ما فيهما .قلت لكم في رسائل سابقة أن العرب من ولهاصة حتى الكاف، مصممون على خوض الجهاد ولا يمكنني الا أن اكون بجانب الذين بايعوني في هذا المنصب.لقد كنت وفيا معكم لكل التعهدات التي قطعتها على نفسي، وأخبرتكم بكل التحولات وها أنا ذا أفعل صادقا .أعيدوا قنصلي في وهران لعائلته واستعدوا للجهاد المعلن ضدكم .أذ لا يمكنكم من الان اتهامي بالخديعة وخيانة العهد.قلبي صاف ولا يمكنني القيام بشيء مناف للعدالة».

رسالة الأمير عبد القادر للقس ديبوش؛ رواية الأمير.

« الحمد لله وحده، من الذين يعانون آلام الهجر والوحدة.السلام على من نحبه جميعا كأب، إلى صديقنا وحبيبنا صاحب الغبطة ديبوش.قس الجزائر السابق، وحده يعرف الحزن العميق الذي في القلوب والحرمان الكبير والحاجة ويعرف كيف يخفف سطوة الأحزان والآلام.السلام عليك.لقد وصلتنا كلماتك الطيبة وإصرارك على طباعة كتابك عن المسيحية في الجزائر .هذا الخبر يسعدنا ونتمنى أن يزكي الله هذا التصنيف ليصبح مرجعا لكل مستعمليه...

يمكنك أن تحدثنا قليلا عن أخوات الأعمال الخيرية اللواتي تركتهن معنا واللواتي باشرن أعمالهن الطيبة..كم نحتاج معونتهن، رجالا ونساء لأننا جميعا نتألم كثيرا. كان من المفترض أن نجد في كل ما قيل لنا منذ حبسنا، العدل والصراحة ولكن هيهات، الطموح يعمي قلوب الرجال في أغلب الأحيان، ويدفع بهم نحو الظلم السلطان يمنعهم من رؤية الحقيقة وتصديق الآخرين ويشوه كل شيء في عيونهم.

سعدت كثيرا أن رسالتك للرئيس وصلت إلى نهايتها، عذرا، لقد أدخلتك في مسالك عذاباتي وأنت نفسك في حاجة إلى قليل من الراحة .مرضك الذي حدثتني عنه وحرارة جسمك غير الطبيعية يقلقاني.أحيانا أقوم مذعورا من نومي، إذ اسمع صوتك يأتيني من وراء أبواب القصر الموصدة.أملي أن تجد رسالتك أذنا صاغية تقدر حرقتها وأنينها.

أما أنا أيها الحبيب الغالي لقد سلمت أمري لله ولم يعد شيء يعنيني كم الحياة سوى تلك الرغبة التي تنتاب المنفي المنكسر، الخلاص أخيرا من عزلته والسماح له باختيار موته على الأرض التي يشتهي أن ينطفئ على تربتها».

ملاحق الفصل الثالث:

رواية كريماتوريوم سوناتا لاشباح القدس، ص430.

رسالة "ايفا موهلر" عشيقة والد "مي" "يونس ماركو"

«رأس الحلمة التي رضعتها لأول مرة في الزاوية المظلمة داخل المستشفى الألماني في القدس، كنت تمص وأنا أحاول أن أنهيك وأحذرك من أن يرانا احد، وفي أعماقي شهوة مجنونة كانت تجرفني نحوك.لكنك لم تتوقف وكأنك عثرت على حليب الجنة الذي كانت خيالاتك تحفل به.ثم احتضنتني بجنون وحملتني على سرير المرضى ولم تكلف نفسك حتى غلق الأبواب. قلت لك أغلق الباب وأنا أتمنى أن تظل علي مثلما كنت لم تسمعني.كانت الساعة بالضبط تشير إلى الثالثة فجرا وكل شيء خال من الحياة إلا أنا وأنت، كنت أعرف انك تركت كل شيء من أجلي، زوجتك وابنتك، أصدقاؤك، وأهلك وفرقتك العسكرية، لا أتصور أن جنونا مثل ذلك سيتكرر يوما، ليس لأن الليلة تلك أثمرت حبيبتي الرائعة يارا، ولكن لأننا كنا خارج كل منطق مستقر للحياة، كان يمكن أن اطرد من عملي ولكني كنت سعيدة أن لا احد رآنا .يبدو أن ليلة البدايات تبقى عالقة في الذاكرة كاللمحة الجميلة التي تستمر معنا حتى الموت.جمال تلك الليلة وأساها العميق، إنها لن تتكرر أبدا حتى ولو شحذنا لها كل حواس الدنيا.أحسن.لأنها لو عادت مرة أخرى بنفس القوة، ستقتلنا من فرط عذوبتها.

ليكن لا أطلب منك الشيء الكثير بعدما خربتني حادثة فقدانك، تذكرني فقط وقل إن امرأة أحبتني بعد أن وضعت حياتها كلها على حافة المخاطر الكبرى.تذكرني

بقلبك، بجسدك، بلمسك، ببصرك، بلسانك، بأصابعك الناعمةـ بكل حواسك الخفية وبعدها إذا لم نلتق، ليس مهما».

شقيتك ايفا.

لوحة ألام يوسف الخفية : اللوحة موجودة بمتحف السامع Muséum OF Tolerance ضد العنصرية ومعاداة السامية بلوس أنجلس.تم اقتناؤها في سنة 1999 من معرض مي الأخير بنيو جرسي موجودة تحت علامة SK6671 وتحمل توقيع مي –رقم الشراء في المزاد غاليري ويذاوت وولز:MOT-JOS.PAS/MKON/432.

الرواية ص **161**.

لوحة وجه أمي :

اللوحة موجودة في متحف الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة، ضمن مجموعة الفن العالمي المعاصر في الرواق الرئيس للمتحف MBAA-Momother-face /MAYISK/65-65. هدية من الفنان محمد اسياخم إلى المتحف، قدمها في 1987، قبل وفاته اثر مرض عضال بسنة واحدة.

الرواية، ص**169**.

لوحة طعم الكوليرا الكاذب:

اللوحة من مقتنيات متحف بروكلين للفنون الحديثة لم تصنف بعد .اشتريت يوم مزاد غاليري ويذاوت وولز في معرض نيوجرسي رقم الشراءGMCOL/MK/34599

ل-BM-MA.

الرواية، ص**170**.

شرفات أورشليم :

اللوحة اشتراها فلسطيني ثري من جنسية نيوزيلاندية وقدمها هدية لمتحف القدس الخاص الذي يتم إنشاؤه في الجهة الشرقية من المدينة مرقمة تحت JERUS/MK/067/PC.BALCONY

الرواية، ص**281.**

ملاحق الفصل الرابع

ملحق رقم 1:قصيدة سيدي الرئيس بوري سفيان/رواية مملكة الفراشة، ص 241-242. .

Monsieur le président
Je viens de recevoir
Mes papiers militaires
Pour partir à la guerre
Avant mercredi soir
Monsieur le président
Je ne veux pas la faire
Je ne suis pas sur terre
…Pour ture des pauvres gens
Depuis que je suis né
J’ai vu mourir mon père
J’ai vu partir mes frères
Et pleurer mes enfants
…Ma mère a tant souffert

Quand j’étais prisonnier
On m’a volé ma femme
On m’a volé mon âme
Et tout mon cher passé
Demain de bon matin
Je fermerai ma porte
…Au nez des années mortes
Et je dirai aux gens:
Refusez d’obéir
Refusez de la faire
N’allez pas à la guerre
…Refusez de partir
Monsieur le président
Si vous me poursuivez
Prévenez vos gendarmes
Que je n’aurai pas d’armes
Et qu’ils pourront tirer.

الترجمة:

سيدي الرئيس/لقد وصلتني وثائقي العسكرية/لأذهب إلى الحرب/قبل الأربعاء مساء///سيدي الرئيس أرفض الحرب/لست على هذه الأرض لأقتل الفقراء///منذ أن جئت إلى هذه الدنيا/رأيت والدي يموت/رأيت إخوتي يذهبون/وبكيت أولادي/كم عانت أمي///عندما كنت سجينا/سرقوا مني زوجتي/وسرقوا مني روحي/وكل ماضي الجميل/وغدا سأغلق بابي/في وجه سنوات الموت///سأقول للناس/اعصوا الأوامر/أرفضوا الذهاب إلى الحرب///سيدي الرئيس/إذا تابعتني/قل لدركك/إني لا أحمل سلاحا/وإنه بإمكانهم إطلاق النار علي/.

ملحق رقم 02:رصف آلة الكلارينات ووظيفتها الموسيقية، الرواية، ص16-17.

“La clarinette est peu propre à l’idylle, c’est un instrument épique, comme les cors, les trompettes et les trombones. Sa voix est celle de l’héroïque amour; et si les masses d’instruments de cuivre, dans les grandes symphonies militaires éveillent l’idée d’une troupe guerrière couvert d’armures étincelantes, marchant à la gloire ou à la mort, les nombreux unissons de clarinettes, entendus en même temps, semblent représenter les femmes aimées, les amantes à l’œil fier, à la passion profonde, que le bruit des armes exalte, qui chantent en combattant, qui couronnent les vainqueurs ou meurent avec les vaincus. Je n’ai jamais pu entendre de loin une musique militaire sans être vivement ému par ce timbre féminin des clarinettes, et préoccupé d’images de cette nature, comme après la lecture des antiques épopées. Ce beau soprano instrumental, si retentissant, si riche d’accents pénétrants quand on l’emploie par masses, gagne dans le solo en délicatesse, en nuances fugitives, en affectivités mystérieuses ce qu’il perd en force et en puissants éclats. Rien de virginal, rien de pur comme le coloris donnée à certaines mélodies par le timbre d’une clarinettes jouée dans le médium par un virtuose habile. C’est celui, de tous les instruments à vent, qui peut le mieux faire naitre, enfler, diminuer et perdre le son. De là la faculté, précieuse de produire le lointain, l’écho, l’écho de l’écho, le son crépusculaire. N’est-ce pas la vierge isolée, la blond fiancée du chasseur ,qui, les yeux au ciel, mêle sa tender plainte au bruit des bois profonds par l’orage.

الترجمة:

الكلارينات مناسبة للتعبير عن المبهر.آلة ملحمية مثل الصناجات والترومبيت والطيبول.صوتها هو صوت الحب البطولي. وإذا كانت مجموعة الآلات النحاسية في السمفونيات العسكرية الكبرى توقظ فكرة الإحساس بفرقة عسكرية مغطاة بالواقيات

المعدنية اللماعة، متجهة نحو النصر أو الموت، فمجموع أصوات الكلارينات التي تسمع في الوقت نفسه تبدو كأنها التعبير عن النساء المحبوبات أو العشيقات الفخورات اللواتي تشعرهن أصوات الأسلحة بالانتشاء وهن ينشدن في غمار المعركة ويكللن المنتصرين أو يمتن برفقة المنهزمين.لم أسمع في حياتي من بعيد موسيقا عسكرية دون أن أصاب بالذهول بهذا الصوت الأنثوي للكلارينات وأمتلئ بالصور الناتجة عن ذلك مثلما يحدث عادة بعد الانتهاء من قراءة الملامح القديمة.هذه الآلة الأنيقة القوية والغنية في أصواتها النادرة عندما تستعمل ضمن المجموعة، تستعيد في حالة الانفراد النعومة والانخطاف والعذوبة الغامضة وكل ما ضيعته من قوة ودهشة وهي في المجموعة لا عذرية ولا صفاء مثل التدرجات التي يمنحها صوت الكلارينات عندما تأتي من عازف ماهر وذكي.من بين كل الآلات النفخية، وحدها الكلارينات بإمكانها أن تنشئ وتضخم وتقلل الأصوات.من هنا قدرتها الثمينة على إنتاج الأصوات المتأتية من بعيد، الصدى، وصدى الصدى والصوت الغمقي.أليست هي العذراء المعزولة، الشقراء خطيبة الصياد التي بنظرتها المرتشفة نحو السماء، تخلط أنينها الناعم بصوت هميس الغابات التي تحركها العواصف؟.

<u>ملحق رقم 03:</u>مقال صحفي حول كوادر صيدال الفاسدين، الرواية نفسها، ص52.

Selon l’accusation, treize autres cadres du groupe Saidal, de sa fil-iale Biotic et de Solupharm, sont poursuivis dans ce dossier. Le juge H.T.qui a présidé l’audience, a décidé de ce renvoi suit à la requête de la défense de B.F.car son client «observe depuis 10 jour une grève de la faim».Le président de la cour a également reporté le procès pour pouvoir convoquer les parties civiles, à savoir le P-dg ac- tuel de Saidal et les DG de ses filiales Biotic et Pharmal. Ces derniers doivent marquer de leur présence le procès du 24 mai prochain. «Si les parties civiles ne se présentent pas devant la cour d’Alger le 24 mai, des mandats d’amener seront délivrés contre eux», avait mis en garde le président. Pour rappel, le tribunal de première instance avait

condamné le 7 mars, Z.R.DG de Biotic, et B.F.DG de solupharm, à sept années de prison ferme et à 1 million de dinars d'amende chacun. Les six autres inculpé, à savoir H.M.Z.S, Ch.A.S.L.S.L. et A.A. (ancien P-dg du groupe Saidal), ont été condamnés à des peines de dix-huit mois à cinq années de prison ferme. Journal: **LE SOIR.**

الترجمة:

بحسب الإتهام، هناك ثلاثة عشر إطارا في مجموعة صيدال، من فرعها بيوتيك وسوليفارم، متابعون قضائيا في هذا الملف، القاضيT.Hالذي ترأس الجلسة، قرر تأجيل القضية لرغبة دفاع السيدB.Fلأن موكله في إضراب عن الطعام منذ عشرة أيام.كما قرر رئيس المحكمة تأجيل المحاكمة حتى يتمكن من استدعاء الجهات المدنية كالرئيس المدير العام الحالي لصيدال والمدراء العامين لفرعيها بيوتيك وفارمال.وهؤلاء يجب أن يحضروا جلسة 24 ماي، وإذا لم تمتثل الجهة المدنية لهذا القرار، هدد رئيس المحكمة، بأنه سيؤتى بهم عنوة.

للتذكير، كانت المحكمة في جلستها الأولى، قد حكمت في 7 مارس، على السيدR.Zمدير بيوتيك وf.Bمدير سوليفارم، يسبع سنوات سجنا نافذة ومبلغ ومليون دينار غرامة ماليةلكل منهما .المتهمون الستة المتبقون وهم h.mوz.sوch.aوs.lوs.l ومعهم السيدA.A.(الرئيس المدير العام لمجموعة صيدال السابق)حكم عليهم من ثمانية عشر شهرا حتى خمس سنوات سجنا نافذة.**صحيفة لوسوار/المساء.**

ملحق رقم 05: مشهد، الرواية نفسها، ص216.

"…Et tout d'un le souvenir m'est apparu. Ce gout, c'était celui du petit morceau de madeleine que le dimanche matin à Combray (parce que ce jour-là je ne sortais pas avant l'heur de la messe), quand j'allais lui dire bonjour dans sa chambre, ma tante Léonie m'offrait après l'avoir trempé dans son infusion de thé ou de tilleul. La vue de la petite madeleine ne m'avait rien rappelé avant que je n'y eusse gouté; peut-être parce que, en ayant souvent aperçu depuis, sans en manger,

sur les tablettes des pâtissier, leur image avait quitté ces jours de Combray pour se lier à d'autres plus récents peut-être parce que, de ces souvenirs abandonnés si longtemps hors de la mémoire, rien ne survivait, tout s'était désagrégé ; les formes-et celle aussi du petit coquillage de pâtisserie, si grassement sensuel sous plissage sévère et dévot-s'étaient abolies, ou, ensommeillées, avaient perdu la force d'expansion qui leur eut permis de rejoindre la conscience. Mais, quand d'un passé ancien rien ne subsiste, après la mort des êtres, après la destruction des choses, seules, plus persistantes, plus fidèles, l'odeur et la saveur restant encore longtemps, comme des âmes, à se rappeler, à attendre, à espérer, sur la ruine de tout le reste, à porter sans fléchir, sur leur gouttelette presque impalpable, l'édifice immense du souvenir».

الترجمة:

فجأة تبدت أمامي الذكرى.ذلك المذاق كان هو طعم قطعة المادلين الصغيرة.التي كانت تقدمها لي عمتي لبوني بعد أن تغمسها في الشاي أو الزعتر.كلما زرتها في صباح يوم الأحد في كومبري لأصبح عليها في غرفتها.لم تكن تعني لي رؤية قطعة المادلين أي شيء قبل أن أتذوق طعمها.ربما لأنه من كثرة ما رأيتها معروضة على صواني بائعي الحلويات بدون أن أكلها.امحت صورة كومبري من ذهني لتحل محلها صورة أخرى أكثر جدة.ربما من شدة إهمال هذه الذكريات مدة طويلة خارج الذاكرة.انتهت إلى التلاشي وانطفاء شكلها وتحلل فوقعتها الصغيرة اللذيذة بين انثناءاتها الخفية.فضيعت الكثير من قوتها لدرجة اختفائها من الوعي.ولكن عندما يخفق كل شيء في مقاومة الماضي.وبعد موت الكائنات الحية وبعد تلاشي الحياة.شيء واحد يبقى.هش ولكنه أكثر حيوية وإصرارا وأكثر تجريدا وأكثر وفاء:الرائحة والطعم يستمران مدة أطول مثل الأرواح.في تحمل القسط الأكبر دون كلل.للأثقال المرهقة للذكرى.

ملحق رقم 07:بيبلوغرافيا الأديب "بوريس فيان"، الرواية، ص ص132، 130.

Œuvres Boris Vian

Romans parus sous son nom

Conte de fées à l'usag des moyennes personne(roman inachevé, 1943)

1946 :Vercoquin et le plancton (1946)

1947:L'Écume des jours (1947)

1947:L'Automne à pékin (1947)

1950:L'Herbe rouge (1950)

1953:L'Arrache-cœur (1953)

1966:Trouble dans les Andains (1942-1943)

Romans parus sous le pseudonyme de Vernon Sullivan

1946:J'irai cracher sur vos tombes

1947:Les morts ont tous la même peau

1948:Et on tuera tous les affreux

1950 :Elles se rendent pas compte (1948-1950)

Recueils de nouvelles

1949 : Les Fourmis (1949)

1965 : Les Lurettes fourrées (1948-1949)

1970 :Le Loup-garou (1945-1953)

1980:Écrits pomographiques (nouvelles et poésies, 1947-1958)

1981: Le Ratichon baigneur (1946-1952)

2009 : Les Fourmis le Loup-garou et autres nouvelles (livre audio interprété par

François Martbouret et Thibault de Montalembert, reprenant cinq nouvelles du
Recueil les Fourmis et une nouvelle du recueil Le Loup-garou)

Théâtre et opéra

1950: L'Équarrissage pour tous (1947)

1958: Fiesta (Vian)Fiesta(livret d'opéra)

1959?:Les Bâtisseurs d'Empire ou le Schmitrtz édition posthume 1960

1962?:Le Gouter des généraux ces deux derniers titres ont été publiés en 1965
Chez Jean-Jacques Pauvert avec les Bâtisseurs d'Empire

1965:Le Dernier des métiers,

1971:Tète de méduse (1951)

1971:Série blême (1954)

1971:Le Chasseur français (Boris Vian) (1955)

1974 :Le Chevalier de neige (livrets d'opéra, 1952-1955)

1982 :Opéras (Vian) (livrets d'opéra,1958-1959)

Poésies

1944: Cent sonnets

1948 :Barnums Digest (1946-1948)

1949 :Cantilènes en gelée (1946-1949)

1962 :Je voudrais pas crever (1951-1959)

1966:Poèmes et chanson

1954 :Le Temps de vivre (Boris Vian)

Essais

1951: Manuel de Saint-Germain-des-Prés

1985 :En avant la zizque…Et par ici les gros sous, Le Livre contemporain.
Ouvrage décrivant toutes les étapes de la création d'une chanson, de l'écriture
Jusqu'à l'enregistrement

ملحق رقم08:نشيد أمنا مريم، الرواية، ص225-226.

Ave Maria
Ave Maria Gratia Plena
Maria Gratia Plena
Maria Gratia Plena
Ave, ave dominus
Dominus tecum
Benedicta tu in mulieribus
Et benedictus
Et benedictus fructus ventris
Ventris tui Jesus

Ave Maria
Ave Maria Mater dei
Ora pro nobis pecatoribus
Ora, ora pro nobis
Ora ora pro nobis pecatoribus
Nunc et in hora mortis
In hora mortis nostrae
In hora mortis, mortis nostrae
In hora mortis nostrae
Ave Maria.

الترجمة :

لالة مريم.يا ملكة السماوات.إليك أرفع صلاتي.أحتاج إلى السلام في عينيك.أملي فيك.ابني خففي علي.ابني يعاني سكرات الموت.افهميني وابكي معي أنت التي كنت أما.أرجعي لي ابني المسكين.**مريم أيتها القديسة.**أية سعادة.ابني يولد من جديد مثل زهرة مدهشة من صلاته.أيتها الجميلة الحساسة.هذا السر الغريب.انظر إلى وجهي.لأتشبث بالأمل.ابني.جبهتك تبتسم.شكرا أيتها الأم أنت من ينقذ ابني.لالة مريم.

فهارس

فهرس المحتويات:

المحتوى	الصفحة
مقدمة	**06**
الفصل الأول : اللغة والهوية مهاد تاريخي مفاهيمي	/
1- في معنى اللغة	12
2-اللغة في مجال اللسانيات	19
2-1-اللغة في عرف دوسوسيير	19
2-2-اللغة والكلام عند بلومقيلد	24
2-3-اللغة واللسانيات عند تشومسكي	27
3-اللغة واللسانيات الاجتماعية	31
4- وظائف اللغة	34
4-1-الوظيفة التواصلية	34
4-2-الوظيفة التعبيرية	36
4-3-الوظيفة الرمزية	37
5- مفهوم الهوية	39
5-1- الهوية من منظور علم النفس	47
5-2-الهوية من منظور علم الاجتماع	50
6-أنواع الهوية	52
6-1-الهوية الفردية.	52
6-2-الهوية الجماعية	54
6-3-الهوية الوطنية	55
6-4- الهوية القومية	57
6-5-الهوية الثقافية	59
7- اللغة وعلاقتها بالهوية	63
الفصل الثاني:"تشكيلات الهوية في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد	/
1- الهوية الدينية وحوار الديانات	69

2- الهوية الجزائرية التشكل والمآل.	72
3- الهوية الجماعية، تعدد الكيانات	80
4-الهوية الفردية "الأمير" بعيون الآخرين	86
5-الهوية الاستعمارية؛ الطبيعة والأهداف	91
6- لغة الأمير بين الحقيقة والتخييل	100
الفصل الثالث – مستويات اللغة ومرجعيات الهوية في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس	/
1- الهوية الفردية والمنفى	120
2-الهوية الفلسطينية ومدارات التشكل	128
3-اللغة الحوارية ومرجعيات الهوية الفلسطينية	133
4- مستويات اللغة ومرجعيات الهوية	141
الفصل الرابع – مستويات اللغة ومرجعيات الهوية في رواية مملكة الفراشة	/
1- التهجين اللغوي وتشظي الهوية الثقافية	159
2-اللغة الوافدة وتدفق القيم الثقافية.	164
3-استدعاء الهويات الأعلامية للرواية الاروبية الحديثة.	165
4- اللغة الواقدة وتدفق القيم الثقافية	168
5-اللغة ومنظور الثقافة الدينية.	171
6- النصوص الحرفية الترجمة والأبعاد.	173
7-البنية الدالة في رواية مملكة الفراشة.	175
خاتمة	191
قائمة المصادر والمراجع	195
الملاحق	206
الفهرس	221
الملخص	226

فهرس الآيات القرآنية:

الرقم	الآية	الصفحة
01	الآية، 74 من سورة البقرة **قال الله تعالى:** ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤ ﴾	الرواية، ص50
02	**الآية 27 من سورة النور** **قال الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾	الرواية، ص383

فهرس النصوص الإنجيلية:

الرقم	الموضوع/السفر	الرواية	الصفحة
01	نص النهايات	كريماتوريوم.	132
02	//	//	133
03	لالة مريم- أفي ماريا	مملكة الفراشة	225

ملخص

ملخص:

تضايف اللغة والهوية في صميم الأعمال الأدبية والمنجزات الثقافية الكبرى، مجال معرفي يفتح آفاقا جديدة للرؤية حول الذات ومدى تصورها للعوالم التي تنتمي إليها مجسدة في ذلك، تصوير الأنا المهيمنة على الخطاب الأدبي كنموذج هوياتي يعيد صياغة الذات في ظل التقلبات الحضارية الكبرى التي يشهدها العالم.

ولكون الرواية عالما لغويا مؤسسا على التعدد اللغوي واللهجوي والكريولي فإن مقاربة موضوع الهوية كمكون لغوي ومعنوي في النص يمثل تنويرا معرفيا يستهدف تنميط الهويات وتشخيص الخطابات وتحيينها كمواد فاصلة لتحديد تمثلات الهوية في الرواية .

وعليه؛ نروم من مقاربتنا هذه الكشف عن العلاقات والصيغ التي تآلف بين اللغة كمادة وبين الهوية كحامل لها من منظور ثقافي؛ يستلهم مادته من روايات"واسيني الأعرج".

Correlation between language and identity in the novels of Wassini Laaradj -cultural approach-

Abstract:

Correlation between language and identity in literary and cultural works as well as in cultural big works constitute a research area which open new horizons to the egocentric perspective and it's own conception of universe to which it belong.

This perspective translate the" Self" representation which dominates literary speech considered as identitarian model and reshapes the self in a context of enormous civilizational mutations which shake the current world .Novel as a perfect linguistic universe based on multilinguism and diversity of dialects and creoles ،so approaching identity subject as linguistic and semantic of the text represent a scientific illumination which aims a taxonomy of identity and speech analysis and their updating as isolating materials in order to delimit identity representations in novels.

Then our work tries to reval connections and options of convergence between language considered as a material and identity whish conveys it from a cultural point of vue taking as a corpus the novel: "Mamlakat elfaracha of Wassini Elaaradj."

Key Words : Novel. identity /language .

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
L'UNIVERSITE LARBI TÉBESSI -TÉBESSA-

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET DE LETTRE ARABE

Thèse présentée en vue d'obtention de Doctorat de Science en lettres arabes

Option : littérature moderne et contemporaine

Langue et identité dans les romans de Wassini Laaredj

Une approche culturelle

Encadre par :
Dr. Rais Rachid

Elabore par l'étudiante :
Smaal wahiba

Membres du jury :

N°	Nom et prénom	Grade scientifique	Université d'origine	Statut Qualité
1	Leila Belkhir	Professeur	Université de Mentouri- constantine-	Président
2	Rachid Rais	Professeur	Université Larbi Tébessi -Tébessa-	Encadreur et rapporteur
3	Taher Rouainia	Professeur	Université de Badji Mokhtar-Annaba-	Membre Examinateur
4	Rachid Belaifa	Maître conférence-A-	Université de Abbes Leghrour-Khenchela-	Membre Examinateur
5	Jemoui Saadi	Maître conférence-A-	Université De Mohamed cherif Messaadia-souk ahras-	Membre Examinateur
6	Mohamed Arous	Maître conférence-A-	Université Larbi Tébessi -Tébessa	Membre Examinateur

Année universitaire: 2018 /2019

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
L'UNIVERSITE LARBI TÉBESSI -TÉBESSA-

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET DE LETTRE ARABE

Thèse présentée en vue d'obtention de Doctorat de Science en lettres arabes

Option : littérature moderne et contemporaine

Langue et identité dans les romans de Wassini Laaredj

Une approche culturelle

Encadre par :
Dr. Rais Rachid

Elabore par l'étudiante :
Smaal wahiba

Membres du jury :

N°	Nom et prénom	Grade scientifique	Université d'origine	Statut Qualité
1	Leila Belkhir	Professeur	Université de Mentouri- constantine-	Président
2	Rachid Rais	Professeur	Université Larbi Tébessi -Tébessa-	Encadreur et rapporteur
3	Taher Rouainia	Professeur	Université de Badji Mokhtar-Annaba-	Membre Examinateur
4	Rachid Belaifa	Maitre conférence-A-	Université de Abbes Leghrour-Khenchela-	Membre Examinateur
5	Jemoui Saadi	Maitre conférence-A	Université De Mohamed cherif Messaadia-souk ahras-	Membre Examinateur
6	Mohamed Arous	Maitre conférence-A	Université Larbi Tébessi -Tébessa	Membre Examinateur

Année universitaire: 2018 /2019